الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 400 - من الثلاثاء 26 مارس إلى الاثنين 1 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

بعد مرور سنة على انطلاق أشغاله :

هل تحوّل البرلمان إلى بؤرة توتّر ؟

عندما يغرّد مجلس الوزراء خارج الموضوع !

مؤسّساتهم على حافة الإفلاس :

باعثون شبان يتهمون وزارة التربية بتوريطهم في التداين

من بينهم رجاء بن سلامة وآمال موسى والمبخوت :

مثقفون يقترحون أسماء لمنصب وزير الثقافة القادم

افتتاحية

التفجير الخطير في روسيا: هل انتهى الدرس أم بدأ ؟

بقلم : عبد الواحد المكني

التفجير الخطير في روسيا:

هل انتهى الدرس أم بدأ ؟

بقلم : عبد الواحد المكني أستاذ التاريخ المعاصر
والانتروبولوجيا التاريخية بالجامعة التونسية ورئيس جامعة صفاقس

لم يكن الجمعة 13 بل 25 من شهر مارس الذي سُميّ بالجمعة الأسود في روسيا.

كان الحدث مزلزلا أسماه البعض "مجزرة" لكن نعت "مقتلة" هو الأنسبُ في التصنيف.

في" كروكوس سيتي هال" Crocus City Hall من ضواحي موسكو اقتحم أربعة مسلحون قاعة العروض وهاجموا طوابير المشاهدين صغارا وكبارا بوابل من الرصاص وبرغبة جامحة في ازهاق أكبر عدد من أرواح الأبرياء. وقد بيّنت المعطيات الأولية ان أكثر من 137 شخصا ذهبوا ضحية هذه العملية وأن 188 آخرين جرحوا بعضهم في حالة حرجة والأخطر هو انسحاب المنفّذين وفرارهم من ساحة الجريمة دون القبض عليهم بما أن المدد الأمني والعسكري لم يصل إلا بعد نصف ساعة من حدوث المقتلة. جدّ التفجير الأعنف والأكثر دموية في أوروبا بعد تفجيرات 13 نوفمبر 2015 في باريس. هذا ان تحدّثنا فقط عن إرهاب الجماعات. أما ان تحدّثنا عن إرهاب الدولة فيبقى ما حدث في روسيا في مرتبة بعيدة عمّا حدث ويحدث للشعب الفلسطيني الأعزل والرضّع والشيوخ في غزّة السليبة.

لم يترك تنظيم الدولة الإسلامية المشهور باسم داعش- فرع خراسان الوقت للقادة الروس ولا للرئيس بوتين المنتشي بانتصاره في الانتخابات الروسية للمسارعة باتهام أوكرانيا أو حلفائها وهو ما أجبره على تأخير موعد تصريحاته بعد الحادثة.

تم القبض على المنفّذين الأربعة يوم السبت صباحا في تخوم الحدود مع روسيا البيضاء (بيلوروسيا). يعرف العارفون بخفايا تنظيم الدولة (داعش) بكل فروعه في الشيشان أو عند الأفغان أنه مخترق وسهل التوجيه .

وللعلم فإن تنظيم الدولة –فرع خراسان تكوّن سنة 2015 من قبل قيادات عسكرية سابقة لحركة طالبان الأفغانة والباكستانيين الذين بايعوا داعش ويركزون كثيرا في خطابهم على تحميل بوتين مسؤولية إراقة دم المسلمين في أفغانستان والشيشان وروسيا.

ولعل الرسالة الأولى المشفرة من الجهة المُنفذة والمُخططة هو تسفيه نتائج الانتخابات وتوجيه تحذير صارم لحاكم الكرملين ودعوته إلى تعديل أوتاره في السياسة الخارجية والداخلية.

أوكرانيا الغائب الحاضر

لذلك ورغم تبني العملية في مناسبتين من قبل فرع الدولة الإسلامية في آسيا الوسطى فإن الكرملين وخاصة ميدفيديف وبوتين يصرّان على إقحام أوكرانيا في تمويل العملية وتحريكها عن بعد. لقد غذّى هذه الاتهامات مقطع فيديو لأحد المنفذين المقبوض عليه أقرّ في تصريح تلفزي انه قام بما قام به مقابل مبالغ مالية هامة.

ويعي الأوكرانيون جيدا ان القادة الروس لن يقتنعوا بعكس ما يبرئ ساحة بلادهم وقيادتها . ولم يكن التحذير الأمريكي المعلن يوم 7 مارس 2024 رغم تكراره ورغم تدعيمه بتحذير بريطاني كاف ليهدّأ من روع القيادات الروسية ويلهيها عن اتهام الغريم الأوكراني. وقد سارعت أوكرانيا إلى تكذيب اتهامات بوتين ومحاولة الزج بها في مسؤولية التخطيط عن بعد للحادث المزلزل.

لا يرتاح الروس كثيرا للاعتراف بوجود خطر داهم للتطرف الإرهابي الداعشي والملتحف بغطاء المرجعية الإسلامية المتطرفة . هل ان الثغرة والتهديد و الخطر آتية من الشيشان أم من أفغانستان او من سوريا للثأر من نصرة بوتين لنظام بشّار الأسد؟ كل الفرضيات ممكنة ولكن مبتغى القيادة الروسية هو العثور على كل مؤشر يؤدي الى تورّط أوكرانيا وهي فرضية قائمة على كل حال. لكن وفي كل الحالات فإن مسؤولية روسيا واضحة في تقصيرها تجاه أمن شعبها الداخلي.

ثغرات وضعف في أداء الجهاز الأمني والمخابراتي الروسي

هل استهانت الأجهزة الأمنية الروسية بتحذيرات السفارة الأمريكية في روسيا أم ان إمكاناتها تراجعت وتم تركيز المجهودات العسكرية والاستخباراتية على الجبهة الأوكرانية ؟ إن كان الأمر كذلك فروسيا لم تعد قوة عسكرية عظمى والسلاح النووي لن ينفعها كثيرا في المواجهات الدقيقة والإرهابية.

لقد كان بلاغ السفارة الأمريكية في موسكو دقيقا: "تجنّب التجمّعات الكبرى بما فيها التظاهرت" وهو نفس فحوى التحذير البريطاني فهل استخفت الاستخبارات الروسية بمثل هذه التنبيهات والتحذيرات . هل هو صلف الممانعة أو دليل الوهن؟

ان مجرّد وصول الأمن والإسعاف بعد نصف ساعة يعتبر مؤشر تقهقر وتراجع لأجهزة دولة قامت منذ عهد القياصرة والبلاشفة على قوة الاستخبارات.

ما عسى بوتين فاعل؟

من المؤكد انه ليس من مصلحة بوتين الذي يقود الحلف البديل للغرب معتمدا على التحالف الصيني والهندي و "بريكس" أن يدخل في حرب غير محمودة العواقب مع الدواعش وتنظيماتهم المعقّدة والعصية على الأجهزة الاستخباراتية.

من الأسهل محاربة دولة لا محاربة تنظيم تمرّس بالضربات الإرهابية ولذلك سيسعى الكرملين جاهدا لتقصّي كل مؤشر يدلّ على تورط أوكرانيا و حلفائها الغربيين في العملية الأخيرة.

برقيات تعزية أم رسائل مشفرة؟

كانت الشيفرة واضحة في بلاغ البيت الأبيض. فقد أعلن عن وقوف الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الضحايا و عائلاتهم في الهجوم المريع.

أما الرئيس الفرنسي ماكرون فقد كان مشابها لنظيره الأمريكي وأعلن عن تضامن فرنسا مع الضحايا وأقاربهم وكافة الشعب الروسي.

تعاطف مع الشعب لا مع حكومة بوتين وهذه العواطف المتنافرة بين البيت الأبيض والكرملين لم تكن يوما هامدة فهي تخمد كثيرا لتعود بسرعة في إعلان عن تجدّد الحرب الباردة في القرن الواحد والعشرين والتي لاحت ارهاصاتها منذ اتهام الأمريكيين روسيا بمساعدة دونالد ترامب على الوصول إلى البيت الأبيض.

وعلى ذكر برقيات التعاطف والتعزية الواردة على الشعب الروسي جرّاء المقتلة الأخيرة ألم يفكر محرروها في إرسال نظائر إلى الشعب الفلسطيني الذي يتعرض إلى المقاتل والمهالك والمحارق كل يوم بل كل دقيقة؟

لم يستطع القوميون الروس الصبر والتأني وفي اليوم الثالث من المقتلة انطلقوا في تحميل واشنطن مسؤولية التفجيرات "بسبب علمهم بكل التفاصيل" . أما غلاة القوميين الأوكرانيين فقد سارعوا أيضا إلى اتهام بوتين بفبركة المكيدة ليشرّع لنفسه القيام بضربة موجعة جديدة في أوكرانيا.

إنها أجواء الحرب الباردة والساخنة معا. لم يقتصر التضاد على التهويل وعلى حرب البلاغات والإشاعات فقط. لقد أخذت المعركة منذ اندلاع الحرب الأوكرانية الروسية أشكالا تجاوزت الحدود المألوفة.

إن الحرب أي حرب هي ممارسة السياسة بواسطة القوة وقد بيّن التاريخ ان كل الحروب تنتهي رغم كل الخسائر والجراح بالجلوس إلى طاولة المفاوضات.

هل ان ما حدث يوم "الجمعة الأسود" هو أول خطوة للشروع في التفكير في إيقاف نزيف الحرب أم هو آخر أمل لأمكانية الحل السلمي؟

هل انتهى الدرس أم بدأ؟

عندما يغرّد مجلس الوزراء خارج الموضوع !

مختار لعماري - أستاذ مبرز في الاقتصاد بكندا

بينما تتعدّد الطوابير ويبحث الشباب بكلّ الوسائل عن مغادرة البلاد ويخمد الاستثمار بشكل خطير ويستحكم الركود الاقتصادي غلبت على البلاغات الصحفية الصادرة اثر مداولات مجلس الوزراء مشاريع القوانين والمراسيم بشكل يحجب القضايا الاقتصادية والانتظارات الاجتماعية المستعجلة.

ويظهر في وضح النهار وجود انفصال حقيقي بين أولويات مجلس الوزراء التشريعية والاجرائية من جهة وأولويات الفاعلين الاقتصاديين وعموم السكان من جهة أخرى.

لذلك تفرض ثلاثة أسئلة نفسها :

1 – من يحدّد جدول اعمال مجلس الوزراء الذي يجمع نحو ثلاثين وزيرا على امتداد قرابة يوم كامل؟

2 – بِمَ نفسّر طغيان الاهتمامات القانونية وتضاعف مشاريع القوانين والمراسيم على القضايا الاقتصادية المستعجلة؟

3 – لماذا لا تجد الحالات المستعجلة والصعوبات الاقتصادية التي يعيشها المواطنون والفاعلون الاقتصاديون صدى لها بانتظام في مداولات وقرارات مجلس الوزراء؟

تغيير الاقتصاد بالقوانين والمراسيم !

لقد تفحّصت كل البلاغات الصادرة عن اجتماعات مجلس الوزراء وكانت الملاحظة التي خرجت بها دائما واحدة هي أن مشاريع القوانين والمراسيم وصياغة القواعد تهيمن على القرارات الاقتصادية ولا تكاد تقدّم حلولا واخبارا تحصر الاستثمارات وعدد مواطن الشغل التي تم خلقها وإدارة مشكل نقص السلع بالسوق الداخلية أو حتى تحقيق انتعاش النمو. ويجسّد البلاغ الصحفي الأخير الصادر عن مجلس الوزراء هذه الحقيقة المحزنة وكأنّ مجلس الوزراء يفضّل النظر الى جهة أخرى غير الركود الاقتصادي الخطير الذي يرجّ البلاد (نسبة نمو سلبية على امتداد ثلاثيتين متتاليتين). ذلك أن التشريع والتناقش شملا كل شيء باستثناء الوضع الاقتصادي والأنظمة البنكية وغرق البلاد في الفقر والمصائب التي تعيشها شرائح واسعة من الشعب التونسي.

وكأن المراسيم والقوانين مفاتيح سحرية لحل المشاكل الاقتصادية والغموض الذي يكتنف الوضع النقدي. أي بنصوص قانونية... بجرّة قلم !

أجندة خارجة عن الموضوع !

يدرك الجميع انه لا يمكن ادخال تغيير كبير على الركود الاقتصادي بالمراسيم والقوانين وبـ "إماءة" سياسية تعطي انطباعا بأن أداء أعضاء الحكومة يتم بكل ما يملكون من طاقة وأنهم يعدّون النصوص حتى يعمل البرلمان ومن بعده الإدارات العمومية.

يعرف الخبراء ورجال الاقتصاد في جميع انحاء العالم انه ليس من السهل دائما تفعيل وتنفيذ القواعد والقوانين والمراسيم عندما تكون مرتجلة وتتطلب الكثير من الموارد والنصوص التطبيقية. لكن هؤلاء الخبراء انفسهم يعرفون أن "الساسة" يفضّلون سن القوانين على مواجهة المشاكل الاقتصادية عبر تدابير اجبارية وتخفيضات في الميزانيات وتحويل مظاريف نقدية من قطاع الى آخر ومن جهة الى أخرى...

نحن نراكم القوانين ونكدّس المراسيم ونضاعف المناشير لإراحة ضمائرنا. لقد أصبح كل شيء متحجّرا بما جعل الإدارة العمومية في تونس ليست اكثر من مصبّ لأنظمة غير مجدية ومتناقضة وتلوّثت سمعة تونس بسبب تعقيد إجراءاتها الإدارية التي تؤدي في نهاية المطاف الى هروب المستثمرين وتعطّل النموّ.

لكن ذلك أفضل من لا شيء اذ تعطي الحكومة انطباعا بأنها تعمل وتلعب دورها حتى لو كان ذلك لا يغيّر شيئا أو نحو ذلك في هشاشة المواطنين وعوزهم. أعضاء الحكومة بعيدون جدا عن حياة المواطنين اليومية ولا صلة مباشرة لهم بالحالات المستعجلة التي تشلّ البلاد.

من يضبط جدول أعمال مجلس الوزراء؟ في الدول الديمقراطية تحدّد القضايا العاجلة والضغوط التي تفرضها جدول أعمال مجلس الوزراء. في هذه البلدان لا يضبط جدول أعمال مجلس الوزراء سلطة بيروقراطية تنتصب كحاكم مطلق بقطع النظر عن الحالات العاجلة وضرورات الظروف.

الكفاءات شيء وتحمّل المسؤولية شيء آخر

يتعيّن على مجلس الوزراء أمام المشاكل الاقتصادية العاجلة (نقص السلع والبطالة والركود والديون) إيجاد استراتيجيات وأدوات عمل لحلّ مشاكل المواطنين حسب ترتيب أولوياتها.

فعند قراءة البلاغ الصحفي الصادر اثر انعقاد آخر مجلس للوزراء يحصل لدى الكثيرين مثلي انطباع بأن الحكومة التونسية تتلذّذ تأجيل الحلول والإصلاحات الى وقت لاحق حتى لا تثير غضب أصحاب المصلحة وتخلق "أعداء محتملين" قبل ستة أشهر من الانتخابات الرئاسية.

ويكشف البلاغ الصحفي عن إعادة انتاج واضحة لما لم ينجح في الماضي مثل خطإ في النهج واهدار للوقت والموارد دون تغيير أي شيء في حياة المواطن اليومية. وهذا وضع مستمرّ منذ فترة طويلة.

فلا وجود لإرادة لمناقشة مواضيع تثير الغضب. يتم تجنّب القضايا الحارقة ووضع أجندة سلسة، لذيذة ومجانبة للواقع بمنطق "الجميع جميلون والجميع طيّبون".

الاقتصاد، ملف لا حظّ له في العمل الحكومي

في تونس، تعشق الدولة التي يهيمن عليها رجال قانون (متشبّعون بالفكر النابليوني) التشريع ومضاعفة النصوص والإجراءات في حين تعتمد الحوكمة الحديثة على الكفاءة الاقتصادية وفعالية العمل والاقتصاد في الموارد (المنطقة الاقتصادية الاوروبية).

وكما هي الحال دائما لا يتم تحليل هذه الأنظمة والإقرارات مسبقا لقياس تأثيرها على العمليات (البطء، البيروقراطية والرقابة) وتقييم نسبة الكلفة/المنفعة من أدائها وتطبيقاتها. وهذه وسيلة لتعقيد حياة المستثمرين الراغبين في الاستثمار. وهي كذلك وسيلة لإحكام قبضة البيروقراطية عبر إطالة أمد العمليات الإدارية وتعقيد الإجراءات أكثر فأكثر.

ففي المغرب تم منذ ثلاث سنوات إقرار قانون لتنظيم تقييم تكاليف وفوائد القوانين والمراسيم قبل المصادقة عليها وتقوم كل الدول الغربية بتقييم هذه التأثيرات وتداعياتها على الشركات والمواطنين وعلى عملية خلق الثروة.

أما تونس فتواصل العمل بمنطق قائم على نظرة قانونية بالية وتجاوزتها مجتمعات أدركت ان الافراط في القانونية لن يؤدي الاّ الى تعطيل النموّ والاستثمار والازدهار.

تُخفي القانونية المعمول بها في تونس عجز رجال نخب أصبحوا وزراء عن حلّ المشاكل الاقتصادية الحارقة : تراجع الاستثمار، تراجع الإنتاجية، نقص في المواد الأساسية، هجرة الشباب، تراجع الطاقة الشرائية، فقر، أميّة، عنف ضد النساء...

ومع ذلك لا يكفّ الرئيس قيس سعيّد عن تكرار أن على العاجزين عن تحمّل مسؤولياتهم واثبات كفاءاتهم ملازمة منازلهم وقد ينسحب ذلك على العديد من الوزراء.

وربّما من المثير للاهتمام سياسيا عدم تقييم كبار المسؤولين والوزراء اذ أنه من الأسهل العمل مع اشخاص غير أكفاء ومطيعين لكن من السهل طردهم وتقديمهم كـ "أكباش فداء" أو كصمامات يتم تفجيرها للاحتماء من غضب الرأي العام وكسب رأسمال سياسي.

ذلك أنه لم تصدر عن مجلس الوزراء الا بلاغات تزيد من انفاق الميزانية وارتفاع الدين دون أن تخلق حتما الثروة. فواقعيا نحن نعمل على تعميق العجز بدل امتصاصه عبر تخفيضات وتدابير تقشّف وتحسين... عجز يتم سدّه بالديون وبتكاليف باهظة لميزانية الدولة التي هي بالفعل فقيرة وغير مكتملة بعد مرور 6 أشهر على المصادقة عليها.

أربع نقاط وردت ببلاغ مجلس الوزراء تعلن عن بعث "وحدات إدارة تتمحور حول الأهداف" في الوزارات.

في البلدان الغربية تجاوزوا تصريف الشؤون المتمحور حول الأهداف وانتقلوا الى إدارة تركّز على النتائج والفرق شاسع. وللنتائج أهمية أكبر من مجرّد اهداف غالبا ما تكون محدّدة بشكل جيّد وغير قابلة للقياس.

ثم ان بعث وحدة في الوزارة لا يحتاج الى عرضه على مجلس الوزراء اذ يمكن لوزير ان يقوم بذلك لصالح وزارته مع احترام تعليمات الوزارة الأولى أو حتى تعليمات وزارة المالية.

هذه القرارات تتكلّف غاليا من حيث رواتب الموظفين والبيروقراطية. فما يحدث أنه يتم انتداب مديرين وتعيين "الأصدقاء" والزملاء المقرّبين ومنح سيارات وظيفية ومنح وكل البهرج التابع لذلك وكل ذلك من ضرائب المواطنين ولتعميق عجز الميزانيات.

وتضمّن بلاغ مجلس الوزراء أيضا نقطتين تتعلّقان بالديون هما المصادقة على اتفاقيات تُغرق تونس أكثر تحت عبء الديون وتُفاقم ادمان البلاد على التمويلات الخارجية خصوصا لتغطية العجز بدلا من تقليصه. لم يذكر البلاغ شيئا عن المبالغ أو الآجال أو أسعار الفائدة وكأن ذلك يشكل سرّا من أسرار الدولة لا يحق للمواطنين معرفة أي شيء عنه.

لقد خُصّص جزء كبير من اجتماع مجلس الوزراء لتهنئة الذات وللتعبير عن الرضا المعتاد وتسليط الضوء على "أداء الحكومة".

أمّا البلاغ الرسمي الصادر عن أشغال مجلس الوزراء السابق، فقد تجرّأ على اقتراح مشروع قانون لاعتماد مخطط التنمية الاقتصادية للفترة 2023 – 2025. لكن الحقيقة أنه تمّ الإعلان عن هذا المخطط للمواطنين والمصادقة عليه رسميا في ديسمبر 2022 باعتباره منصة لانطلاق النموّ وهو وضع محيّر ومثير للاهتمام خاصة اذا علمنا أن أشغال البرلمان قد تستغرق أشهرا وأنها ربما تمتدّ الى بداية عام 2025 بما يعني الأشهر الأخيرة المقررة لهذا المخطط.

في البلدان الغربية وبهدف تحسين أداء الحكومة يحصل الوزراء لدى تعيينهم على تفويض يضبط البرامج المطلوب تنفيذها والأهداف المراد بلوغها أي أن هناك ما يشبه عقد أداء.

لذلك علينا تقييم مردود حكومتنا ووزرائها عاجلا وليس آجلا وعدم انتظار إقالتهم المتأخّرة مثلما حدث مؤخرا لوزيرين أقيلا من منصبيهما.

بعد مرور سنة على انطلاق أشغاله:

هل تحوّل البرلمان إلى بؤرة توتّر ؟

كوثر زنطور

تنعقد اليوم الثلاثاء بالبرلمان جلسة عامة ستخصّص للنظر في مشروع قانون أساسي يتعلّق بالموافقة على اتفاقية فتح مكتب لصندوق قطر للتنمية بتونس. وتلتئم الجلسة وسط أجواء مشحونة شبيهة بتلك التي سادت جلسة مشروع قانون تجريم التطبيع مع إسرائيل ينضاف اليها هذه المرة اقتراح سحب الثقة من رئيس البرلمان إبراهيم بودربالة وتنقيح النظام الداخلي للمجلس في اتجاه اقرار التناوب على رئاسة المؤسسة التشريعية .

لم تهدأ كواليس المجلس خلال الايام القليلة الماضية. حراك يقوده نواب من مختلف الكتل بعنوان واحد هو احداث تغيير داخل البرلمان : أولا من حيث التسيير اذ يُتّهم رئيسه إبراهيم بودربالة بسوء إدارة دواليب المجلس لذلك يتم تدارس اقتراح عقد جلسة تقييمية قد تفضي الى سحب الثقة منه. وثانيا من حيث حالة الركود التي يعرفها نشاط البرلمانيين اضافة الى ضعف التواصل وانعدامه مع مختلف أجهزة الدولة. وبين هذا وذاك تحوّل البرلمان تدريجيا الى ما يشبه بؤرة توتّر بين مختلف هياكله من جهة وفي علاقة بـ" الوظيفة التنفيذية" من جهة اخرى.

كما يواجه البرلمان " حرجا" عند طرح مشاريع قوانين جدلية تحال إلى جلسة عامة في غياب معطيات دقيقة من الجهات المعنية، مثلما سيكون الحال خلال الجلسة العامة التي ستنعقد اليوم، والمخصصة للنظر في اتفاقية فتح مقر لمكتب صندوق قطر للتنمية بتونس. لا يعرف النواب بشكل دقيق التوجهات العامة للسلطات القائمة بخصوص هذه الاتفاقية وان كان هناك ضوء أخضر من الرئاسة لتمريرها. وطالب البعض بان تكون الجلسة سرية لتجنب أي توتر شبيه بما حصل خلال اشغال الجلسة العامة التي كانت مخصّصة للنظر في مشروع تجريم التطبيع.

هناك انقسام في صفوف النواب، بين من يعتبر ان إعادة طرح الاتفاقية ستعيد احياء إشكاليات جوهرية بها وتحديدا المس من السيادة الوطنية، وهو جدل شاب المجلس النيابي السابق بقيادة كتلة الحزب الدستوري الحر الذي خاض معركة لاسقاط هذه الاتفاقية ومنع تمريرها، ومن يحذّرون من أي انحراف في اشغال الجلسة، من ذلك تصريحات واتهامات قد تؤثر على علاقات تونس بدولة قطر من قبل نواب يعتبرون ان " السلطات القائمة أبدت تمسكها باحترام السيادة الوطنية في اكثر من مناسبة " وان "إحالة هذه الاتفاقية مجددا على انظار البرلمان تمت بعد النظر في مختلف جوانبها" وان النقاش سيتم حول جدواها بعيدا عن الاصطفافات الإقليمية والاعتبارات الأيديولوجية.

سحب الثقة: اقتراح جدي ؟

مطروح منذ رفع الجلسة العامة المخصصة للنظر في مشروع قانون تجريم التطبيع، سحب الثقة من رئيس البرلمان إبراهيم بودربالة. حمّل النواب المساندون لمشروع القانون بودربالة مسؤولية البلبلة التي رافقت اشغال الجلسة ، وصنفت التصريحات التي نقلها عن رئيس الجمهورية قيس سعيد بخصوص موقفه من مشروع القانون بالمغالطات.

شهد البرلمان بعدها هدنة تكتيكية ، من النواب الذين لوّحوا بسحب الثقة وفضّلوا الاحتفاظ بهذه الورقة للضغط، ومن رئيسه بودربالة الذي اجاد سياسة الانحناء للعاصفة والتعويل على الوقت لاحتواء غضب النواب. تسارعت في ما بعد الاحداث: نواب يشتكون من تكدّس المبادرات التشريعية دون البت فيها مما يمس من مصداقيتهم تجاه ناخبيهم ، وآخرون مستاؤون من سوء إدارة المجلس ، ومن " نفوذ المستشارين" ومن مكتب مجلس يصفه البعض بأنه غير متناغم مع التوازنات العامة في البرلمان .

عمليا، لم تتبلور بشكل رسمي مبادرة لسحب الثقة من رئيس البرلمان، ولم تتحول الى عريضة وتوقيعات، حسب عدد من نواب اتصلت بهم أسبوعية "الشارع المغاربي". فمنهم من يؤكد ان احدى المسائل المحددة هي التوافق على البديل ، وهذا البديل يفترض انه قادر على ان تكون له مقبولية لدى مختلف الكتل وأيضا من طرف "الوظيفة التنفيذية"، وتحديدا رئيس الجمهورية الذي بات جليا انه في علاقة برود ان لم نقل قطيعة مع رئيس البرلمان، وبالتالي مع البرلمان .

يبدو ان هذا البرود كان من بين أسباب عودة طرح سحب الثقة، اذ انسحب هذا البرود على الوزراء والولاة والمعتمدين، وفق نائب كشف لـ "الشارع المغاربي" ان النواب اصبحوا بلا مخاطب في مختلف أجهزة الدولة. وتؤكد شهادة أخرى لنائب ان احد الوزراء لم يعد يردّ بالمرة على اتصالات النواب، وانه انتهى بعد التشكي والاتصال الرسمي به إلى تعيين " مكلف بالتواصل مع النواب" ، وهذه كانت إشارات دالة على ان البرود اصبح تقريبا شاملا، بما يفترض التحرك باعتبار ان ضعف التنسيق يؤثر على الأداء النيابي.

يتزامن ذلك مع نشر الأوامر الترتيبية المنظمة لعملية سحب الوكالة، التي ستتحول الى سيف مسلّط على النواب .وفي الوضع الحالي ، فان الخيار الأفضل هو تجنّب أي توتر في الجهات، لتفادي مواجهة عملية سحب الوكالة. ومن الأمثلة المتداولة في المجلس، الضغوطات التي يتعرض لها رئيس لجنة التشريع العام الذي يقول زملاؤه انه " يتعرض لحملة كبيرة ولـ "تهديد بسحب الوكالة منه بسبب موقفه المتحفظ على مبادرة العفو في قضايا الشيكات بلا رصيد" .

مسألة أخرى محل تساؤلات داخل المجلس، تتعلق بتواصل الشغور في مكتب المجلس بمقعد مساعد رئيس البرلمان المكلف بالعلاقات مع رئاسة الجمهورية والحكومة، وهذا المقعد ظل شاغرا منذ اكثر من 6 اشهر وتحديدا منذ سحب الحصانة من النائب سامي بن عبد العالي الذي يتواجد حاليا في الخارج، ولم تقم الكتلة الوطنية المستقلة بتعويضه تعبيرا عن مساندتها له بعد ان تم فسخ اسمه من قائمة النواب وإيقاف راتبه الشهري .

تعديل النظام الداخلي

قد يتّجه البرلمان نحو تعديل النظام الداخلي ويتم بالتالي إقرار التناوب على رئاسة المؤسسة التشريعية وهذا مقترح سبق ان تمت مناقشته عند اعداد النظام الداخلي للمجلس الحالي، وأيضا في البرلمان السابق وقد يكون هذا التوجه بوابة لخروج "محترم" لبودربالة بما سيحول دون حدوث اية صدامات أو توترات و" نشر الغسيل" .

ومثلما توافق النواب على حماية جماعية وتكتل في مواجهة "طلبات رفع الحصانة" التي تعد بالعشرات (اكثر من مطلب لرفع الحصانة) ، فانه من المرجّح ان يكون هناك توافق على فرض نوع من الاستقرار ، كعملية حماية للجميع. فبالرغم من التوتر الذي يسود أجواء المجلس فإن هناك مخاوف من إعادة انتاج مصير مشابه للبرلمان السابق تلاحق النواب الذين يضعون تصريحات رئيس الجمهورية بخصوص البرلمان قيد الحسبان عند مناقشة أية مبادرات إصلاحية، او أي تصعيد عند الاختلاف حول مشاريع قوانين.

وان يختلف المشهد البرلماني السابق وسياقاته ورهاناته عن المشهد البرلماني الحالي فان الصدامات الداخلية والأجواء المشحونة كلها ستحسب ضد النواب والبرلمان سواء بسحب الوكالة أو بأية قرارات رئاسية تجعل حتى التحرك داخل المجلس مُقيّدا سواء في اتجاه احداث تغييرات جذرية يبدو من المستبعد ان تتم في غياب ضوء أخضر من قرطاج ، او في اتجاه المواجهة عند مناقشة مشاريع القوانين المحالة من "السلطة التنفيذية" ، وأيضا في علاقة بمسألة أخرى ستكون محددة في الاشهر القادمة هي ملف تزكية مرشحين للانتخابات الرئاسية .

هل هي استفاقة المحاماة التونسية؟

صالح مصباح

لقطاع المحاماة في تونس تاريخ من الدفاع عن الحريات. وكلما مثّل أحدهم أمام القضاء في قضايا تتعلق بالحريات تجنّدت المحاماة للدفاع عنه. وقد ترسخ هذا الأمر تقليدا غالبا رغم ما في القطاع من مكامن السوء التي يصعب أن يخلو منها قطاع.

وقبل سنة 2011 كانت تركيبة عمادة المحامين، مركزيا وجهويا، محل صراع. وكانت السلطة دوما طرفا فيه وقتئذ . إذ كانت تدرك أهمية هذا القطاع وكانت تحرص على أن يمسك هياكلَه الموالون لها. وبعد سنة 2011 طبع المحامون بأدوارهم مساحات هامة من المرحلة، سواء في المجلس التأسيسي أو خارجه. وإن في نسيج المحاماة المهني ساسة بارزون اضطلعوا طيلة سنوات ما بعد 2011 بأدوار هامة في المشهد السياسي والقانوني والحقوقي. وليس أدل على ذلك من أن عمادة المحامين هي أحد أضلاع "الرباعي" الذي قاد حوارا وطنيا مجديا، ولو ظرفيا، ونال بمقتضى ذلك جائزة نوبل للسلام. كان المحامون ضمن أصوات الاحتجاج وأصوات التأليف.

1/البهتة

بعد 25 جويلية أصابت المحاماة بهتةٌ وخفَت صوتُها مثلما خفتت أصوات الثالوث الباقي من الرباعي؛ منظمتا الشغل والأعراف و "الرابطة"، وإن حاولت المنظمة الشغلية، عبثا، أن يكون لها فِعل ضمن نطاق السلطة. ولعل تلك البهتة الرباعية، فضلا على غيرها التي لَزِمَها القاصرون عن الإستقراء، قد يسّرت لمسار 25 جويلية أن يتخذ الوجهة التي اتخذ، وهي التّدرّج المدروس إلى الحكم الفردي دون منغصّات تُذكَر، والذي بلغ الطور الذي هو عليه اليوم من جهة علاقته بالحريات الذي صارا مشغلا رائجا.

لكنّ بهتة المحاماة لم ينتف منها تراكم المتابعة لما يجري ،لا سيما بعد أن غادرها عميدها إلى البرلمان. ودليل ذلك بوادر الاستفاقة بعده.

2/الاستفاقة

مثّلت إحالة رئيسة الحزب الدستوري الحر عبير موسي القادح المباشر في هذه الاستفاقة. فكأنّ هذه السياسية قد استوت قادحا لكل المنعرجات. ذلك أن هيئة الدفاع عنها حرصت على أن تكشف للرأي العام ما كانت ترى من خروقات قانونية وإجرائية ومن حسابات سياسية. وقد تفاعلت معها في ذلك، وإن بقدر من التأخر، العمادة الجهوية بتونس التي لم ينفصل مُمثّلها عما كانت تردّد هيئة الدفاع عن عبير موسي. وتوسّعت دائرة الدفاع بأن انضم إليها أساتذة آخرون، فانعقد تضامن قطاعي غير مكتف بالدفاع عن عبير موسي، وإنما بـ "الدفاع عن الدفاع"، لأن المحامين رأوا في قضية عبير موسي، محاميةً مباشرةً، تعديا إجرائيا على المحاماة وعلى الحريات. وقد رشح في وسائل الإعلام ما يفيد بأن المحاماة تعتزم التحرك للدفاع لا عن الحريات وإنما عن كيانها المهني.

وفي الآونة الأخيرة أصدر المحامون بيانا على قدر من الحدة، تُنبئُ لغتُه بأنّ هذا القطاع يتهيّأ لاستعادة الأدوار التي دأب عليها. وإن لهذا القطاع تقاليد في ذلك تكفل له أن يتصدّى لما يراه حَريّا بالتصدي، سواء تعلق ذلك بشأنهم المهني أو بالشأن العام الذي عماده الحريات. فالدفاع عنها من محرّكات التاريخ الإنساني فكيف بتاريخ بلادنا الذي للمحاماة فيه جليل الأدوار في هذا المجال؟ فَعَن صديقنا المؤرخ والكاتب "فتحي ليسير" يرى المؤرخ الإيطالي"بندتو كروتشه" أنّ "التاريخَ من أوّله إلى آخره تاريخُ دفاع عن الحريات".

ولعل استفاقة المحاماة التونسية التي علامتها البيان الأخير هي العبارة الجلية عن الوعي بأن الحريات صارت اليوم مهددة، وهو وعي تشاركها فيه أصوات سياسية وإعلامية عديدة. وهي أصوات علا صوتها في الفترة الأخيرة، تفاعلا مع ايقافات واعتقالات طالت أصواتا خارجة عن خطّ السلطة.

وقد لا يكون كافيا استفاقة المحاماة بمفردها. ففضلا عن الساسة، قد يبدو مُلحّا اليوم أن يستعيد "الرباعي" حركةَ الفعل بالدفاع القانوني عن الحريات. وإن "إتحاد الشغل"، وهو مكوّن مهم في هذا الرباعي قد تأكد اليوم أنه، مثلما قلنا في مناسبات سابقة، مستهدف من السلطة ومن أجنحة فيه فضلا على استهداف نفسه بنفسه. على أن في تاريخه الكامن ما قد يُقدره على أن يتدارك أمره بإعادة الروح في نسيجه وفي الرباعي. لقد حاول الإتحاد مرارا أن يجد سبيلا إلى محاورة السلطة. إلا أنها كانت في كل مرة تزوَرّ عنه ازوِرَارا صريحا. وقد لا يكون مجديا إعادة المحاولة. وقد يكون الأجدى استئناف دوره النقابي والسياسي، غير الحزبي المعهود، والانخراط مع بقية القوى المدنية الحية في الدفاع القانوني عن الحريات. ونعيد القول إن إعادة الروح في "الرباعي"، بعيدا عن دائرة الحكم المغلقة عنه أصلا، قد تكوّن بذلك صوتا صادحا بالدفاع عن الحريات وعن المكاسب الجمهورية . ذلك أن استفاقة المحاماة كسب مهم، لا سيما إذا استعاد بها الرباعيُّ كيانَه. إن اضطلاع الرباعي اليوم بأدوار في هذا الشأن سيكتسي أهمية مخصوصة. فسيكون أدوارا لهياكل مدنية ومهنية أربعة حائزة على جائزة نوبل للسلام. لقد مرّ الحصول على هذه الجائزة دون استثمار رمزيتها. ولعل اللحظة تقتضي اليوم استثمارها، لا سيما أن المقصد جليل شريف وهو الدفاع عن الحريات السياسية والإعلامية التي هي اليوم مهدّدة، على ما يشهد بذلك الشاهدون.

صدر حديثا

«الكتاب الأبيض للمحاماة التونسية» آخر مؤلّفات العميد شوقي الطبيب

صدر مؤخرا للعميد شوقي الطبيب مؤلّف جديد تحت عنوان "الكتاب الأبيض للمحاماة التونسية" رسم فيه صورة مثيرة لرحلة المحاماة في تونس انطلاقا من فترة ما قبل الاستعمار الفرنسي وخلاله مرورا بدور المحامين خلال الحركة الوطنية وبعد حصول تونس على الاستقلال وصولا الى مساهمتهم في قيام الثورة.

رحلة مثيرة خطّ مراحلها قلم العميد شوقي الطبيب بأسلوب مدجّج بالأسماء والتواريخ والوثائق جمع بين الجدّ والطرافة والإفادة والامتاع وسلّط الضوء على أحداث شبه مجهولة من نضال نخبة من الرجال آمنوا بنبل رسالة المهنة ودافعوا برباطة جأش عن مربّع الحريات المقدس وصمدوا أمام مضايقات السلطة ومحاولات اختراق معبد المحاماة وفرض وصاية عليه.

لم يغفل المؤلف عن تصنيف العائلات السياسية داخل المحاماة ولا عن الخوض في عالم المحاماة المتضامنة والتعريج بعيني "شاهد على العصر" على أحداث طبعت نضال أهل المهنة لعلّ أبرزها اضراب عام 2000 الى جانب دورهم الناجح في اطار الرباعي الراعي للحوار الوطني والذي مثّل "ملحمة نضالية انتهت بتتويجها بجائزة نوبل للسلام سنة 2015 والتي كانت فخرا للمحاماة العربية عموما التي نالها شرف ذلك التتويج" مثلما كتب النقيب المكاوي بنعيسى الأمين العام لاتحاد المحامين العرب في تقديم الكتاب.

يقول النقيب المكاوي بنعيسى في معرض تقديم المؤلف الجديد : "لقد تمت صياغة محتوى الكتاب بأسلوب التأريخ العلمي باعتماد وثائق تاريخية وسرد احداث مثلت محطات ناصعة في تاريخ المحاماة التونسية. ولم يقتصر المؤلف على تسليط الضوء على احداث تاريخية في شكل سردي روائي فحسب بل تعدّى ذلك الى ربط الماضي بالحاضر وحتى بالمستقبل وذلك من خلال تقييم واقع المحاماة التونسية واستشراف مستقبلها وتقديم قراءة تحليلية نقدية لأوضاعها مستدلاً بنظرية عالم الاجتماع العربي ابن خلدون التي استشهد بها العميد شوقي الطبيب في مواضع عديدة من كتابه : "التاريخ لا يزيد في ظاهره عن الاخبار ولكنه في باطنه نظر وتحقيق".

هذا غيض من فيض صفحات حبلى بالمعلومات وبقصص عن معارك خاضها المحامون التونسيون دفاعا عن حرمة معبدهم لعلّ أبرزها ملف العميد الشاذلي الخلادي وخلافه الشهير مع الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة.

ومع ذلك – والكلام هنا للمؤلف – "فإن هذا الكتاب ليس لتلميع مهنة وتبييض منظوريها أو دعوة لاستثنائهم من المحاسبة أو المساءلة، وإنما هو أولا عبارة عن رسالة مفادها قوله تعالى : "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وثانيا نصيحة : "لا تسيئوا الى مهنة المحاماة وتشتموا المحامين فقد تحتاجونهم يوما".

دولة الاستقلال ورموزها ثابتة وغيرهما حرث في الماء

أنس الشابي

منذ سُلّمت حركة النهضة حكم البلاد إلى يوم الناس هذا يتعرّض الوطن إلى هجمة مُمنهجة بنية تغيير ملامحه وإفساد صورته التي صاغها التاريخ المشترك وتعوَّد عليها الناس وألِفوها. من ذلك أنه شارك في صنع هذه الهجمة خصوم دولة الاستقلال وقادتها حيث شكلوا هيئة قيل إنها للحقيقة والكرامة ولكن تبين في ما بعد أنها لم توجد إلا لغرض واحد هو إحياء جروح الماضي التي اندملت والتشكيك في كل ما يتعلق بتونس الوطن من تاريخ ومعاهدات ورموز وغير ذلك.

إلا أن هذا المخطط التآمري المعدّ سلفا انتهى إلى فضائح كشفت جهل من كُلّفوا بتزوير تاريخ البلاد حيث نشرت نخبة خيّرة من المؤرخين بيانا بلغ عدد الممضين عليه يوم نشره 65 مؤرخا من بين ما جاء فيه: "ومن باب الأمانة فإنّه لم تصدر خلال الستين سنة الماضية أوامر أو توجيهات بكتابة التاريخ أو بتدريسه في الجامعة التونسيّة في هذا الاتجاه أو ذاك أو بالتركيز على هذه الشخصيّة أو تلك أو على فترة دون أخرى"(1)، الأمر الذي يؤكد أن ما ادعته الهيئة ومَن وراءها من سياسيين ومن أدعياء المعرفة لا يعدو أن يكون محاولة لاستهداف الرموز والتواريخ والانحراف بالانتماء إلى الوطن إلى الانتماء إلى أمميّات وهمية كأن تكون إسلامية أو عروبيّة. ما قامت به هذه الهيئة لم يكن سوى الجزء الظاهر من كتلة الجليد ذلك أن المجموعة التي وجدت نفسها في غفلة من التاريخ بقصور الحكم في القصبة وقرطاج وباردو لم تتوقف عن استهداف الرموز من ذلك:

1) تقديم صالح بن يوسف في صورة الزعيم الذي خسرته البلاد وضحية مواقفه التي اغتيل بسببها والحال أنّه إن كان بورقيبة وجه الحركة الاستقلالية الدستورية فإن صالح بين يوسف ليس إلا قفاها. فهما وجهان لعملة واحدة لم يفترقا إلا عند الوصول إلى الإجابة عن سؤال من يحكم البلاد. عندها افترقت السبل بينهما ويعتقد البله أنهم بإحياء هذا الخلاف يقدحون في زعامة بورقيبة وغاب عنهم أنّ صورة الزعيم ينحتها التاريخ وتديم ذكرها منجزاته وليس أكاذيب النصوص وافتعال التواريخ وتزوير المواقف. وما يثبت هذا الذي نقول أن الزعيم بورقيبة هو اليوم حي بيننا ويلهج الناس باسمه رغم محاولات الدفع به إلى غياهب النسيان منذ أيام المرحوم بن علي إلى يوم الناس هذا.

بورقيبة مع صالح بن يوسف وعلى يساره فرحات حشاد

2) الرمز الثاني الذي استهدفه خصوم دولة الاستقلال هو تغيير تسمية الرائد الرسمي للجمهوريّة التونسيّة بتسمية أخرى هي الجريدة الرسمية بحجّة توحيد المصطلحات بين الدول العربية وهو ما يكشف عن جهالة لا نظير لها. فالذي اختار هذا الاسم لأوّل جريدة رسميّة تطبع في البلاد سنة 1860 هو منشئها الجنرال خير الدين باشا وقد أعانته على إصدارها نخبة من روّاد الإصلاح كالجنرال حسين والعربي زروق ومحمود قبادو وسالم بوحاجب والبيارمة بمختلف طبقاتهم ومحمد السنوسي والباجي المسعودي وغيرهم بحيث أصبح الرّائد ديوان الحداثة الذي لا غنى عنه لكلّ من أراد تلمّس الشخصيّة التّونسيّة من خلال آثار أبنائها. وفي 29 جويلية 1928 تمحّض الرّائد لنشر القرارات والأوامر وغيرها من النصوص القانونيّة وانتقلت النصوص الأدبيّة والتاريخيّة والقصائد إلى غيره من الجرائد. أيامها أصبحت تسميته كالتالي "الرّائد الرسمي التّونسي"، في 26 جويلية 1957 وبعد تغير النظام وسقوط الملكيّة أصبحت تسميته "الرّائد الرسمي للجمهوريّة التّونسيّة". والملاحظ أنّه في كلّ المراحل التاريخيّة بقي الرّائد حاضرا في كلّ التّسميات لأنّه أصبح جزءا من الذاكرة الجماعيّة ومكوّنا من مكوّنات الخطاب التّونسي في الصحافة والمحاكم والمدارس والكليات والمنتديات..... فتونس تنفرد بمصطلح الرّائد من بين الدول ذات اللّسان العربي جميعها. كما أنّه يحمل معاني التقدّم والوثوب والتّوق إلى الأفضل والقيادة والمستقبل والرّيادة وهي معان قصدها الجنرال خير الدين ولكنّها خَفِيت عن عُمي البصر والبصيرة لأنّها لا تظهر وتبين إلا لِمن انغرس في تربة الوطن وعرك تاريخه وشخوصه ورموزه وعاش بينهم ومعهم في ثنايا الكتب والصحف والوثائق وفي دروب الوطن وأزقّته، ورغم كيد الكائدين بقي الرائد كما أراد له الجنرال خير الدين عنوانا للتقدّم.

3) ضمن نفس الإطار والخطة تمتنع سُلَطُ 23 أكتوبر 2011 إلى حدّ يوم الناس هذا عن الاحتفال بالأعياد الوطنيّة بما يقتضي ذلك من رفع للأعلام ومظاهر الزينة غرسا لمعاني الترابط بين أبناء البلاد، بحيث اقتصر الاحتفال بذكرى عيد الإستقلال هذه الأيام على بيان صدر على صفحة رئاسة الجمهورية نصّ على تمكين مجموعة من السجناء من العفو الخاص. وقد كنّا ننتظر كلمة من رئيس الجمهوريّة فهو أوّل رئيس للجمهورية التونسية يولد بعد الاستقلال وصاغت شخصيّته وعركتها مؤسسات الدولة الفتيّة. سنة 2012 الى جانب التغافل عن الاحتفال بالأعياد الرسمية قامت هذه السلطة بمعاقبة الذين خرجوا لإحياء ذكرى شهداء التاسع من أفريل بالاعتداء المبرح عليهم. وقد كان كاتب هذه السطور حاضرا في مشهد ما كنت أتصوّر أن يحدث أبدًا. والعجيب أنّ اللّجنة التي كلّفت بالتحقيق قُبرت وكأنّ المواطنين هم الذين اعتدوا على الذين أرسلهم علي العريض وزير الداخليّة لضرب وتفريق شبّان وشابّات لم يعرفوا الاستقلال إلا بالواسطة. والأغرب من كلّ هذا أنّ اخبار محاولات تغيير العلم تُترى. فقد كشف رئيس المعهد التّونسي للعلاقات الدوليّة الناشط الحقوقي المرحوم أحمد المناعي أنّ "الرئيس التّونسي منصف المرزوقي كان يخطّط لتغيير العلم التّونسي وتقسيم تونس إلى أقاليم من خلال وثيقة كان كتبها واطّلع عليها المناعي الذي قال في تصريح لـ"أفريكان مانجر" إنّ المرزوقي كان قد كتب هذا المخطّط ضمن كتاب كان ينوي نشره في فرنسا واطّلع عليه إلا أنّ دور النشر الفرنسيّة لم توافق على نشر الكتاب واعتبرت أنّ ما كتب المرزوقي لا يرتقي إلى منزلة كتاب"(2). كلّ هذا الى جانب التغاضي عمّن أزال العلم في جامعة منوبة أو أحرقه في بنزرت أو رفع أعلاما أخرى كالسواد الذي يرمز للخلافة السادسة ولحزب التحرير الذي يرتع في البلاد دون ضابط أو رابط.

إن المحافظة على تماسك الشعب ووحدته تمرّ حتما عبر المحافظة على استقرار الرمز في وجدانه وعبر استمرارية وثبات القيم والمرتكزات التي تشكّل شخصيته حتى لا تختل القيم لديه وحتى لا ندفعه إلى الشك في كلّ شيء ليرتمي في أحضان المطلق واللاإنساني. أمّا محاولة بناء شرعية اللاحق على أنقاض السابق فليست إلا حرثا في البحر ناتج عن فساد في الرؤية وعن خلل في ترتيب الأولويات وأمامكم مثال بورقيبة الذي حاول السابع من نوفمبر ومن جاء بعده محو ذكره ولكنه بقي رغم الحملات التي لم تتوقف وإن خفت صوتها لأنها تأكدت من الفشل وأمامكم أيضا مثال الحزب الدستوري الذي تكاتف عليه العاري واللابس من كراكير وأشباه محامين وحثالة السياسيين في محاولات لم تتوقّف الى حد الساعة لاغتياله ولكن جعل الله كيدهم في نحرهم. فالحزب يتمدّد ويكتسب من الأنصار كل يوم والشواهد الدالة على ذلك تترى رغم كل شيء. فما كان للشعب دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

هوامش

1) جريدة المغرب بتاريخ 9 أفريل2017.

2) أفريكان مانجر بتاريخ 10 ديسمبر 2013

الربيع والجو بديع...

منير الفلّاح

صحابي وخاصة متاع سنوات الدراسة وطبعا عائلتي يعرفوا مليح علاقتي مع كل ما عنده علاقة بالأرقام والحسابات وهي علاقة تشبه ياسر لعلاقتي باللغة الصينية يعني سلام سلام من بعيد لبعيد وبإختصار شديد أصعب حسبة انجم نعملها هي حسبة متاع طرح شكبة تحت حيط الجيران زمن الشباب والسهرية في الحومة وتوة أعقد حسبة ،وأكثرها ايلاما،هي متاع القضية وخاصة مقارنتها بالحاجات الي كنت نشريهم بنفس المبلغ سنوات لتالي...

عاد فمة شكون فسرلي (هو حاول على كل حال) الي هذاكة أحسن مؤشر باش نفهم شمعناتها تضخم! يعني تبدأ نافخ صدرك وتدرجح في قفتك وحاسس روحك ماكيفك حد بما أنك جابد 100دينار من الحيط ،هاك الي يسميوه DISTRIBUTEUR الي يتكرم عليك مرة في الفال ،بالضبط وقت تبدأ الجراية مازالت كيف تصبت،وساعة ساعة ترمي قحرة للقفة وتقول في نفسك:توة هذي تنجم تهز كل ما عندك في رأسك من شهاوي باش تشريها بمائة دينار؟

توصل وتبدأ تشوف في الأسوام وبالشوية بالشوية تراجع طموحاتك وتدور وجهك للجهة الأخرى كيف توصل قدام اللحيمة وإلا الحويتة وتتوجه مرغما للدجاج ،

دجاج الحاكم بطبيعة الحال! ونفس الشيء كيف تتعدى قدام بياع الخضر والغلال أما تطيل النظر بالكش تعثر على البنان الشقيق من مصر الشقيقة... وما تلقاش وتحمد ربي (بأنقص مصروف)وهكذا تروح بقضية أقل من عادية من غير ما تكون رجعت للدار وجيبك مازال "دافئ"على الأقل!وتجيء لحظة "شماتة"القفة:نحسها تدرجح عليا في رأسها وعدها باش تقولي:آسي الشباب ،شريت لين أنا فضت وما كفيتكش ؟

المهم هذا أهم وجه للتضخم الي ينجم يعيشو أي مواطن"عادي"كيفي!

علاش نحكي على المواطن العادي وإلا بعبارة أخرى "العياش"؟ ببساطة على خاطر كيف شفت آش قالت رئاسة الحكومة على "الربيع والجو البديع"ومؤشراتنا الي تنبئ بغد أفضل ،تي لا موش حتى غد،عشية أفضل ،الحقيقة شكيت في روحي وفي معايناتي وقلت يا رسول الله ياخي أنا نعرف خير من رئيس الحكومة ؟

وما نخبيش عليكم ،ما عرفتش لا نفرح بحديث الحكومة لا نتكدر من الواقع ؟لين سمعت بأرقام المعهد الوطني للإحصاء وتقريبا تشبه ياسر للواقع الي نعرفو وربما راكم زادة تعرفوه وعشتوه طيلة أيام رمضان...

المعهد الوطني للإحصاء هو كيف ما تعرفو مؤسسة وطنية تأسست نهاية ستينات القرن الماضي وكان مازال عندي شوية ذاكرة تأسس بمقتضى قانون مالية،عنده صبغة إدارية وغير تجارية...من هاك الوقت لهذي ساعة وكيف ما يدل عليه إسمه يتولى نشر أهم المؤشرات الي تهم البلاد من عدد السكان ونسب التمدرس ونسب البطالة وحال الميزان التجاري ونسبة النمو ونسب الفقر إلخ...بون باش الواحد يكون موضوعي نوعا ما ،الأرقام الي كان ينشرها المعهد ماكانتش تكذب (نحكي على قبل الثورة) لكنها تتجمل PAR OMISSION مثلا الناس تصدمت بالتقارير المصورة لمناطق كانت(والله أعلم زعمة مازالت وإلا لا ؟) تعاني من الفقر وفمة حتى شكون شكك في مصداقية عمل المعهد والحال أنه كان ينشر في نسب الفقر المتقع وتراجع عدد المساكن البدائية و...لكن ما يشيرش لنسب الفقر بصورة عامة وتراجع المقدرة الشرائية وأعداد المنقطعين على الدراسة وعلاقتها بسياسات الدولة يعني ما تظهر كان شطر الصورة.

من غير تطويل، الأرقام الي نشرها معهد الإحصاء مؤخرا ،بعد توصيف رئاسة الحكومة الوردي،وقبل إقالة الرئيس المدير العام ثم تعيين ر.م.ع جديد أظهرت تقريبا الصورة كاملة(تراجع نسبة النمو،عجز الميزان التجاري ،نسبة التضخم ،نسبة البطالة...يعني تقريبا حاجة ما تخليش اللوحة وردية مائة بالمائة !

لكن وموش لازم نذكركم أنا مخي نبار 100%ومخي هذا قعد يتصور في كيفاش تنجم تولي المؤشرات منو هكة:مثلا نسبة التضخم تنجم تولي ناقص 25%،الفسفاط باش تتزاد نسبة التصدير والمداخيل وتوصل 200%،البطالة باش تولي نسبتها قريبة من الصفر ،العنف المسلط على النساء باش نقضيو عليه ومشاكل الهجرة الغير نظامية كيف كيف باش توفى وهكة نحققو نسبة سعادة بعشرة آلاف في المائة!

وأنا سارح في الأحلام وتمددت انتظاراتي حتى لتنقيص نسب الفائدة متاع القروضات وتهبط عليا "ماسة"بيان البنك المركزي بعد أول اجتماع لمجلسه برئاسة المحافظ الجديد،في البيان هذا طلعلنا شوية المورال وقال راهو فمة تحسن لكن(ماهي الكلمة هذي لازمة باش تزيدنا سعادة!)الوضع مازال يتطلب الحذر والمتابعة ولذا خلي نسبة الفايدة هكاكة!

موش على حاجة ،أما الراجل مازال كيف تعين ولا فايدة في تصوير الواقع بلا تجميل...

الحاصيلو أحنا توة في النصف الثاني من شهر رمضان الفضيل وموش لازم نزيدو في ها المعدل!

الي عاملتو فيا قفتي يزي ،تي ساعة ساعة نمد يدي باش نهزها تطيح كاينها تحب تقلي على طرف دجاج وخبزة وقتة معدنوس تقيم فيا من قيلولتي؟

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلّاح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

مؤسّساتهم على حافة الإفلاس :

باعثون شبان يتهمون وزارة التربية بتوريطهم في التداين

محمد الجلالي

احتقان في صفوف عشرات الباعثين الشبان نتيجة ما اعتبروه خذلانا رسميا بعد دفعهم الى بعث شركات ناشئة واجبارهم على الاقتراض والتداين من أجل الحصول على صفقات عمومية بالتفاوض.

فالشركات الناشئة التي لم تمض على بعثها سوى بضعة سنوات للعمل في مجال صيانة المعدات والشبكات الاعلامية تواجه مصيرا مجهولا بسبب عدم ايفاء وزارة التربية بالتزاماتها تجاهها رغم ابرامها منذ 5 مارس 2019 اتفاقية مع وزارة التشغيل تنص على مرافقة 100 باعث شاب ومساعدتهم على انشاء مؤسسات صغرى ثم تمكينهم من صفقات بالتفاوض المباشر طيلة 3 سنوات مع الالتزام بتوفير اعتمادات سنوية في حدود 200 الف دينار الى ان يشتد عودها وتحقق توازنها المالي.

خلال سنة 2019 فتحت وزارة التربية بالاشتراك مع وزارة التشغيل مناظرة لانشاء شركات صغرى في اختصاصي الاعلامية والبناء لتكليفها بصيانة المؤسسات التربوية وتعهد شبكاتها الاعلامية تم على إثرها قبول 100 باعث شاب منهم 25 في اختصاص الاعلامية على ان يتم سنويا تمكين كل باعث من 200 الف دينار مقابل انجاز اشغال عمومية في اختصاصه. وعلى ضوء العقود المبرمة بعث كل شاب شركة وانتدب ما لا يقل عن 3 عمال واقتنى التجهيزات الضرورية بعد الحصول على قرض من البنك التونسي للتضامن.

من الحلم الى الخيبة

الاتفاقية التي تم ابرامها بين وزارتي التربية والتشغيل نصت على ان يتمتع الباعثون طيلة 3 سنوات بصفقات عبر التفاوض المباشر مع وزارة التربية مما فتح المجال امام عشرات الاطارات من حملة الشهائد العليا للحلم بدخول عالم المال والاعمال والمساهمة في خلق مواطن شغل وتحريك عجلة التنمية لكن حصل ما لم يكن في حسبانهم خاصة بالنسبة لمن اختصوا في صيانة التجهيزات والشبكات الاعلامية.

يقول مراد وهو صاحب شركة ناشئة "بعد إمضائي أول عقد مع وزارة التربية تبين لي مثل بقية الزملاء ان قيمة الصفقة التي لم تتجاوز 120 ألف دينار في السنة كانت مخيبة لآمالنا ولا تتلاءم مع مجمل النفقات والالتزامات المحمولة على عاتقنا. لقد كنا ننتظر أن يتم تمكين كل باعث من 200 ألف دينار بالنظر للمخططات التقديرية التي قدمناها للوزارة".

ويضيف "لكن ما راعنا الا ووزارة التربية تخالف في أول صفقة الاتفاقية بتمكيننا من 120 الف دينار بدل 200 ألف دينار ولم يغط ذلك المبلغ نفقات شركاتنا ووجدنا أنفسنا في مأزق مع البنك التونسي للتضامن والقباضة والضمان الاجتماعي ثم ماطلتنا الوزارة في السنوات التي تلت ولم تجدد لنا العقود بدعوى عدم وجود اعتمادات".

ويواصل الشاب "في الاثناء بتنا في مواجهة عدول تنفيذ يطالبوننا بشكل دوري بخلاص الاقساط البنكية والايفاء بالتزامتنا بعد ان حصلنا على صفقة واحدة طيلة 4 سنوات بمبلغ اقل مما تم الاتفاق عليه".

مراسلات وتسويف

من جهته يؤكد عبد السلام ان اصحاب الشركات الناشئة تحوّلوا الى مقر الوزارة في مناسبات عديدة وبعثوا الى الوزير مراسلات كثيرة متهما الوزارة باعتماد سياسة قائمة على التسويف.

أما بالنسبة لوزارة التشغيل التي تعتبر طرفا في الاتفاقية فقد اكد مسؤولون بها عند استنجاد الباعثين بها انهم لا يستطيعون اجبار وزارة التربية على احترام الاتفاقية وانهم سيعملون على ايجاد صفقات مماثلة مع ادارات عمومية أخرى دون ان يتم تجسيم هذا الوعد وفق تأكيد عبد السلام.

الشاب أفاد بأنه كان بامكان وزارة التشغيل التنسيق مع وزارات ومؤسسات عمومية اخرى لابرام اتفاقات مع الباعثين الشبان حتى تستفيد منهم الادارة ولا يتم اغلاق عشرات الشركات الناشئة وفقدان العديد من مواطن الشغل.

واعتبر ان وزارة التربية لم تعتبر من تجارب سابقة لباعثين شبان كانوا قد تعاقدوا مع وزارة التجهيز لافتا الى انهم مازالوا يواجهون مشاكل مالية جمة رغم حصولهم على صفقات بـ 200 ألف دينار.

و قال "حتى من جدّد الاتفاق مع الوزارة مقابل مبلغ سنوي لا يتجاوز 120 ألف دينار لم يحصل الى حدود اليوم على مستحقاته رغم انجاز أشغاله منذ أشهر".

وتساءل "هل يعقل ان يتحدث وزير التربية متفاخرا عن تجهيز مئات المدارس بألياف بصرية عالية التدفق فيما لا تزال بينتها الاعلامية وتجهيزاتها مهترئة وفي منأى عن تدخّل الباعثين الشبان؟

يذكر أن وزير التربية محمد علي البوغديري كان قد أعلن يوم 19 فيفري الماضي أنه سيتم مع حلول شهر أفريل القادم ربط أكثر من 4 آلاف مؤسسة تربوية بألياف بصرية عالية التدفق مع وضع لوحات للطاقة الشمسية على أسطحها.

رفض التأشير

ماجد احد الشبان المقبولين في برنامج "جيل جديد من الباعثين" في اختصاص صيانة المعدات والشبكات الاعلامية تحدث من جانبه عن اضطرار زملاء له للقبول مؤخرا بصفقات بقيمة 120 ألف دينار رغم انها لا تغطي نفقات شركاتهم متهما من جهة أخرى وزارة التربية بالتنكر للاتفاقية الموقعة معها.

وقال "نحو 7 باعثين امضوا مؤخرا على انجاز اشغال صيانة معدات اعلامية اعتماد على عقود تعود الى 2023 وهذا غير قانوني والدليل على ذلك ان اغلب مراقبي المصاريف العمومية في مختلف الجهات رفضوا التأشير على هذه الصفقات".

وتابع " فمن جهة رفضت الوزارة الترفيع في قيمة الاعتمادات الى 200 ألف دينار بينما تم رصد مبلغ قيمته 5 ملايين دينار لبرنامجنا وهذا موثّق في ميزانية وزارة التربية لسنة 2024 مما يعني ان مبلغ 5 ملايين دينار يكفي لخلاص كل الشركات الناشئة (عددها 24) بـ 200 ألف دينار لكل شركة ومن جهة اخرى تم الضغط على عدد منا للتوقيع على انجاز اشغال بعنوان سنة 2023 التي لم تشهد رصد اية اعتمادات حسب تأكيد عديد المسؤولين بالوزارة".

ورجّح ماجد ان يكون الاتفاق الذي فرضته الوزارة مجرّد التزام بين الباعث والمندوب الجهوي للتربية دون المرور بصفقة عبر التفاوض المباشر.

وأوضح قائلا "هذا الاتفاق لا يعتبر صفقة ولا يمكن اعتباره كذلك الا اذا مر بلجنة الشراءات العمومية التي تصادق عليه وقبل ذلك بتأشير مراقب المصاريف العمومية" مشددا على ان عددا من مراقبي المصاريف رفضوا التأشير على الاتفاقات وعلى انهم أكدوا لهم أنها غير قانونية.

ولفت الى ان احد المراقبين قال له بصريح العبارة "نحن نعمل في السنة المالية 2024 ومن غير المعقول تسجيل صفقات بعنوان سنة 2023".

واتهم الشاب بعض مندوبي التربية بالتعسف على زملائه عبر مطالبتهم بانجاز أشغال اضافية ثم التملص من خلاصهم بدعوى ان الادارة لا تملك الاعتمادات اللازمة لذلك.

يشار إلى أن الباعثين الشبان تطرقوا الى هذه النقطة خلال جلسة عمل جمعتهم يوم 6 سبتمبر الماضي بعدد من مسؤولي وزارتي التربية والتشغيل مما دفع ممثلة عن وزارة التربية إلى حث الباعثين الشبان على التقيد بالاشغال المتفق عليها وإلى الاشارة الى ان الوزير ارسل مذكرة الى المندوبين الجهويين لدعوتهم الى تيسير مهامه الباعثين الشبان.

كما أدى استنجاد الباعثين برئاسة الحكومة الى توجيه أحمد الحشاني مراسلة الى وزارتي التربية والتشغيل يوم 18 سبتمبر المنقضي للتنصيص على ضرورة تمكين كل باعث شاب ممن تم اختيارهم ضمن برنامج "جيل جديد من الباعثين" من صفقات عبر التفاوض المباشر خلال ست سنوات متتالية على ان تتراوح قيمة الصفقات بين 200 و100 ألف دينار.

في الأثناء اعتبر عدد من الباعثين في تصريح لأسبوعية "الشارع المغاربي" انه تم توريطهم في مآزق بالزج بهم في استثمارات والتزامات مالية دون مرافقتهم او تمكينهم من صفقات عمومية تم الاتفاق عليها سلفا فيما قال آخرون ان أبواب السجون باتت مشرّعة أمامهم بسبب تراكم الديون وعجزهم عن الايفاء بالتزاماتهم تجاه بنك التضامن او بعض المزودين رغم كل الوعود التي تلقوها عند الترويج لبرنامج "الباعثين الجدد".

GEELY
SOTUDIS
GX3PRO
DRIVE FOR A BETTER LIFE
GX3PRO
VISITEZ NOTRE SITE WEB
WWW.GEELY-TUNISIE.COM
DISPONIBLE DANS NOS SHOWROOMS
TUNIS | SOUSSE | SFAX | GABES
APPELEZ-NOUS AU
70 131 000
SUIVEZ-NOUS

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

انتاج تونسي على منصة «علي بابا»

مع انطلاق انشطة شركة «علي بابا» للتجارة الالكترونية في بلادنا باتت الفرصة متاحة أمام الشركات التونسية للانفتاح أكثر على الاسواق العالمية وعرض منتوجاتها على موقع العملاق الصيني الرائد في التسوق الالكتروني.

المنصة الصينية استهلت انشطتها ببلادنا ببرنامج تدريبي بالشراكة مع جامعة خاصة ثم أرست تعاونا اقليميا مع شركة محلية تحمل اسم «سمسم» لمرافقة المصدرين التونسيين وإدماجهم ضمن المزودين المتعاملين مع موقع Alibaba.com

سامي التونسي مدير شركة « سمسم» أفاد بأن الشراكة مع "علي بابا" ستفسح المجال أمام المصدرين لتعزيز الانتقال الرقمي وستمكنهم من الولوج إلى الأسواق العالمية من خلال عرض منتوجاتهم على المنصة التي تحتوي على أكثر من 50 مليون مسؤول عن الشراءات في العالم ثم تمكينهم من البيع على مختلف منصات التجارة الالكترونية التابعة للمجموعة التي يزورها ما يناهز مليار حريف يوميا.

المستثمر التونسي أفاد أيضا بأن"سمسم" بوصفها شريك إقليمي لمجموعة علي بابا في تونس، سترافق الشركات المحلية وتعرّف بالمصدّرين لدى المجموعة الصينية مع مساعدتهم على التواجد بالمنصة ووضع خط هاتفي للإجابة عن تساؤلات الشركات والمنتجين الراغبين في الانضمام إلى المنصة.

ومع ذلك يبقى سَنّ مجلة صرف جدية بوابة لتذليل اية صعوبات في طريق المعاملات المالية الدولية وتيسير المبادلات الالكترونية التي اصبحت واقعا لا مفر من التعامل معه لمسايرة التجارة الدولية الحديثة.

رديء

تجاهل البنايات المتداعية

بانهيار أرضية بناية بنهج باب الخضراء من ولاية تونس يوم أمس الاثنين يعود ملف البنايات الايلة للسقوط الى واجهة الاحداث داقا ناقوس خطر تمثله عشرات الآلاف من البنايات التي تهدد السكان وتنذر بوقوع ما لا تحمد عقباه في صورة عدم ايلاء الموضوع الاهمية التي يستحقها.

اللافت ان البنايات المتداعية تمثل حوالي 6 % من الرصيد السكني الوطني المشيّد منذ سنة 1956 حسب احصاءات اصدرتها وزارة التجهيز سنة 2018 مما يعني وجود جرد عمومي للمساكن التي باتت تشكل خطرا على شاغليها أو على الغير وتتطلب الترميم او الهدم.

والغريب أيضا ان الملف كان منذ سنة 2018 محل اهتمام برلماني بإيداع مشروع قانون يتعلق بالبنايات المتداعية دون أن يتحول الى قانون ثم ايداع مشروع ثان في نوفمبر الماضي وإحالته إلى لجنة التخطيط والتنمية والبنية التحتية قبل أن تختفي اخباره رغم مرور أكثر من 4 شهور.

وفي ظل تجاهل ملف بهذا الحجم سواء على مستوى مجلس النواب او بالنسبة للبلديات والولايات لم تعد الجدران المتصدعة في عديد المدن والبنايات الايلة للسقوط في الاحياء وحتى أشهر الشوارع بالعاصمة مجرد عناوين بارزة لتلوث بصري يقض مضاجع المارة بل تحولت الى خطر داهم يهدد مئات الآلاف من السكان.

الكرة اليوم في ملعب مختلف السلطات المركزية والجهوية للتعاطي بكل جدية مع مسألة قد ترتقي الى مستوى الامن القومي.

صورة تتحدث

تمكن مرشح المعارضة بصيرو ديوماي فاي من الفوز بالانتخابات الرئاسية السينغالية. وبذلك يكون السياسي البالغ من العمر 44 سنة أصغر مرشح يفوز في السباق الرئاسي السينغالي. هذا الرئيس الخامس مثّل حدثا سياسيا لافتا في البلاد بتقلد المنصب بعد قضاء سنة في السجن من أجل قضية تتعلق بحرية التعبير.

قالوا

قيس سعيد

الاستقلال ليس وثيقة وُقعت لكنه من اكبر الامانات التي يجب الحفاظ عليها. فالاستعمار عن بعد ليس اقل خطرا من الاستعمار المباشر ... نواجه تحديات كبيرة لكن ارادتنا في رفعها كلها لا تقل عن ارادتنا في الحفاظ على حريتنا وعلى استقلالنا وفي تحرير الوطن من الفاسدين والمفسدين. فهذا الوطن العزيز الذي زكته دماء الشهداء ليس ارضا نعيش فوقها بل الدم الذي يجري في عروقنا والهواء الذي نستنشقه ونريده نقيا لا من التلوث بالمعنى المعهود ولكن نقيا طاهرا مطهرا من اللوبيات ومن الخونة والعملاء .

حاتم المزيو

قلنا مرارا اننا نريد من السيد رئيس الجمهورية وكل السلط في البلاد ان تتقبل هذه المواقف وهذه البيانات بتفاعل ايجابي... هذا ما نطالب به وربما حان الوقت للوقوف على هذه الممارسات التي تقلقنا كثيرا ...حان الوقت للوقوف عليها والحديث عنها من قبل الجميع لانها ليست مجرد مسائل مهنية أو قطاعية بل هي مسائل تهم الحريات وتهم استحقاقات المواطن التونسي ولما ندافع عن اي متهم او اي ذي شبهة فمن غير المعقول ممارسة تضييقات على المحامي .. هذه التضييقات غير مقبولة وربما تعكس لدى جزء معين في السلطة رؤية للمحاماة تختلف عن رؤية رئيس الجمهورية الذي على العكس من ذلك عبّر عند استقبالي عن احترامه لها.

رضا الشكندالي

وددت لو تمّ أولا تحديد رؤيتنا الاقتصادية قبل التوجه نحو اصدار القوانين فمن الجيد ان تكون لك مجلة صرف جيدة لكن ما العمل عندما تكون هناك مجلة استثمار مُكبّلة؟ وبالتالي لا بد من الاعلان عن رؤيتنا الاقتصادية وبعدها نؤسس هذه الرؤية بقوانين ولكن ما نراه حاليا هو اننا نتوجه نحو اصدار قوانين متناثرة بلا خيط ناظم وبلا رؤية اقتصادية واضحة واخشى ما نخشى ان يحصل تضارب بين هذه القوانين ...

فاطمة المسدي

في الحقيقة تلقينا منذ مدة مشروع قانون اتفاقية مقر لصندوق قطر للتنمية ولست وحدي من يعارض المشروع بل هناك العديد من النواب الاخرين وفوجئنا نوعا ما باعادة هذا المشروع الى البرلمان خاصة اذا علمنا انه كان من بين اسباب المطالبة بحل البرلمان السابق وكانت هناك العديد من التحركات من قبل النواب الذين حاولوا التصدي لتمرير الاتفاقية ورغم ذلك تمت المصادقة عليها بـ"الغمّة" خلال فترة جائحة كورونا قبل 15 يوما من حل البرلمان السابق وتم التصويت عليها خلال جلسة انعقدت عن بعد يوم 30 جوان 2021 لكن ما راعنا في مثل هذه الفترة ونحن في برلمان 25 جويلية الا عودة هذه الاتفاقية الى البرلمان للنظر فيها مرة اخرى.

نافع العريبي

الاحتفاظ بمحمد بوغلاب جاء على خلفية شكاية تقدمت بها احدى الموظفات بوزارة الشؤون الدينية ويمكن القول ان هناك "عركة" بين بوغلاب وهذه الوزارة منذ اكثر من سنة ونذكّر بقضية السيارة التي كانت محجوزة في الديوانة ووضعت على ذمة وزير الشؤون الدينية ثم اتضح انها كانت موضوعة عن غير حق وتدخل القضاء واعاد السيارة الى الديوانة وفي هذه المرة أثار بوغلاب سفريات الوزير والمأموريات بالخارج واكتشف ان وزير الشؤون الدينية سافر في مناسبتين الى السعودية في اقل من شهر وأثار اشكال مرافقة الوزير خاصة ان بوغلاب كان قد ذكّر ببعض المناشير الحكومية في هذا الغرض والتي تؤكد على ضرورة تنظيم مسألة المأموريات والسفريات الى الخارج وترشيدها وبوغلاب لم يسقط في الثلب ولم يذكر الموظفة بالإسم وذكر ان الوزير كان مرفوقا بمسؤولة هي موظفة في قسم الاعلامية وهناك معلومة لم يكشف عنها هي ان نفس الموظفة تحوّلت مع الوزير للجزائر للمشاركة في ندوة حول المذهب الحنفي وتساءل عن علاقة الموظفة في الاعلامية بالموضوع ؟

جنرال ألماني: لابد من حل سياسي للحرب الدائرة بأوكرانيا

أميرال أمريكي: "عندما أقيّم درجة الردع التي نملكها مقارنة بما تملك الصين أدرك أن سفينتنا تغرق رويدا رويدا"

ترجمة : الحبيب القيزاني

خلال ندوة صحفية عقدها منذ أسابيع تطرق الجنرال Harald Kujat الذي شغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش الالماني من 2000 الى 2002 وترأس اللجنة العسكرية للحلف الاطلسي من 2002 الى 2005 وكذلك المجلس العسكري الروسي-الاطلسي ومجلس التنسيق بين رؤساء أركان الجيوش الاورو-اطلسية، الى الحرب الدائرة بأوكرانيا وأسبابها وتداعياتها الجغراسياسية على القارة الاوروبية والى التنافس الامريكية-الصيني على الهيمنة العالمية خالصا الى وجوب سيادة السياسة على العسكري لاحتواء الصراعات بين الدول العظمى.

وقال الجنرال كاوجات : "بالنظر الى الاختلاف الكبير بين المصالح المتشابكة للدعاية والاخبار الكاذبة بل وحتى الأراجيف المتشابكة في الحرب الدائرة بأوكرانيا وتورط العديد من الدول في هذا البلد وأيضا من حوله يبدو أحيانا للناظر أنه أمام عقدة شباك صيد محكمة الربط.

ولكن دعنا نبدأ أولا بإلقاء نظرة خاطفة على الوضع الجغراسياسي قبل الدخول في تفاصيل هذه الحرب.

فقد تميّز القرن العشرين بصعود الصين كقوّة اقتصادية وعسكرية عالمية وبوجود تنافس بين القوى العظمى الثلاث: الولايات المتحدة وروسيا والصين. وقد أذكت الحرب الدائرة بأوكرانيا ديناميكية جديدة في علاقات هذه القوى العظمى بما في ذلك التنافس القائم بينها.

لكنها أوضحت بما لا يدع مجالا للشك أن الصين وحدها وليس روسيا هي القادرة على خلافة الولايات المتحدة كقوة أعظم، وتؤكد تقديرات الاستراتيجية الوطنية الامريكية الحالية على ما يلي : ان جمهورية الصين الشعبية هي المنافس الوحيد الذي ينوي في نفس الوقت إعادة تشكيل النظام العالمي والذي بصدد امتلاك قوة اقتصادية ودبلوماسية وعسكرية وتكنولوجية للقيام بذلك. فبكين تطمح لاقامة منطقة نفوذ واسعة تشمل المحيطين الهندي والهادئ لتصبح بذلك القوة المهيمنة عالميا ولهذا السبب تراهن الولايات المتحدة في الحرب الدائرة بأوكرانيا على إضعاف روسيا منافسها الثاني على الصعيد الجغراسياسي والاقتصادي

الجنرال هارالد كوجات

الاميرال شارل ريتشارد

والعسكري حتى يمكنها التركيز على مواجهة الصين التي تعتبر أخطر منافس لها. ولتحقيق هدفها الاستراتيجي سعت الولايات المتحدة الى إقامة تعاون وثيق مع أوروبا ووجدت بالخصوص في الحكومة الألمانية الحالية لا حليفا متطوعا في شخص المستشار أولف شولدز مثلما تجلى ذلك في اخر زيارة له لواشنطن فحسب وانما حليفا متطوعا. ذلك أن المستشار الألماني الحالي يبدو مستعدا للعب دور الزعيم في الحرب الدائرة بالوكالة في أوكرانيا. غير أنه تجدر الإشارة الى أنه من المنتظر ان يتورط الحلفاء الأوروبيون مستقبلا في نزاع مسلح مع الصين مع انضمام استراليا واليابان ونيوزيلندة وكوريا الجنوبية الى بلدانهم لتشكيل شبكة من الحلفاء والشركاء في المحيطين الهندي والهادئ مناوئة للصين.

ويمكن ان يرى البعض في ذلك تحركا ماكرا من طرف الولايات المتحدة يتمثل في توجيه ضربة بادئ الأمر الى روسيا أضعف المنافسين الجغراسياسيين ثم الالتفات الى الصين، الخصم الاقوى وذلك طبعا عبر حرب بالوكالة وغير مباشرة. على أنني أرى تماما مثل الخبير الاستراتيجي هيرلاين اينمان ان الولايات المتحدة سترتكب خطأ كبيرا اذا دخلت في مواجهة عسكرية – استراتيجية على جبهتين ضد روسيا والصين. ويصف هيرلاين ذلك بقنبلة زمنية ولذلك تمثل حرب أوكرانيا منعرجا بالنسبة لاوروبا.

فهي تكشف عن تصميم على شق طريق اثبات الذات جغراسياسيا وسياسيا واقتصاديا وتكنولوجيا وأخيرا وليس آخرا عسكريا. أن الكثير من الاحداث التي رافقت خلال العامين الماضيين تطورات الحرب الدائرة بأوكرانيا يصبح مفهوما عندما نعلم ان المانيا تلعب دورا هاما الى أبعد الحدود على رقعة الشطرنج الجغراسياسية الامريكية وخصوصا في اطار استراتيجية أمريكا إزاء روسيا. ويرى جورج فريدمان العالم والمفكر الجغراسياسي امريكي المشهور انه من الواضح ان اتحاد روسيا وألمانيا يمثل القوة الوحيدة التي يمكنها أن تمثّل تهديدا لعرض الولايات المتحدة. ولهذا السبب – يضيف فريدمان – تصر أمريكا على التأكد من ان ذلك لن يحصل. وحسب فريدمان ليس هناك ما يخيف أمريكا اكثر من زواج بين رأسمال وتكنولوجيا المانيا والثروات الطبيعية وطاقة الإنتاج الروسية.

انها التشكيلة الوحيدة التي يهابها الامريكان منذ قرن وفق تحليل فريدمان. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي وحلّ حلف فرصوفيا حاولت روسيا التقرب من الحلف الأطلسي وكانت الفكرة الرئيسية التوصل الى تنسيق وثيق مع الناتو في ما يتعلق بمصير دول حلف فرصوفيا المحلّ والجمهوريات السوفياتية التي أعلنت استقلالها وخصوصا دول بحر البلطيق. كانت

نية روسيا حلّ الازمات والنزاعات بالتنسيق مع الحلف الأطلسي بما يجنّب الجميع مواجهة مباشرة بين الناتو وروسيا وقد مكّنت اول معاهدة بين روسيا والحلف الأطلسي (سنة 1997) وكذلك بعث مجلس مشترك بين روسيا ودول الحلف الأطلسي من وضع أسس قاعدة مشتركة للتفاهم بين الطرفين ومرّت مدة اتسمت بتنسيق سياسي وثيق وتعاون عسكري. اما الصين فتتبنى مقاربة معتدلة بخصوص حرب أوكرانيا وترى ان الاخطار العالمية تزايدت منذ اندلاع الحرب المذكورة وأن الدول الغربية تتحمل مسؤولية نشوبها وذلك لأنها دمرت النظام العالمي القائم.

تدعم الصين التعاون مع روسيا ويأمل البلدان في المساهمة في بناء عالم متعدد الأقطاب بما من شأنه حسب كلمات وزير الخارجية الصيني وونغ لي أن يقود الى زوال الهيمنة الأمريكية. ويمكن لقضية تايوان أن تمثل ذروة التنافس الجغراسياسي الأمريكي-الصيني. فقد التزمت الولايات المتحدة بمناسبة إقامة علاقات دبلوماسية مع تايوان عام 1969 بمدّ الجزيرة بالأسلحة وبأشكال أخرى من المساعدات الضرورية للدفاع عن نفسها لكن العلاقة بين الجانبين لم تشهد تجسيدا كاملا للاتفاق اذ حافظ كل رؤساء أمريكا الى اليوم على نوع من الغموض بخصوص هذا الموضوع غير أن الرئيس الأمريكي الحالي ابتعد عن هذا الخط ووضع حدّا لتناقض بلاده الاستراتيجي. وفي ردّه على سؤال حول ما اذا كانت قوات بلاده ستدافع عن الجزيرة في حال تعرضها لهجوم صيني أجاب جو بايدن بالإيجاب.

أما الرئيس الصيني فقد صرّح أكثر من مرة بأن بلاده مستعدة لتحقيق وحدة مع تايوان بطرق سلمية إلاّ اذا لم يكن هناك خيار آخر سوى الحرب. وقد قال "شي" في هذا الصدد "نحن متشبثون بكل صدق بالبحث عن أفق توحيد سلمي...

وفي نفس الوقت ليس هناك أي التزام للتخلي عن القوة وتبقى إمكانية اتخاذ كل الإجراءات الضرورية واردة. ان توحيدا كاملا للوطن ممكن التحقيق بل هو من المسلمات وأنا على يقين بأن الولايات المتحدة قد لا تكون مستعدة ولا قادرة على الدفاع عن تايوان. ولا يعود ذلك الى الميزات الجغراستراتيجية الهائلة التي تتمتع بها الصين والى تنامي قوة جيشها الكلاسيكية بما في ذلك تفوقه في الميدان الاستراتيجي التكنولوجي مثل منظومات الأسلحة الفرطصوتية فحسب ولكن أيضا نتيجة لحاق الصين بالقوتين النوويتين العظميين الولايات المتحدة وروسيا على الصعيد النووي الاستراتيجي. وقد صرّح الاميرال الأمريكي شارل ريتشارد لما كان قائد القيادة الامريكية الاستراتيجية والمسؤول عن استعمال السلاح النووي الأمريكي في تعليق له على الحرب الدائرة بأوكرانيا "ما نراه ليس سوى مجرّد عملية احماء... الأزمة الكبرى قادمة وسنكون أمام اختبار لم نعشه منذ أمد بعيد. فعندما أقيّم درجة الردع التي نملكها مقارنة بما تملك الصين أدرك أن سفينتها تغرق رويدا رويدا ولكنها على كل حال تغرق". لقد ساعدت الحرب الدائرة بأوكرانيا على تكوّن كتل جغراسياسية متنافسة. فبينما يحدث تقارب بين الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي، تشكلت كتلة ثانية حول الصين وروسيا، وتتكون نواة هذه الكتلة من مجموعة دول "بريكس" المزعومة التي تضمّ البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب افريقيا وكذلك من اتفاق التعاون الموقع بين مجموعة شنغاي التي تضمّ الصين والهند وايران وكازاخستان وغيرغيزستان وباكستان وروسيا وطاجاكستان وأوزباكستان. وتتعاون الصين تعاونا وثيقا مع العربية السعودية على صعيد سوق النفط العالمية وفي ميدان استعمال الطاقة النووية ودعمت بكل قوة انخراط العربية السعودية في مجموعة "بريكس". وزيادة على ذلك تدفع الصين نحو تكوين عملة احتياط ترتكز على المواد الأولية لمنافسة ما يسمى البترودولار أي الدولار بهدف بعث عملة مرجعية عالمية قائمة على معيار ذهني. واذا علمنا ان القوة الامريكية تقوم أساسا على نفوذ الدولار وجدنا أنفسنا أمام طريقة ذكية لتحقيق الغلبة في المنافسة الدائرة بين البلدين.

فقد تم مطلع عام 2023 قبول العربية السعودية المعروفة بأنها حليف تقليدي للولايات المتحدة وايران والامارات العربية المتحدة والأرجنتين ومصر وأثيوبيا كأعضاء جدد في مجموعة "بريكس" وهذا يعني أن 3،8 مليارات بشر من مجموع سكان العالم توحدوا في حلف اقتصادي وهنا أريد أن أضيف أيضا أن هناك اليوم 40 بلدا ترغب في الانضمام الى مجموعة "بريكس" منها الجزائر وأندونيسيا وباكستان والمكسيك ونيكاراغوا والأورغواي وفنزويلا بل وحتى بلدين من الحلف الأطلسي هما اليونان وتركيا. ان اهتمام خاصة بلدان من أمريكا اللاتينية بالانضمام الى مجموعة "بريكس" شيء مؤلم جدا. وتبذل الولايات المتحدة جهودا مضنية لمنع انخراط المكسيك في مجموعة "بريكس" ولكن بسبب التطور الذي تحدثت عنه فإنه من الأهمية بمكان أن يعزّز الأوروبيون قدرتهم على التعبير عن وجودهم ويصبحوا فاعلا مستقلا في السياسة الدولية.

ويتضمن ذلك أيضا القدرة علي استباق النزاعات واحتوائها ووجوب توفّر طاقة أمن ودفاع أوروبيين واضحين على مستوى المحيط الأوروبي أين تخوض القوى العظمى منذ سنوات صراعا من أجل الحصول على مناطق نفوذ.

أما القوى الإقليمية فتقود حربا بالوكالة من أجل هيمنة جهوية فيما تناضل الأقليات العرقية والدينية للحصول على حق تقرير المصير والاستقلال. وتمثل الكثافة السكانية العالية والصراعات الدينية الى جانب تسبّب كوارث كبرى من الجفاف في تدمير أسس الحياة الطبيعية تربة خصبة للمجموعات الإرهابية الإسلامية والاصولية. وتحدث هذه الكوارث في منطقة تمتدّ من الشرق الأوسط الى افريقيا. وقد قادت الحرب الدائرة بأوكرانيا الى مفرق طرقات. وهذه الحرب لا تتعلق بأمن ووحدة أراضي أوكرانيا فحسب وانما أيضا بنظام أمن وسلم أوروبي يشمل كل دول القارة الأوروبية.

وزيادة على ذلك فإن تداعيات هذه الحرب الكارثية على اقتصادات الدول الأوروبية وخصوصا منها ألمانيا تتضح أكثر فأكثر مع مرور الأيام. فنقطة انطلاق أي حرب هي دائما كوكبة من الدوافع والاهداف السياسية ولا أريد أن أدخل بالمناسبة في تفاصيل حرب أوكرانيا ولكنه من المهمّ أن نفهم أن اندلاع أي حرب لا يتم ببساطة. مثال ذلك أن بوتين لا يقرر ذات يوم على طاولة فطور الصباح غزو أوكرانيا فوراء كل حرب حكاية طويلة وكل حرب تقود الى وضع سياسي جديد والسؤال هو طبعا معرفة كيف سيكون الوضع الذي ستتمخض عنه هذه الحرب؟ هي سيكون وضعا دائما؟ اذا كان هذا ما ستكون عليه الحالة فلا بدّ أن هناك حلاّ سياسيا يكون مقبولا من جميع الأطراف. ولهذا السبب يطالب كلوويتز بأن تكون الغلبة دائما للسياسة في أية حرب وأن يواصل رجال السياسة محاولات التوصل الى حلّ رغم تواصل المعارك.

يتبع

... مسبّقا

خلال مشاركته في برنامج تلفزي محلّي، أكد الرئيس الصربي ألكسندر فوشيك يوم الجمعة الماضي أنه "تم اعلام الولايات المتحدة وبريطانيا مسبّقا بالهجوم المسلح الذي استهدف حفلا موسيقيا بموسكو".

وكشف فوشي ان سفارة أمريكا بموسكو حذّرت يوم 7 مارس الرعايا الأمريكيين من التردّد علي الفضاءات التجارية بالعاصمة الروسية وأن بريطانيا ودولا غربية أخرى نسجت على منوالها.

وأضاف فوشيك : "تحذير السفارة الامريكية ومعها السفارات الغربية رعاياها يعني حصولها على معلومات حول حدث شيء من قبيل الهجوم المسلح الذي جدّ في قلب موسكو وهذا شيء قلناه مرارا وتكرارا لكن قليل جدا من الناس يصغون لكلامنا وقليل جدا من الناس يريدون تصديق ذلك وقليلون هم أولئك الذي يقدمون على التثبت في الوقائع".

حسابات ماكرون وسيف روسيا

في الخطاب الذي ألقاه اثر إعادة انتخابه رئيسا للفيدرالية الروسية، ألمح فلاديمير بوتين الى إمكانية التوصل الى تسوية في أوكرانيا مبنية على اقتراح كان قد طرحه القائد الأعلى السابق للحلف الأطلسي، الاميرال جايمس سترافيديس يتمثل في حلّ شبيه بالحلّ القائم بين الكوريتين يمثل في ظلّه نهر دنيبر حدودا طبيعية بين الجانب الروسي والجانب الاوكراني وتتخلى في ظله موسكو عن تحرير مدينة أوديسا وربط دولة ترانسنستريا بروسيا فيما تتخلى أوكرانيا عن شبه جزيرة القرم ومنطقة دونباس ومناطق هامة ممّا يعرف بـ "نوفاروسيا".

لكن قبل صدور ردّ من الحلف الأطلسي سارعت فرنسا على نشر فيلقها الأجنبي بمنطقة أوديسا نتيجة اعتقاد الرئيس ماكرون بأن روسيا لن تتجرّأ على مهاجمة مدينة أوديسا وضمّ نوفاروسيا وترانسنستريا.

سيرغي نارشكين، مدير المخابرات الروسية عبّر عن اعتقاده بأن فرنسا ستنشر 2000 رجل مضيفا أن "سيف" روسيا في انتظارهم.

موقع "الشبكة العالمية" قال تعليقا على قرار ماكرون

: "يبدو أن الرئيس الفرنسي لا يفقه شيئا من الثقافة الروسية وهو يخطئ عندما يعتقد أن موسكو لن تتجرأ على الهجوم بسبب حضور قوى نووية وهو يجازف بأن يكتشف على حساب جنوده أن القوة النووية التي تملكها فرنسا تسمح لها فقط بالدفاع عن نفسها وليس بفرض ارادتها".

حملة سرية

وكالة "رويترز" نقلت عن مسؤولين سابقين في الإدارة الامريكية ان الرئيس السابق دونالد ترامب "رخص لوكالة المخابرات الامريكية بشنّ حملة سرية هدفها تلويث سمعة الحكومة الصينية وتأليب الرأي العام العالمي على أعضائها".

وحسب تقرير "رويترز" "شكّلت الـ "سي.أي.ايه" عام 2019 فريقا من العملاء استعملوا هويات كاذبة على الانترنات لبث "حكايات سلبية عن حكومة الرئيس كسي جينبينغ وتسريب معلومات سيئة الى وسائل الاعلام الأجنبية".

ومن بين الحكايات الملفّقة التي تم نشرها على منصات التواصل الاجتماعي الصينية مزاعم حول إخفاء أعضاء الحزب الشيوعي الصيني الحاكم أموالا بالخارج الى جانب الادعاء بأن مبادرة "طريق الحرير" قائمة على عالم من الفساد وأنه لا خير يرجى منها.

كما نقلت "رويترز" عن مسؤولين أمريكيين سابقين الذين اتصلت بهم تأكيدهم ان إدارة ترامب كانت ترغب في بث شعور "جنون العظمة" لدى القادة الصينيين واجبار حكومة بكين على تخصيص أموال لمكافحة التطفّل على فضاء الانترنات التابع لها.

وفي ردّها على الخبر، نقلت "رويترز" عن وزارة الخارجية الصينية اشارتها الى أن ما كشف عنه مسؤولون سابقون بالإدارة الامريكية "يثبت أن واشنطن تستعمل المنصات العمومية كسلاح لنشر اخبار كاذبة والتلاعب بالرأي العام العالمي".

16 ٪ من أراضي غزة

صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية ذكرت أنّ خطّة "إسرائيل" لإنشاء "منطقة عازلة" داخل قطاع غزّة ستؤدي إلى سرقة نحو 16% من أراضي القطاع لصالح الكيان المحتل.

وكشفت الصحيفة أنّ كيان الاحتلال بدأ عملية بناء المنطقة التي تتضمن هدم منازل الفلسطينيين والأراضي الزراعية التي تعترض طريقها وأن عرض المنطقة العازلة نحو كيلومتر واحد.

ويصرّ جيش الاحتلال على أنّه بحاجةٍ إلى إنشاء منطقة عازلة في قطاع غزّة بذريعة منع وقوع استهدافات مُستقبلية على غرار ما حدث في 7 أكتوبر. لكن الخطّة تعزز أيضًا استيلاء الكيان على أراضي غزّة، ويفضل العديد من الوزراء في حكومة الاحتلال إعادة إنشاء المستوطنات داخل القطاع.

وأوضحت الصحيفة أنّه بالإضافة إلى المنطقة العازلة، تقوم "إسرائيل" أيضًا ببناء طريق سيقسم قطاع غزّة إلى قسمين.

الهدف الحقيقي

موقع "موندويس" الأمريكي نشر تقريرا أكد فيه وجود علامات استفهام كثيرة حول سبب اقتحام جيش الاحتلال الإسرائيلي مستشفى الشفاء للمرة الرابعة منذ أكتوبر، وسط انتشار دبابات وإطلاق نار كثيف تسبب في مقتل وجرح العشرات من المدنيين.

وأضاف الموقع أن قلة من المتابعين يعلمون أن الإيصال الناجح للمساعدات الغذائية إلى شمال قطاع غزة هو ما دفع الجيش الإسرائيلي إلى شن غارته القاتلة على مستشفى الشفاء في اليوم التالي.

وأوضح الموقع أنه لا يمكن تفسير العلاقة بين هذين الحدثين إلا من خلال فهم من كانت إسرائيل تستهدفه، وهو الشهيد فائق المبحوح.

وأفاد الموقع بأن المبحوح كان مدير العمليات في قوة شرطة غزة، التي تعدّ جزءا من الإدارة المدنية لحكومة غزة.

وأضاف الموقع أن المتحدثين العسكريين الإسرائيليين ووسائل الإعلام الإسرائيلية صرحوا بأن إسرائيل شنت "عملية دقيقة" على مستشفى الشفاء لاستهداف "أحد كبار نشطاء حماس" أو "قائد كبير في حماس"، الذي زعم الجيش أنه كان يخطط لشن هجمات على إسرائيل.

إشارةٌ قاتمة

صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية أشارت إلى أنه بينما يفكّر العالم في الشكل الذي قد تبدو عليه السياسة الخارجية لإدارة الرئيس الأمريكي السابق، دونالد ترامب الثانية، فإنّ كلمات المستشارين المقربين إليه وإلى أفراد أسرته، تقدم أدلةً مهمة على ما ستكون عليه.

ولهذا السبب، وفقاً للصحيفة، "أثارت تصريحات جاريد كوشنر الأخيرة، بشأن الصراع بين إسرائيل وغزة، كثيراً من الجدل، إذ أرسل ترامب، عبر كوشنر، بصفته مستشاره السابق للشرق الأوسط، إشارةً مفادها أنّ ولاية ترامب الثانية "قد تعني دعماً أمريكياً أكبر للإسرائيليين، الذين يريدون طرد الفلسطينيين من غزة وإعادة استيطان المنطقة".

وحسب "واشنطن بوست"، فإنّ فكرة، أنّ "حدود غزة قابلة للاستبدال، وأنّ الفلسطينيين قد لا يتمكّنون من الناحية الواقعية من العودة إلى ديارهم، تتناقض، بصورة مباشرة، مع السياسة الأمريكية الحالية، التي تصرّ على حقّ سكان غزة في البقاء في غزة في حدودها الحالية".

وأضافت الصحيفة "هناك منطق سليم وراء هذا النهج، إذ قد تشكّل أعمال التهجير القسري عناصر تهمة الإبادة الجماعية"، مثلما أوضحت محكمة العدل الدولية، في أمرها الصادر في جانفي الماضي، في القضية المرفوعة بـ"إسرائيل" من جانب جنوب أفريقيا.

وحسب الصحيفة يُعَدّ خطاب كوشنر "المتهوّر" منزلة معاينةٍ محتملة للفوضى والقسوة، اللتين قد تأتيان مع السياسة الخارجية لإدارة ترامب الثانية، سواء كان هو نفسه متورطاً، أم لا".

38 صفحة

الشارع الثقافي

العدد 400 - من الثلاثاء 26 مارس إلى الاثنين 1 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

من بينهم رجاء بن سلامة وآمال موسى والمبخوت

مثقفون يقترحون أسماء لمنصب وزير الثقافة القادم

رأي

«الفارماسيي» : أدوية منتهية الصلوحية مُضرّة بالمشاهد

بقلم : أنور الشعافي

تراث غير مادي

أبو علي السنّي أو بلاد الجريد بين سلطان الولاية وولاية السلطان

بقلم : د. زهير بن يوسف

وقفة

المأساة - الفرجة والجسد المنهوك

بقلم : عُمَر بن بوجليدة

شعر

بيت الشعر التونسي : بيان اليوم العالمي للشعر 21 مارس 2024

يكتبه هذا العام: محمد الخالدي

وقفة

المأساة - الفرجة والجسد المنهوك

بقلم : عُمَر بن بوجليدة، جامعة تونس.

عزف: «من المفارقات الكبرى أن أصبح الناس طيعين ومرتّبين وهكذا فقدوا أفكارهم العالية (...) وأصبحوا متمدّنين، فالتمدّن تأهيل».
ليو شتراوس.

لقد أدرك الواقفون على نظام السوق، ومدبروا أحكام الاستهلاك الكوني أن امتلاك الكائن باعتباره قيمة أولى (مرجعية).

يمر حتما عبر إذلال العين، بواسطة خفض قوى التوحش فيها: فتدجن. كي تصيب الجسد غيبوبة الحضور. وهو ما من شأنه أن يطرح لغزا ويثير ارتجاجا دلاليا.

ذلك أن بُنى الهيمنة إنما هي نتيجة عمل دائم من الإنتاج شارك فيه فاعلون، مفردون ومؤسسات، استحواذا على أدق أسرار الكائن الفرد. وسيضع التأرجح، «العالم»، فريسة لصور مربكة بين الطُوبَى والتاريخ والكآبة والألم.

رقصة أصحاب الأرض الفريدة، والذاكرة الموشومة

ظلت المآسي، وإن بشكل غريب حاضرة في الفكر وفي الأحلام، ولم تدمر نهائيا بل حجبتها ظلال. فالأذهان كانت تروض، أفكارا لم يكن بدا من تطويرها، وهو جنوح لم يطرأ فجأة في طور بعينه، بل كان يكابده الإنسان،

فيتخلخل الكيان ويهتز نور «الحقيقة» ومرتكز «اليقين»، إذ لم تعد الأرض التي نقف عليها شديدة الصلابة متماسكة. وقد لاح أن المفارق، يضرب بجذوره في تعارض بين الإنهاك والكمال. ففي هذا الصراع، يصبح الإنسان أكثر هشاشة، كلما ازداد كمالا.

لقد بدأت الوحدة التي كانت تجمع بين اللفظ والصورة، وبين المجسد لغويا وبين ما يقوله التشكيل، في التلاشي، واندثر أي تقارب بين دلالات هذه وتلك، وما اندفن عميقا1.

وإذا كان صحيحا تأكيد أن المأساة، مازالت قريبة من القول وقادرة على نقل ما هو جوهري، فإنه علينا مع ذلك الاعتراف، بأنها لم تعد تقول ما انخسف، إذ حَجَبَ الدين وتَنَكرت الكتابة الإلهية للوشم (الوجود الموشوم) بل حَرّم الوحي الوشم، وكل كتابة مسطرة على الجسم:

فكيف تنبجس «العلامة» وتفضح هشاشة ما كان على الجسد قد «انكتب»؟ - لحظة كنا من «الموشومين»2- وما كان نظامه أقوى من الموت.

ولنا أن نسأل عن تلك اللحظة التي في مستواها اختطف الله الدليل3 عندما منحه أصلا، (=الوجود المكتوب)4؟ وأسطورة الأصل، ميتافيزيقيا، كمثل البلاغة «البورخيسية» (نسبة إلى خورخي بورخص)، التي تتجمد في الفعل نفسه الذي جعل منها دليلا وأعطاها الحياة، بعد أن انقسمت على نفسها داخل الزمن الدائري بحثا عن كلمة، عن كلمة واحدة بإمكانها اختزال العالم5، لتعيين دليل الإيمان، وليستبين شعب الأوفياء. هذا النزال المفارقي والتطارح الإشكالي بين الموشوم والمكتوب، من شأنه أن يساهم في تفكيك المعرفة «الغربية»، ابتعادا عن المركز.

وتسمح أعمال «دريدا» بإعادة النظر في وضع الثقافات الأقل تمركزا حول اللوغوس6. ولكن الاستبدال لم يكن بإمكانه الدوام، لأنه كان على النقيض من اقتصاد الموضة القائم على اللباس. ومع ذلك فقد أثارت العودة إلى الوشم تنافسا مرعبا بينه وبين اللباس.

ولقد كانت «الواشمة» و«المستوشمة» من الملعونين7، لأن تبديل كتابة مقدسة بكتابة بالنقط يكاد يعصف بالتراتب الإلهي للأدلة، وهو تراتب أمرت به الكتابة التي ترجع إلى قضاء إلهي. هكذا يهرب الجسد في كل حين لشاعرية متداخلة دلائليا، مُفَارَقَة طال نسيانها واشتد اختصارها. وهو ما يعني منح الجسد قيما غير تلك التي له، لم تُسَمَّ بعد.

فالراقصة ليست امرأة ترقص، ومن أجل هذه العلامات المتعارضة فهي ليست امرأة، ولكنها استعارة. وإنها لا ترقص وإنما توحي، من خلال مُدهش الصورة المختصرة والاندفاعات وبكتابتها الجسدية: إنها قصيدة متخلصة من كل يد خطاط. فالوجود الراقص - بدقة أكثر - يحيا من هذه الحيرة بين الكلام والكتابة، إذ إن الجسم الراقص يكتب الكلام ويحطمه. وكل في عمقه يرقص لأجل ذاته، والجسد بَدَا مُعاشا من الداخل، وقد يستعيد طقوسا غاية في القدم لمجتمعات قديمة8.

فلننظر كيف أن رقصة الحرية - رقصة أصحاب الأرض الفريدة، والذاكرة الموشومة - عند الهنود الحمر، (رحلة دموع) وقد جسدها المقاوم الفلسطيني، - في تَمَاسّ أنماط من الوعي والرؤية -: تهيأ لانتفاض الانتصار: بأن تنتهك بأسلوب رائع «المحرم الرباني» وتدمر بشكل جارف «المحظور السياسي ».

إيماءات بليغة، هادية تفجر الدليل اللغوي، بل قل تدفع بالدليل اللغوي إلى ما هو أبعد من ذاته، أي إلى فضاء راقص مرسوم لا يخضع إلى قوانين اللغة أو إلى ما يتموضع بين الكتابة والموسيقى9.هكذا ننزاح رويدا رويدا عن - ونحن على حافة الكارثة - عن اللغة، لتكون منبئة على ما به تكون دالة على تمزق الضمير الإنساني والتياعه التياعا.

إن التطرف في اللاإنساني يقابل هنا ما أطلق عليه «جان نابير» ذات مناسبة: تعبير اللامبرر، انه ما يتجاوز المعايير السلبية، وهو ما كان قد سماه «ريكور» ذات مرة: المرعب.

حرب إبادة الفلسطيني، كسرت ومزقت استمرارية تاريخ «الغرب»

ويحرر الضحك «العامي» من الخوف من «الشيطان» (انتصارا للإله)، ومن «السلطة» (موالاة للحاكم). فعندما يضحك «السوقي»/ المهمش والمقصي، والخمر يقرقر في حلقه، «يحس نفسه سيدا»، لأنه قلب علاقات «السيادة».

وقد استبان أن «القانون»، يفرض من خلال «الخوف»، فهو يضحك انتصارا على «الطقوس الدينية» وكل «سلطة»، (ويفرض الأغبياء القانون). فلنتعلم كيف نضحك من المآسي، حتى لا نصبح عبيدا لأوهامنا، وربما كان واجب من يريد الخير للبشرية هو أن يجعلها تسخر وتضحك من الحقيقة، فكيف لا تكون الفلسفة ساخرة؟

فانظر ترى موقف «إدغار موران» منسجما مع وزارة خارجيته، ثم انظر ترى أنه لم يقل ما قال، إلا بعد أن كان ما قد كان (استفرغت آلة الحرب الصهيونية - الأمريكية، ممكناتها العدوانية، التي اصطدمت بالمقاومة الباسلة، وما عاد لها إلا أن «توظف» مخزونها «القيمي الرمزي»- وإن كان قد أفلس وتَفيَا -، بمن هو من مثل موران). وما ذاك عنك ببعيد فكيف يكون لهذا «الموقف»، من قيمة، اللهم إلا إذا كان «المعيار»، هو «الحسابات السياسوية» التي شَغْشَبَت بغبَشِها كل موقف إنساني ؟

قد يبدو الاحتفاء الضمني بأحد الموقفين متعارضا مع الاحتفاء بالآخر، هذا التناقض الواضح هو ما كنت ابتغي استشكاله.

ومن الجدير أن نشير أن حرب إبادة الفلسطيني، كسرت ومزقت استمرارية تاريخ «الغرب»، وجعلت تصنيفاتنا الأخلاقية والسياسية بلا معنى. وأصبح إفلاس «المعايير» أمرا يتعذر إلغاءه، بعد الحدث المأساوي القاهر.

وكاستتباع مرير، لم يعد بإمكاننا ونحن نواجه حرب الإبادة، العودة إلى المفاهيم و«القيم التقليدية» والمرجعيات الغربية - وقد بَان إفلاسها في مقاربة هذا الذي حمله على الإنسانية ثقيل وأثره خطير -، فالمفاهيم السابقة - في تقديري - وأدوات الفهم التي كانت (وما الفلاسفة ومفاهيمهم إلا أدوات وممكنات فهم) لم تعد قادرة على استيعاب هذا الكم الهائل من الوحشية. وعليه فمهمتنا الآن مزدوجة

فسح المجال لتأملات نقدية تعيد النظر في شوائب الافتراضات المعيبة والمغلوطة لتحرير «أروبا من أوروبا» ولئلا تستحوذ في كل مرة على معارف المعمورة وتغتصب التواريخ الإنسانية وتختزلها في راس المال المُعوْلم، واستئناف مشروع تحرر إنساني، تتوسع بموجبه الآفاق و يقاوم السلطة المعيارية لهذه الهيمنة، فنتحرر. وإنه لمن الخطر علينا أن نحتشد في «رؤية» واحدة، بل علينا أن نتفرق ونستهدف نقديا: هيغل ودريدا وهابرماس وموران والحداثة والمركزية الأوروبية والعولمة، من أعلى نقاط الرؤية وضوحا، بدءا بوضع نهاية للنثر الحالي لتاريخ العالم وإعادة تأسيس «أرخنة» للعالم عبر بنية نثر جديدة.

ولقد تحقق المبتغى بالإشارة إلى «نقاط جذب قاتلة» ذات مرتكزات راسخة في ملمح من بهجة التفكّر ولذّة التساؤل، مع الحرص على التذكير بأنه لا يحق لـ«الكاتب» أن يعيش في كتاباته. فلم يعد يُنظر لـ«نص المقاومة»، على أنه رَصْف «كلمات»، تولّد معنى وحيدا، بل صار يُنظر إليه، على أنه فضاء متعدد الأبعاد والأدوات ومقومات الخطاب المضاد، وسعي نحو نبذ اللغة الكولونيالية.

فالأزمة المفترضة للمُستلب هي الوجه الآخر للأزمة التي خلفتها الأيديولوجية السائدة ومن ثمة أهمية «تفتيت» موضوع سيادة الذات العارفة وفظائع العولمة.

فلنترك للمتفيقهين «اللعب بالنصوص»، ولنقرّ بأن ما قيل لم يعد ثمة داع لقوله.

والآن وقد حصحص «الحق» بين سطور «النص» واستبان أن المعضلة الأكبر تتضح حين تطرح تلك الثنائيات (نحن / هم).

وما تلك إلا مجلبة المشاكل وأكثرها قهرا وقد تَشَغْرَن (جعلوا منه طقسا) ووقع في فخه وحُشر خلق كثير. ممن دخلوا في منازلة تأويلية مع «غرب» نقلهم إلى موقع «الرّاوي المحلي»، يعيد قراءة النص المقدس لثقافة أسلافه. وتحويل نقاد راديكاليين إلى رواة محليين، هي الخدعة الأقدم في ترسانة الاستشراق العتيق. وتلك علاقة عوجاء للقوة بين الذات الأوربية ومسألة الآخر المجهول بالنسبة لأوربا على نحو خطير.

إلا أن ما لا يخفى، أن «هيغل»، مع بزوغ فجر التنوير وفي مرحلة تأليه لـ«كانط» قد ارتأى وضع «الشرقيين» في نطاق سردي خارج التاريخ. فكيف نبدأ المران لنتحرر من الرواية الهيغلية للتاريخ ونؤكد تعدد الرؤى وتعدد المراكز؟

---

1 - عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، ترجمة محمد بنيس، منشورات الجمل، بيروت 2009، ص 56.

2 J. Herber, Notes sur les tatouages, au Maroc, HESPERIS, Rabat, 1er et 2 e, trim 1949.

3 - J. Freezer, Le Folklore de l›ancien testament, P, Geuther, 1924.

4 - عبدالكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، (مرجع سابق)، ص 57

5 - تنتسب البلاغة البورخيسية إلى بورخيس، الذي بتحويله بحثه - في الأساطير الإنسانية - إلى روايات حقيقية ، أراد محو وإلغاء الفرق الموجود بين العلم والخيال.

6 - Jaques Derrida, De la grammatologie, éd, de Minuit, 1967, et Sémiologie et grammatologie, informations sur les sciences sociales, 1969.

F, . Wall. La structure, Le sujet, La trace, in qu'est- ce que le structuralisme? Le Seuil, 1968.

Barth, R, Empire des signes (Le Japon) Skira, Genève, 1970.

7 - في الإسلام صمت مذهل عن موضوع الوشم كما يبرز الخطيبي، ولكنه يشير أيضا إلى أن الحديث يقول ضمنيا «لعنت الواشمة والمستوشمة» فأصبح الوشم بمرتبة الربا. ص 62.

8 - رولان بارط، مقابلة ، ترجمة، أنطوان أبوزيد، (الجسد أيضا وأيضا)، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد السابع، صيف 1989

9 - أدرك «كلود ليفي ستراوس»، هذه العلاقة المتقلبة بين الموسيقى والخط (كتاب، «النّيئ والمطبوخ» 1964).

من بينهم رجاء بن سلامة وآمال موسى والمبخوت

مثقفون يقترحون أسماء لمنصب وزير الثقافة القادم

عواطف البلدي

مع كل إعفاء أو إقالة أو استقالة أو سحب ثقة أو مغادرة وزير ما وزارة الثقافة يتساءل أغلب المثقفين والفنانين والناشطين عن رؤية الوزير المقبل وملامح مشروعه الثقافي بل من بينهم من يقترح أسماء يراها مناسبة لهذا المنصب باعتبار ان للوزير دور حيوي في تشكيل السياسات الثقافية للبلاد. تعكس هذه التساؤلات آمالهم وتطلعاتهم نحو تطور الحياة الثقافية والفنية والفكرية في المجتمع...

بعد إعفاء وزيرة الثقافة حياة قطاط القرمازي مؤخرا طرحنا سؤال من هو الوزير الأنسب حسب المثقفين؟ وما هي الصفات والمهارات التي يجب أن يتحلى بها لتحقيق التقدم والاضافة في المجالين الثقافي والفني؟ فكانت الأسماء مختلفة باختلاف اهتمامات ورؤى من حاورنا...

بالنظر إلى تجارب وزراء ثقافة اغلب الدول المتقدمة نلاحظ ان هؤلاء عادة ما يكونون مفكرين وفلاسفة مرموقين، تميزت سياساتهم بتعزيز الحرية الثقافية ودعم الفنون والثقافة بمختلف تجلياتها. على سبيل المثال، جاك لانج، الذي كان وزيراً للثقافة في فرنسا، عمل على تعزيز الحرية الثقافية وتوسيع دائرة الثقافة المتاحة للجميع. كما قام بتطوير السياسات التي تسمح بتمويل مشاريع الفنون والثقافة بشكل مستدام. واما في تونس فقد تشكلت الرؤية الثقافية في بداياتها على انتهاج المنوال الفرنسي الذي وُجد في المفكر والسياسي الديغولي اندري مالرو رائدا وراعيا أساسيا. فكان وزرائها قادة فكر وإنجازات على سبيل الذكر لا الحصر الشاذلي القليبي ومحمود المسعدي وغيرهما ممن كان لهم دور كبير في تحفيز الابتكار والإبداع في المجتمع، وخاصة في كيفية توجيه السياسات الحكومية نحو دعم الفن والثقافة بشكل فعّال رغم التحديات السياسية والاجتماعية التي كانت تعيق عملهم وتؤثر على قدرتهم على تحقيق أهدافهم الثقافية آنذاك بينما اليوم بات الوزير موظّفا لا يحمل رؤية واضحة ولا مشروع بقدر ما يحمل هاجس البقاء أطول مدة ممكنة على كرسي الوزارة وهرسلة اكثر عدد ممكن من المثقفين...

ان عملية اختيار وزير الثقافة الناجح تعتمد على عدة عوامل ومعايير، ومنها: الخبرة والكفاءة الثقافية والفنية وأيضا القدرة على القيادة والإدارة والرؤية وتشجيع الإبداع والتجديد في مختلف المجالات الثقافية وحسن الانصات لشواغل المثقف والتواصل معه. ومن المهم أيضاً الاستفادة من التجارب السابقة لوزراء الثقافة الذين تركوا بصمة واضحة في الوزارة، وتقييم أدائهم ونجاحاتهم وتحدياتهم. كما يجب أن الاخذ بعين الاعتبار تطلعات المثقفين والفنانين والجمهور.. «الشارع الثقافي» طرح سؤال من الأنسب من مثقفي تونس ليشغل منصب الوزير المقبل فكانت هذه التفاعلات والاقتراحات: .

الكاتبة حفيظة قارة بيبان:
وزارة الثقافة أولى بالدكتورة آمال موسى من وزارة المرأة

هل يمكن أن نأمل في تغيير ما، بتغيير وزير، دون أن تتغير نظرة الحكومة للثقافة؟ الأمر أكبر من وزير ثقافة، إذ هو يتعلق برؤية حكومة كاملة ، تظل الثقافة في آخر مرتبة لديها، مع قصور واضح في إدراك أهمية الثقافة وخطرها الآن، أكثر من أي وقت مضى، إذ أصبحت أول المسارب إلى استلاب العقول واستعمار الشعوب، وهذا مما عانيناه في العشرية السابقة.

أذكر أني قابلت 4 وزراء ثقافة متوالين، بعد الثورة، ضمن هيئة رابطة الكتاب الأحرار، وقدمت مرات ورقة بمقترحات هامة تخص الشأن الثقافي- وعلاقته خاصة بالتربوي. في كل زيارة لمكتب الوزير، كنت أجد حسن الاستقبال والإصغاء، وطيب الوعود. ولكن، بعد تناول القهوة والابتهاج بالوعود، تظل الانتظارات معلقة إلى أن يتغير الوزير. وهكذا دواليك. مع ذلك، أحاول أن أكون إيجابية مرة أخرى فأجيب على السؤال بصرف النظر عن تحقيق آمالنا في أن تكون لحكومتنا رؤية أوضح وأبعد، رؤية ثقافية وطنية، تترفع عن ثقافة الصخب والفرجة و تؤمن بأننا بالثقافة الجادة ننقذ الأوطان. لذلك أذكر مرة أخرى ببعض المقترحات الماضية

--1التأكيد على إيلاء الثقافة ما تستحق من ميزانية الدولة، واحترام منتجيها.

-2إعادة بعث المجلس الأعلى للثقافة لتقديم مشروع ثقافي متكامل.

-3إعادة بعث الدار التونسية للنشر والتوزيع، لإنقاذ الكتاب التونسي الذي لا يوزع غالبا، في الداخل كما الخارج.

-4 بعث بنك معلومات يخص المنتمين للثقافة، للرجوع إليه وقت الحاجة.

-5 تكوين لجنة تتولى تعيين المشاركين في التظاهرات الثقافية المختلفة خاصة في الخارج، انطلاقا من سيرهم وغناء تجربتهم، لا من خلال الصداقات والعلاقات الخاصة.

-6حذف الإجراءات المهينة والمكبلة للنشاط الثقافي القائم على التطوع، كالأداء الشهري للقباضة المالية (سواء أقيم نشاط أولم يقم) المفروض على الجمعيات الثقافية المهتمة خاصة بالكتاب، والملف المتضخم المطلوب للحصول على دعم النشاط الثقافي من جمعيات عريقة مناضلة.

-7 العمل التشاركي الجاد والحقيقي مع وزارة التربية، مع إلغاء كل التعقيدات الإدارية القاتلة

التي تحبط الساعين إلى الإضافة.

-8 تنظيم مسابقة سنوية لأحسن سيناريو ينطلق من كتاب تونسي، يهتم بتاريخ تونس وأعلامها، لتشجيع المنتجين على تقديم مسلسلات قيمة ممتعة وهادفة، فشبابنا يعرف تاريخ مصر وتركيا من خلال المسلسلات أكثر من معرفته بتاريخ تونس وحياة أعلامها.

-9إنتاج وزارة الثقافة لومضات إشهارية مبتكرة يومية، يعدها كاتب مبدع، للقنوات التلفزية للتعريف بالكتب التونسية الحديثة (تجربة مهمة ناجحة قامت بها وزارة الثقافة الأردنية).

-10إحداث بطاقة رسمية تثبت عمل الكاتب ليمكن الاستدلال بها في بطاقة التعريف وجواز السفر- فهل يعقل أن يتجول الكاتب العامل الدؤوب في مجاله ببطاقة تعريف أو جواز عليه «متقاعد»؟

في ما يتعلق باسم الوزير القادم اقترح الشاعرة والكاتبة والصحفية سابقا، والوزيرة الآن، آمال موسى وهي العارفة بالدواخل العميقة في المجال الثقافي والتي أثبتت جدارتها بالمسؤولية و قدرتها على تجاوز الصعوبات و ابتكار الحلول. وزارة الثقافة أولى بها من وزارة المرأة.

الكاتب ساسي حمام:
د. أمال موسى و د. رجاء بن سلامة هما الأنسب لمنصب الوزير القادم

أنتظر من وزارة الثقافة أن ترفع في ميزانية دعم المشاريع الثقافية وأن توفر الدعم الذي يمكن المهرجانات والجمعيات الثقافية التي اندثرت او هي على وشك الاندثار من الظهور من جديد والقيام بأنشطتها التي بعثت من اجلها. وان تعمل على نشر دور الثقافة في القرى والارياف وفي الاحياء الشعبية. وان تبعث الحياة من جديد الى اللجان الثقافية الجهوية والمحلية لتقوم بدورها في تنشيط الحياة الثقافية في الجهات وبعث نوادي الاختصاص لاحتضان الشباب والكهول واليافعين والاطفال. وان توفر الدعم المادي لمجلة الحياة الثقافية لينتظم صدورها وليتحصل المبدعون الذين يؤثثون صفحاتها على مكافاتهم المستحقة. وان تبعث الحياة في المجلات التي كانت تصدرها الوزارة وهي مجلة «شعر» ومجلة «المسرح» ومجلة «الفنون التشكيلية» على ان يتم النشر فيها بمقابل وإذا كانت الوزارة عاجزة عن نشرها ورقيا تنشرها الكترونيا.

أنتظر من وزارة الثقافة ان تبعث الحياة في جوائزها السنوية بشتى المجالات الابداعية. وان تسنّ القوانين التي تحدد العلاقة بين الناشر والجرائد الورقية والالكترونية والكاتب حتى لا تضيع حقوقه. اخيرا اقترح اسم الدكتورة آمال موسى والدكتورة رجاء بن سلامة لأنهما الأنسب لمنصب الوزير القادم.

الكاتب الطيب الجوادي:
شخصيا أقترح مديرة دار الكتب السابقة رجاء بن سلامة سيدة جادّة وقادرة على الإصلاح

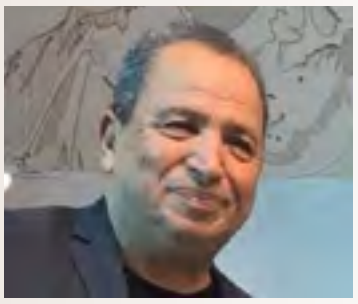

مع عزل وزيرة الثقافة السابقة، عاد نفس السؤال المعهود يدور على نفسه، من هو الأنسب لتولّي حقيبة الثقافة وما المطلوب منه لتحريك بحيرة الثقافة الراكدة؟ الجواب عن السّؤال الاوّل يبدو في الظاهر بديهيا ولا يحتاج جهدا : يجب ان يكون وزير الثقافة مبدعا خبِر سراديب وأقبية ودواليب وأحاجي كل ما يتصل بالثقافة في تونس المحروسة وأن تكون له شخصية قوية قادرة على فرض التغيير الموعود المنتظر من المثقفين، أقترح شخصيا مديرة دار الكتب السابقة رجاء بن سلامة ، وهي سيدة جادّة وذات برنامج وقادرة على الاصلاح، ولكن هل يمكن لأي شخصية مهما علا كعبها أن تكون قادرة على الاصلاح في دولة يحكمها شخص واحد ويعتبر اي وزير مجرد موظّف في حكومة لا حول لها ولا قوّة، أنا متشائم لان الثقافة مع خطورتها عند أي شعب يحترم نفسه، لا يمكن لها ان تزدهر في عهد لا مكانة فيه للثقافة والمثقفين..

المنتج الحبيب بلهادي:
نفضّل النساء اللواتي لم يتممن مهامهن بالوزارة

المسألة بسيطة جدا أمام الوزير القادم اختيارات عميقة لتجذير الثقافة والنهوض بالإبداع من أجل مواطن واع على أساس برنامج وطني مستقبلي تقع الموافقة عليه من نواب الشعب ورئيس الجمهورية لضمان استمراريته على الأقل في هذه المرحلة. ويرتكز هذا البرنامج على :

أولا: تأهيل دور الثقافة في كامل تراب الجمهورية على أن تكون نوتات على شاكلة وحداثة مدينة الثقافة بتونس مجهزة لكل أنواع النشاطات الثقافية والابداعية والجماعية ومولة نسبيا بنفس خطوط التمويل بمستوى احجامها. لتلعب دور الوسيط الثقافي والابداعي وتمكين أغلب التونسيين من ممارسة الابداع والتمتع بالإبداعات الوطنية بأكثر ما يمكن من عدل.

ثانيا: تسهيل عملية الابداع في كل المجالات عبر المؤسسات الخاصة والعامة والتشاركية وضمان حرية المبدع وتمتيعه بسوق وطنية عبر دور الثقافة المؤهلة والمهرجانات الثقافية (التي لا تمثل 5 بالمائة من المهرجانات الحالية) دعم بطاقات مشاركة المواطنين بنسبة أكبر من دعم الابداع والعمل تحسين وضعية الفنان الاجتماعية.

ثالثا: توفير التمويلات الضرورية لضمان الانتقال الى منظومة ثقافية جديدة تساهم في بناء مواطن تونسي واع

نفضّل النساء اللواتي لم يتممن مهمتهن بالوزارة أو غيرهن من البارعات في تسيير المؤسسات الثقافية وبالخصوص في القطاع الخاص.

الناقدة هيام الفرشيشي:
أرشّح من داخل الوزارة آمال حشانة ومن المبدعين شكري المبخوت

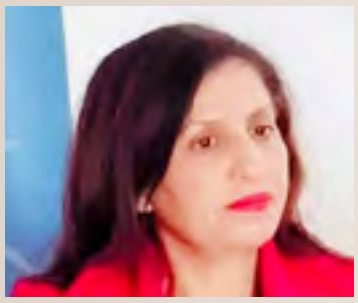

عند كل تعيين وزير الشؤون الثقافية تعلو أصوات بعض اللوبيات والمبدعين لمحاولة فرض أسماء وزراء يمثلون توجهات إيديولوجية أو وراءهم أطراف نافذة دون التفاتة إلى المهام والأدوار التي يجب أن يضطلع بها الوزير المقترح. كما يسعى بعض الوشاة للالتفاف بالوزير المعين وتقديم معطيات خاطئة عن منافسيهم لتصفية حساباتهم معهم. وللأسف ينساق بعض الوزراء لهؤلاء، وعوض أن يفتحوا الملفات العالقة، وتفقد المؤسسات الثقافية وسير البرامج الثقافية، وضمان حسن الإعداد للتظاهرات الثقافية الكبرى، نجدهم يعينون ويعزلون على هواهم، دون سعي للتغيير أو تنقيح بعض القوانين التي تقف حائلا أمام إيجاد حلول لبعض القطاعات الثقافية. بينما من أوليات كل وزير أن تكون له استراتيجية عمل، وبرنامج واضح لدعم كل الفنون وحماية التراث الثقافي والعناية بالبنية التحتية للمؤسسات الثقافية في المدن والقرى. وتنظيم عمل الجمعيات الثقافية ودعم البرامج الجادة دون سواها. ودعم المشاريع الثقافية حسب معايير الجودة والإضافة لا العلاقات. وعدم تهميش بعض القطاعات الفنية مع ضمان توزيع عادل للميزانية وتكريس التبادل الثقافي. ولو طلب مني ترشيح وزير من داخل الوزارة ستكون آمال حشانة لأنها كانت مساندة لمن دعوا للإصلاح الثقافي قولا وفعلا، وكانوا ضد المنظومة التي ساهمت في تدهور الأوضاع في وزارة الثقافة. أما من المبدعين أرشح الدكتور شكري المبخوت لعلاقاته الكبيرة ونجاحه سابقا في تنظيم فعاليات المعرض الدولي للكتاب.

بقيت حقيبة الثقافة، بعد ما يُسمى بالثورة، مكانًا يُصعب فيه الاستقرار، سواء بسبب الأخطاء المتكررة لوزرائها أو بسبب التحويرات الوزارية الطارئة. مما بات من الضروري تجديد النظر في الاختيارات والمعايير التي تُعتمد في اختيار وزير الثقافة، ليكون قادرًا على تحفيز الإبداع ودعم التنوع الثقافي وتطوير الحياة الثقافية في البلاد.

شعر

بيت الشعر التونسي :
بيان اليوم العالمي للشعر 21 مارس 2024

يكتبه هذا العام: محمد الخالدي

-يحلّ اليوم العالمي للشعر هذا العام والقضية الفلسطينية تمر بأسوأ مرحلة في تاريخها وأكثرها مأساويّة.. فمنذ ستة أشهر وقطاع غزة يتعرّض إلى إبادة جماعية تجاوزت في فظاعتها ووحشيتها ما ارتكبته النازية والفاشية أيّام طغيانهما. وذلك أمام لا مبالاة العالم وشماتة أكثر الحكام العرب وتواطؤهم بوقوفهم علانية، ودون واعز من ضمير إلى جانب الكيان العنصري الغاشم، في سابقة ما كان لأحد أن يتصوّرها، بالرّغم من ماضيهم الأسود، الحافل بالخيانة والغدر... فعلوا ذلك في تحدٍّ سافر ووقح لشعور المواطن العربي المقهور والمغيّب. ولم يعد خافيا أن الغاية من تواطؤهم هي إخماد كل نفس مقاوم وزرع اليأس في النفوس خشية أن تصل العدوى إلى رعاياهم فيطالبوا بالحريّة والكرامة باعتبارهم مواطنين لا عبيدًا.

ولسائل أن يسأل: ما جدوى الشعر يا ترى في ظروف كهذه.؟ وللإجابة نقول إن الشعر هو الوحيد القادر على التعبير عن هذا الواقع. ففي لحظة الالتحام، تتراجع الأشكال التعبيرية الأخرى –لأسباب لوجستية- ليبقى الشعر وحده في المواجهة. فأثناء الاحتلال النازي لفرنسا إبّان الحرب العالمية الثانية برز الشعر كوسيلة من وسائل المقاومة، فكانت القصائد توزّع على شكل مناشير سريّة أو تُدس في صناديق الأسلحة المهرّبة إلى المقاومين. وقد انخرط عدد من الشعراء في صفوف المقاومة المسلحة على غرار رونيه شار وروبير ديسنوس (R.Desnos) الذي قضى في أحد المعسكرات النازية. فيما تحوّلت قصيدة «الحريّة» لبول إيلوار (Paul Eluard) إلى انجيل للمقاومين والثوار في شتى أصقاع الأرض.. وقد عبر ميشيل ليربس (M.Leiris) عن هذا الالتحام بين الشعر والمقاومة بقوله: «كل شعر حقيقي لا يمكن فصله عن الثورة» (Toute poésie vraie est inséparable de la révolution).

وقد رافق الشعر حركات التحرّر الوطني أينما وجدت، فكان صوتَها الغاضب، وأحد أسلحتها الأكثر مضاء وتأثيرًا في ساحة الوغى.

ولعلّ أهمّ سجلاّت حركة المقاومة الفلسطينية وأبلغها أثرًا هو الشعر. فقد واكب تحوّلاتها، منذ ما قبل قيام الكيان الغاصب إلى يوم الناس هذا، فكان حادي نضالها في جميع مراحلها، كما كان ذاكرتها الحيّة. فمن شعراء الرّعيل الأوّل الذين حفروا أسماءهم في ذاكرتنا ووجداننا: إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، عبد الكريم الكرمي شُهر «أبو سلمى»، هارون هاشم رشيد، فدوى طوقان ومن الذين أدركناهم وجايلناهم: سميح القاسم، محمود درويش، يوسف الخطيب، عز الدين المناصرة، أحمد دحبور، خالد علي مصطفى (من فلسطينيي العراق)، خالد أبو خالد، وآخرون كثر يضيق المجال عن ذكرهم جميعا.

وما يُحسب لهذا الرعيل الثاني من الشعراء الفلسطينيين هو تحقيقهم لمعادلة صعبة: الاحتفاء بقضيتهم بأداء فنّي راقٍ، بعيدًا عن التقريرية التي طبعت شعر الرّعيل الأوّل، ممّا بوّب بعضهم مكانة عالمية على غرار محمود درويش.

* * * * *

إن الشعر ليس ترفًا، بل هو شرط من شروط الإنسان، به حقق إنسانيته وزيّن وجوده على هذه الأرض. فالإنسان البدائي، وهو يرسم تهاويله وهواجسه على جدران الكهوف والمغاور، كان يكتب شعرًا، وكان يكتب الشعر وهو يشدّ وترًا إلى خشبة ليسمع رنينا يطرّب له أو يثقب قصبة لينفخ فيها.

* * * * *

لقد أعلن بعضهم، قبل عقود موت الشعر، لأن الرّواية قد أزاحته عن عرشه لتصبح هي ديوان العرب كما زعموا. وهو ادعاء ينم عن جهل مركّب. فقد خلط هؤلاء بين الشعر باعتباره ماهية أو جوهرًا وبين «القصيدة» كشكل أو هيكل قد لا تكون له علاقة بالشعر بمفهومه المطلق. كما لم ينتبهوا إلى أن الشعر قد تسلل إلى أشكال تعبيرية أخرى كالرّواية والقصة والسينما والمسرح، فهو من يمنح هذه الأشكال فرادتها ونسغها، وبالتالي جماليتها.

ولا نبالغ إذا قلنا إن أصل الفنون هو الشعر، وإنه سابق اللغة ذاتها، لأن الأصل في الشعر هو الخيال.

ولأنه ماهية وجوهر، فإنه لا يتقيّد بشكل، ولا يمكن، بالتالي سجنه في قالب مخصوص. فهو عصيّ عن التصنيف ولا يعترف بالحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية، إذ هو مقيم فيها كلها بالقدر نفسه، وإن قرنه العامة، وحتى أهل الاختصاص أحيانا بالقصيدة. أمّا من وضع هذه الحدود فهم المدرسيون المولعون بالفصل بين الأجناس. ففي نصوص بعض المتصوّفة ما يتجاوز الشعر إلى تخوم قصية لا قبل للغة بها.

فتضيق عن الشعر وتعلن عجزها عن احتوائه، فيكابد الشاعر، جرّاء ذلك عَنتا وحيرة شديديْن، فتراه يتوسّلها لعلها تُسلس له قيادها...

ومثلما أعلن البعض تراجع الشعر وانسحابَه لصالح الرّواية، أعلن آخرون موته لأن زمنه قد ولّى ولم يعد يُجدي نفعا في عصر يشهد طغيانا لا حدود له للتكنولوجيا، لكنه كان، في كل مرّة يخيّب ظنهم ويولد كالفينيق من رماده، فقد أصبح الفن الأكثر حضورًا في وسائل الاتّصال الاجتماعي والأكثر انتشارًا، بغض النظر عن قيمة ما ينشر في هذه المحامل.

أما الحرب المستعرة بين أنصار الشعر الموزون وأنصار قصيدة النثر فهي حرب خاسرة، ولا مبرّر لها أصلا. فقصيدة النثر جنس أدبي قائم بذاته، يمكن لأيّ كان أن يمارسه إذا رغب في ذلك، جنبا إلى جنب مع الأجناس الأخرى. كالشعر الموزون والرّواية والقصة والسيرة. فبودلير، رائد قصيدة النثر بلا منازع هو نفسه صاحب «أزهار الشر»، الديوان الأكثر شهرة والأكثر تأثيرا في تاريخ الشعر الحديث، وكله من الشعر الموزون. وارتور رامبو، صاحب النّصين المنفلتين: «فصل في الجحيم» و«الإشراقات»، هو نفسه صاحب «المركب السكران»، القصيدة الأيقونة، التي استحق، بفضلها لقب «الشاعر الرّائي» (Le poète visionnaire)، لبيت ورد في القصيدة يقول فيه: Et j'ai vu quelque fois ce que l'homme a cru voir) ما ترجمته: «ولقد رأيت أحيانا ما ظن الإنسان أنه رآه».

أما في شعرنا العربي فقد راوح شعراء كثيرون، من بينهم سعدي يوسف وأدونيس ومحمد عفيفي مطر، على سبيل الذكر لا الحصر، بين الأشكال الثلاثة: العمودي والتفعيلة والنثر، وإن استأثرت قصيدة التفعيلة بالقسط الأوفر من اهتمامهم، فعليها قام مجدهم، وبفضلها تبوّؤا مكانتهم المرموقة في ديوان الشعر العربي الحديث. وهذا دليل صارخ على أن قصيدة النثر لم تكن ولن تكون بديلا عن القصيدة الموزونة كما يدّعي أنصارها والمنافحون عنها. فهما جنسان مستقلان تمامًا عن بعضهما البعض، كما أشرنا سابقا، يتطوّر كلّ منهما بمنأى عن الآخر، فقد شهدت قصيدة التفعيلة أكثر من ثورة شكلية منذ ظهورها حتى الآن. فبعد أن كانت بنية بسيطة تعتمد السطر وتكرار القافية في بداياتها، تحوّلت إلى معمار مركّب يتسع لأكثر التقنيات والتجارب جرأة، ولعلّ أبرز هذا التطوّر المذهل هو التدوير الذي وقفت منه نازك الملائكة موقفا رافضا في كتابها «قضايا الشعر المعاصر». فبعد تدوير البيت أو المقطع، دفع بعض الشعراء، وعلى رأسهم حسب الشيخ جعفر، في بداية السبعينيات بهذه التقنية إلى أقصى مدى لها، فدوّروا القصيدة كلها، كما تجلى ذلك في رباعياته.

كما استفادت قصيدة التفعيلة أيضا من تقنيات أخرى كالسرد والحوار المباشر وغير المباشر وتداعي الأزمنة، واستخدام التقفية الداخلية بدلاً من التقفية المتعارف عليها في نهاية السطر. إضافة إلى تطويع البحور المركبة وكان رائد هذه التقنية الأخيرة هو السياب الذي وظفها في أكثر من قصيدة له، وقد أصبحت اليوم موضة يلجأ إليها الشعراء المتمكنون من أدواتهم.

* * * * *

ولا بدّ أن نشير أخيرًا، ونحن نحتفي باليوم العالمي للشعر إلى ظاهرة لافتة للانتباه، ألا وهي الانتعاشة التي تشدها قصيدة الشطريْن في أيّامنا هذه على أيدي شعراء في مقتبل العمر.

قد يكون وراء هذه الظاهرة التي رأى فيها البعض نوعا من الرّدة وازع مادّي بعد أن أحدثت بعض الدول النفطية جوائز مالية مغرية تُسيل اللعاب، وقد يكون لها تفسير آخر أبعد غورًا، فعندما تستشعر الجماعات، أو الأفراد خطرًا داهمًا يتهدّد هويتهم، وبالتالي وجودهم، وهو ما نعيشه هذه الأيّام كعرب ينكفئون على أنفسهم، محتمين بماضيهم وقيمه، خشية الاضمحلال.

إن التجذر في التراث والاستفادة منه من خلال توظيفه إبداعيّا لهي سنّة حميدة، شرط ألاّ نقيم فيه، لا نغادره إلى آفاق أرحب.

* * * * *

نحن نكتب الشعر لأننا نحيا.

نافذة لأراك
(Fenster um dich zu sehen)

كمال العيادي (الكينغ)
Kamal Ayadi - KING

(2)

كَيْفَ سَتُفَسِّرُ لِأَعْوَادِ الكِبْرِيتِ الحَمْقَاءِ التِي تُهلِّلُ الآنَ فَرَحًا لِنَجَاحِ أخٍ لهَا فِي إحْرَاقِ نِصْف الغَابَةِ وَحْدَهُ، بِأنّهُ أحْرَقَ لِلتَوِّ أمّهُمْ وَأمّهُ الشَّجَرَةَ؟!

(2)

Wie willst du den törichten Streichhölzern, die jetzt vor Freude darüber jubeln, dass es ihrem Bruder gelungen ist, allein den halben Wald niederzubrennen, erklären, dass er gerade ihre Mutter und seinen Baum verbrannt hat?!

متابعات

البشير المشرقي شاعر الشّجون

مساهمة في تكريم الشاعر الكبير البشير المشرقي بمنتدى التنوير بمدينة الثقافة مساء الأربعاء 20 مارس 2024

سوف عبيد

بإعتزاز كبير وإبتهاج فيّاض يسعدني أن أكون من المساهمين في تكريم الصّديق الشّاعر الكبير البشير المشرقي فهي مناسبة لإيلائه ما هو جدير به من إحتفاء وتكريم لأنه من المساهمين بإستمرار في مسيرة الشعر التونسي منذ أكثر من نصف قرن وإنّ هذه المبادرة التكريمية لأعلامنا التونسيين في الأدب أعتبرها ردّ إعتبار للأبعاد الثقافية التي كادت أن تُطمس ويجرفها تيّار المنافع الماديّة العاجلة الرّبح والشّاعر البشير المشرقي من أولئك الذين آمنوا بقيمة الكلمة في صدقها وجمالها وتأثيرها فعكف على رعايتها والكلف بها عشرات السنين وما دواوينه المتوالية الصّدور وإصراره على نشر قصائده في مختلف المنابر إلا دليل على شغفه بمتعة الإبداع..

الشاعر البشير المشرقي ليس شاعرا فحسب وإنما هو صاحب نظرية في الشعر أيضا وهي لئن بدت واضحة السّمات في شعره فإنه قرأ من خلالها بعض النصوص الشعرية التي عكف على تقديمها والتعريف بها وللشّاعر كذلك كتابات صحافية ومساهمات إذاعية في برامج الإذاعة الوطنية أمّا البُعد الآخر الذي لا يقلّ أهمية في شخصية الشاعر فهو مسيرته التربوية سواء في التدريس أو في تسيير بعض المعاهد ولعلّ المرحلةَ الأهمّ في حياته الثقافية تتمثّل في إشرافه على مدى أكثر من عشرين سنة على نشاط الحركة الثقافية في ولاية بنزرت حتى أضحت قِبلة المثقفين والمبدعين من تونس وخارجها وقد أصدر البشير المشرقي المجموعات الشعرية التالية

- في البحث عن مقر
- نوافير .. وتشدو همسات الى الزمن الهارب
- أحبتي.. والليل.. والوطن
- على نقر المطر.. والذكريات
- توقعات الربيع الخامس
- السندباد والقمر الوحيد
- كتاب الفصول
- تحليق خارج حدود الحلم
- أقمار في ليالي الحنين
- فسيفساء الظل والألوان
- وكذلك مجموعة شعرية بالاشتراك - الرياح اللواقح -

بالإضافة إلى عديد القصائد الأخرى المنشورة في مختلف الصحف والمجلات والأنطولوجيات سواء في تونس أو خارجها فعسى أن تكون هذه المناسبة حافزا كي يجمع ما نشر وما لم ينشر من شعره ضمن ديوان كامل شامل يكون تتويجا لأعماله الشعرية .

البشير المشرقي من شعراء تونس الذين ظهروا وبرزوا في الثلث الأخيرمن القرن العشرين وقد شهدت هذه الفترة تحوّلات كبيرة على المستوى الثقافي إذ نشأت حركات في شتى الفنون ترنو إلى الجديد محاولةً فتح آفاق غيرِ مألوفة سواء في المسرح والموسيقى والرّسم والسينما أو في القصة والرواية والنقد والشّعر الذي شهد على مدى تلك السنوات حركات متنوعة المنطلقات ومختلفة التجارب والرّؤى أنتجت مدوّنة شعرية زاخرة وثريّة لذلك نجد صدى هذه الحركات في كتابات البشير المشرقي النقدية معبّرا عن نظرته للشعر التي بيّنها في خضمّ تلك الحركات فيُحدّده قائلا ضمن مقالة - أغراض الشعر التونسي الحديث - بمجلة الفكر أكتوبر 1978حيث يقول :

ـــ كنت وما زلت أعتقد أن الشعر الخالص هو ذاك الذي ينفذ إلى القلوب والنفوس بواسطة مجموعة من الأدوات التي بدونها لا يكون الشعر شعرا ولا يكون للكلمة الشعرية الحيّز الجدير بها على خارطة التعبير الفنّي ومن هذه الأدوات كما لا يخفى عنصر الموسيقى الموحية التي تساعد على تقبّل ما يصبو إليه الشاعر من تعبير عاطفي إلى جانب التزامه العناية بالصورة الشعرية التي يعمل جاهدا على أن تكون في مستوى الجمالية التي تتطلبها حقيقة العمل الفنّي وليس عنصر الموسيقى او الإيقاع الشعري من خصائص الشعر العربي دون سواه بل نجده يحتلّ مكانة قصوى في كل عمل شعري مهما كانت اللغة التي أُخرج بها إلى الوجود ولعل الشاعر الفرنسي - بول فرلان - قد عبّر عن ذلك أحسن تعبير عندما قال في إحدى قصائده - إن الشعر موسيقى... وموسيقى قبل كل شيء.

فالشاعر البشير المشرقي يرى أنّ الشعر لا يكون إلا بتلازم الموسيقى والصّورة ويتجلّى في قوله مثلا :

العمر مرّ كما ترين موزّعا
ما بين أوهام وعصف رياح
فكأنّما الساعات كانت غيمة
لم تهم في قلبي بغير جراح
ضمّي شتاتي كي تعود طفولتي
وتغرّدَ الأطيار بعد نواح

وفي مثل قوله أيضا :

أهديت اليوم مجاذيفي
وجناحي المثقل للأطيار
عشرون مضت من عمري
وتلتها عشر كالإعصار

فيغلب على شعره المواضيع الوجدانية في المرتبة الاولى من حنين واِسترجاع
:للماضي في حسرة أما الحاضر فهو لديه شجون وأسى مثل قوله

هذه الليلة الجاثمه
سوف أسهرها
الآن وحدي
أعد دقائقها
وأنام بعين
وأخرى تحدق
في الليل
كالطير حين
تفاجئه الريح

الليل يهفو
وأجنحة لا
تنام
ليلة بارده
مثل قلبي
رخام

ونحن عندما نستعرض حتى عناوين قصائده نلاحظ أن غمامة من الأسى تخيّم على أغلب كلماتها وهذه بعض من تلك العناوين :
عيونك باقية وأنا راحل ـ للريح مواجعها ولقلبي البوح ـ اليوم لا تبكي الرياح على دمي ـ بكائية الوجد ـ من أغاني سيزيف المهزوم ـ ويرحل مثل النورس ظلي ـ ما تيسّر من أبجدية العشق والأحزان ـ مقدّمات للشتاء القادم
فجذور شجن البشير المشرقي تبدو قديمة لعلها من زمن الطفولة ونمت مع مكابدته للسنين فماهي أسبابها ؟
لا أدري هل في كتاباته العديدة قد تعرّض لهذه المسألة الذاتية ولكنّي أجزم أنّ مِسحة الأسى هي من أهمّ سِمات شعره والمنبع الأوّل والقادح الملهم في شاعريته فهو القائل في هذا السياق :
ـــ الشعر هو عملية خلق فنية تنطلق من الذات الفردية نتيجة معاناة أو حالة شعرية يعيشها الشاعر الفنان وهي مرحلة توتر نفساني يشبه آلام المخاض التي يتبعها اِنفراج يتمثل في إفراز القصيدة التي هي بمثابة وليد ومعنى هذا الكلام أن الشعر قبل كل شيء هو تجربة نفسية شخصية تكون الذات الفردية محورها الأساسي ومدارها الرئيسي
إنّ مِسحة الأسى وظلال الشجون في شعر البشير المشرقي يمكن أن نعتبرها اِمتدادا لمنجزات الرومنطيقية العربية بما في قصائده من اِحتفاء واضح بعناصر الطبيعة التي جاءت منثالة في أغلب صوره الشعرية ونجدها أيضا في بعض قصائده ضاربة الجذور في مُتون الشعر الأندلسي
كما لدى اِبن زيدون واِبن خفاجة ولا شكّ أنّ البيئة التي نشأ فيها الشاعر والتي عاش فيها أيضا لها الأثر الواضح في شعره فربوع بنزرت ذات طبيعة غنّاء جمعت بين المروج وبساتينها وبين السواحل وخلجانها المنداحة بين الحقول والغابات وعند سفوح الجبال وكثبان الرّمال فالشاعر مِلء عينيه طبيعةٌ متنوّعة بشتى عناصرها التي لا تكاد تخلو منها قصيدة من قصائده كقوله :
حينما جئتِ كان الربيع وكان انسلاخ الطبيعة
عن قشرة الحزن كان التبرّج والسهر والانفتاح
على الكأس...كان انحلال الأحاسيس
والشهوة العاتية
ولكنما اليوم يا غالية
كما البحر يغرقنا المدّ
يجرفنا الزمن الهارب
الظلُّ في ثانية
سيرحل مثلَ النوارس ظلّي غدا
وتكونين يا امراةً ملأت بالجراحات زادي
كصفصافة القفر تبكين تبكين
لكنما الصوت منك يضيع
ويغمر قلبي أنا... في مسيري الصقيع
لئن وردت أغلب قصائد الشاعر على شكل البحور الشعرية في إيقاع التفعيلة وترجيعة القافية فإن اِنتصاره إلى هذا الشكل لم يمنعه من

التصرف أحيانا في نسق التفعيلات وتداخلها في القصيدة الواحدة بل قد يخرج عن النسق العروضي أيضا ويكتب أحيانا القصيدة الوجيزة أو الومضة وهذا يؤكد الأريحية الفنية لديه مثل قوله
كل يوم أقول سأترك هذي القصيده
عذبتني القصيدة
وأهمّ بها
فأرى فجأة بين كل السطور
جداول عينيك
جارية
وطيوفا تعاتبني
قدمت من بلاد بعيده
فأعود لها صاغرا
وأصالحها بشجون جديدة
إذن مهما تعدّدت الأشكال والأنواع الشعرية لدى البشير المشرقي فإن بصمات شجونه تلازمه في كلّ قصيدة تقريبا لكنّها شجون ليست ذاتية منبثقة من حالاته الوجدانية الخاصة فحسب وإنّما هي شجون تعبّر كذلك عن اِنتمائه إلى تونس وعشقه إيّاها حيث يقول من قصيدة ـ تونس الحب تونس الياسمين وهي القصيدة التي كتب على نسقها عديد الشعراء :
فقرطاج مائلة في عيوني
وبنزرت عن حبّها لـــــن أميلا
أرى في بلادي الشواطئ تغفو
وألمح كثبانها والنّخـــــــيلا
تميس الظلال على كلّ درب
تعانقه بكرة... وأصـــيلا
أحبّك تونس مهما نأيتِ
فحبّك كان لنـا سلسبيلا
فأنتِ الحبيبة أنت المقيمة
في خافقي مُذْ أضعت الدّليلا

ومن آخر قصائد الشاعر قصيدة حول غزّة وما تتعرّض إليه من إبادة وهمجية حيث ورد فيه :
قتْل وقصف وتشريد وهرسلة
للّـه درّك يا أرض الميامـين
أهكذا غزّة للظلم نتركها نهبا* لمن عاضدوا فعل الشيـــاطين

كانت بلادا يؤم الطير دوحتها
عند الأصائل يشدو في الأفـــــــانين
وهاجر الطير حين الطلق أزعجه
وودع الروض أسراب الحساسين
هذا الرضيع الذي عاثوا بمهجته
قد صار رقما بأفواج الجـــــــثامين
تبكيه أم بدمع سال من مُقل
سخية، دون توديع وتـــأبين

لصديقنا الشاعر البشير المشرقي رأي في أبي القاسم الشابي وفي الشعراء التونسيين الذين جاؤوا بعده حيث يقول في حوار منشور :

ـــ إنّ الشابي ظاهرة جديرة بالاحتفاء حتى في يومنا هذا.. ولكن أن نعتبرها الظاهرة الوحيدة والأعظم، فهذا ما لا يقبله العقل والمنطق.. بقي من الشابي الكثير.. بقيت الاشتغالات الانسانية ومشاعر الغربة والحنين والوعي بالموت، ولكن جاء شعراء اليوم ليضيفوا الى السجلّ معاني أخرى وإرهاصات أخرى تجعل تقديرنا لنضالهم، الوجودي والانساني والإبداعي الملتزم أمرا متحتّما وضروريا.. آن الأوان لترك الغابة تنعم بقليل ممّا نالته الشجرة الوحيدة من حظوة وعناية ومتابعة حتى تفرز شعراء بحجم المرحلة حقا ـــ
هذا رأي جدير بالتقدير فهو دعوة إلى إيلاء الشّعر التونسي بعد الشّابي الإهتمام للتعريف بإنجازاته وأعلامه والوقوف على إضافته ومميزاته ضمن مدوّنة الشعر العربي والعالمي فأرجو أن تكون هذه المداخلة في هذه المناسبة خطوةً نسعى بها إلى ذلك الأمل المنشود .

«كيف صار التونسيون تونسيين» للدكتور الهادي التيمومي :

رواية قوامها سيرة بلد بشعوبه وسيرة وجدان يتكوّن ويعيش صيرورته

د.فاتح بن عامر

«لقد وضع المؤرخون والفلاسفة منذ القديم مناهج كثيرة تصوّروا أنها ستوصلهم إلي الموضوعية، لكن تبيّن لهم أن الواقع عنيد وأحيانا عنيد جدّا»
د. الهادي التيمومي

كتبت ألفة يوسف على جدارها: «كيف صار التونسيون تونسيين؟، من أجمل ما قرأت في السنوات الاخيرة، بحث في «الهوية التونسية» بعيدا عن الأيديولوجيا...بحث في لغة هي السهل الممتنع تجول بك بين التاريخ والحاضر لترى صورتك في المرآة...قد تكون صورة صادمة أحيانا، ساخرة أحيانا أخرى، مستفزة تارة ومرضية طورا...ولكنك لا تملك في كل الأحوال إلا أن تتعرف الى نفسك فيها... إذا أردت أن تفهم ما معنى أن تكون «تونسيا»، فلا مهرب لك من قراءة هذا الكتاب»

جاء عنوان هذا الكتاب في صيغة السّؤال: كيف؟ كيف الّتي تفيد التّساؤل عن الطّريقة والأسلوب والأدوات الّتي صار بها التّونسيّون- تونيسيّن حقّا، بمعنى بماذا صار التّونسيّون إلى ما هم عليه من هويّة أو تعريف وتعيين، أو بالأحرى ما معنى أن يكون المرء تونسيّا والعبارة هنا للدّكتور الهادي التّيمومي.

د. الهادي التيمومي

هذا السّؤال الأنطولوجي- في مبحث أنطروبولوجي والّذي يفيد الصّيرورة أو الانتهاء إلى وضع محدّد، اختاره الباحث والمؤرّخ الهادي التّيمومي أن يكون عنوانا لهذا الإصدار، الّذي سررت شخصيّا بقراءته كما شُرّفت بتقديمه اليوم على طريقتي الخاصّة. لا بوصفي أكاديمي في مجال التّأريخ- ولا مثقّفا سياسيّا- بل بوصفي قارئ متفاعل- يهمّه أمر تونس- تماما مثلما يهمّه أمره وأمر بيته. مقاربة تبدو هيغيليّة الملامح لباحث يؤمن بالمادّية التّاريخيّة، سعى فيها إلى عمليّة رصد دقيق للتّطّور التّاريخي لأسس الوعي التّونسي متمثلا في الدّين والعلم والثّقافة والأخلاق والاقتصاد عبر المحطّات التّاريخيّة للبلاد.

الهويّة التّونسيّة وقبلها طرحت مسألة الشّخصيّة التّونسيّة، (نذكر هنا كتاب: البشير بن سلامة: الشّخصيّة التونسيّة وكتاب المنصف ونّاس: الشخصية التونسية: محاولة في فهم الشخصية العربيّة) مسألة أضحت أكثر من ملحّة اليوم- خاصّة بعد ما شهدنا من تعطّل في بدايات صياغة دستور ما بعد 14 جانفي -2011 في أروقة المجلس التّأسيسي، حيث نما الجدال حول البند الأوّل من الدّستور التّونسي الجديد، إلى أن تمّت العودة إلى الفصل الأوّل من دستور 1959. مسألة الهويّة التّونسيّة مسألة تمّ طرحها على جدول أعمال المجلس التّأسيسي، لكن الهادي التّيمومي حوّل وجهتها إلى مجال أرحب هو جدول أعمال الباحث في التّأريخ وذلك في موقف علمي ونقدي وهو ما تبنّاه وقام به مؤمنا بمقولة المثقف العضوي لقرامشي، وجدول أعمال السّياسي المثقّف العارف بتراثه والمؤوّل له صوب المستقبل بحسب ما أكّد عليه هو ذاته في مقدّمة هذا الكتاب. مؤلّف أدرجه في سياق الصّراعات الحادّة الّتي تعيشها تونس في أتون التّجاذبات الدّاخليّة والإقليميّة والعالميّة، تلك الّتي لها أكثر من رهان وحساب يتعلّل بالمصالح والمكاسب المتأتّية عن كلّ حراك اجتماعي ثوري في البلدان مهما كانت حجمها وموقعها. إنّه الصّراع الّذي تأجّج في البلاد حول مستقبل الثّقافة في تونس في لحظة حاسمة هي ساعة كتابة الدّستور الجديد دستور الجمهوريّة الثّانية.

هذه هي إذن الهواجس الّتي حدا بالباحث إلى الإقدام على تأليف الكتاب وهذا هو الإطار الّذي وضع فيه الباحث إصداره الأخير بعد أن قدّم كتابيه «تونس في التّاريخ من جديد 14 جانفي 2011»- و»خدعة الاستبداد النّاعم: 23 سنة من حكم بن علي سنة 2012»، غير أنّي أرى أنّ الأطر الّتي أسّست لتأليف هذا الكتاب أطرا متعدّدة- وما هو وبدفّتيه إلاّ إطارا توليفيّا/ تأليفيّا إن شئنا، ونحن مصرّون على ذلك لقراءة استردادّية لتاريخ تونس- في تصوّر إجمالي وبطرح إشكالي لم يغفل الباحث أهميّته وهو مصير البلاد، فكلّ شيء كان ممكنا وجائزا، في ظلّ التّحوّلات الجيوسياسيّة الرّاهنة. لذلك لم يتوقّف عن الرّصد والتّحليل والمقارنة لمختلف مفاصل تاريخ تونس من خلال ترصّد التّحوّلات الرّئيسيّة لأنماط الإنتاج ومالها من تأثير على الأحوال الاجتماعيّة وعلى العمران البشري، بما فيه البنية الاجتماعيّة والحراك الاقتصادي والوضع السّياسي والعسكري، مستعرضا تطوّلا الهويّة التّونسيّة تاريخيّا وغير مهمل للبعد الوجداني الّذي يحترم الوعيّ بأشكاله ضمن سيرورة التّطوّر البشري، وذلك منذ انبعاث البلاد أو التّأريخ الدّقيق لولادة تونس بحسب عبارته. ولم يتوقّف الباحث عند هذا الحدّ من البحث العلمي الدّقيق والموجّه حسب هدفه المضبوط، بل مرّ إلى استخلاص النّتـائج وتأليفها وإلى موضعة الاستنتاج ضمن التّصوّر الّذي احتكم إلى الجدل- وانتهى إلى الحلول.

لقد انتهى المؤلّف إلى وضع خاتمة عامّة تمنيّت شخصيّا أن تكون برنامجا سياسيّا لبعض الأحزاب. برنامج هو وكما قال عنه استراتجيّة واضحة المعالم لترتيب البيت التّونسي وفق اعتبارات تقطع مع الانغلاق والانعزال وتتفاعل مع الثقافات الرّأسماليّة الغربيّة بشكل إيجابي.

شكل هذا الرّسم الاستراتيجي نقطة هامّة في هذا المؤلّف، لا لأنّه يقترح حلولا أو لأنّه ينتصر للهويّة التّونسيّة ويرنو إلى تحصينها، بل لأنّه يمثّل لي قوّة الاقتراح الّتي أضحت واجبا وطنيّا على المثقّف والباحث الجامعي القيام به من أجل استثمار المعرفة لفائدة الوطن، كما يمثّل لي، ومع ما أبداه الباحث في تقديم الكتاب من موضوعيّة علميّة ومن نكران للذّات في الاستئثار بالمعرفة في تواضع نادر، موطن إبداع لممارسة المواطنة بروح انتصاريّة ترى المستقبل أجمل لبلد مأزوم أمكن له أن يتجاوز وأن يكون بحقّ حقيقا باستباقيّته في دخول الحداثة عربيّا وإسلاميّا وإفريقيّا وأن يدشّن عهد تعدّد الأصوات وتعدّديّة سياسيّة تؤسّس لديمقراطيّة أضحت ممكن من خلال هذا الإيمان بعبقريّة التّونسي من خلال شخصيّته لذلك أقول بأنّي وجدت في الهادي التّيمومي العاشق الّذي لم يتخلّى عن تونس بجهده العلمي والمعرفي الّذي تدفّق منذ كتاباته الأولى وتحقيقاته في أحوال فئاتها الاجتماعيّة بانتفاضاتهم ومآسيهم، فقد خبر الهادي التيمومي تاريخ تونس الحديثة في القرنين الأخيرين بشكل دقيق متابعا أحوال الفلاحين والخماسة والنّقابيين وغيرهم من الشّرائح الرّهيفة الفاعلة في تاريخ

قراءة في كتاب

البلاد.

الكتاب : مقدّمة عامّة يتطرّق فيها الكاتب إلى الهواجس والدّوافع الّتي كانت حوافز لتـليف هذا الكتاب، متناولا الغرض الرّئيسي للمؤلَف الّذي هو الهويّة التّونسيّة- الشّخصيّة التّونسيّة، الّتي تنطلق أساسا من هويّة البلد والمؤديّة إلى هوية المواطن، فبمثل ما يتحدّد تعريف المواطن بتعريف البلاد تتحدّد هويّة البلاد بمواطنيها. وقد افترض هذا الجدل بين البلاد وأبنائها جدلا آخر بين الماضي والحاضر، الأمر الّذي يستدعي الاستفاضة في معرفة الماضي للتّوصّل إلى فكّ شفرات التّراكم الّذي بنيت على أساسه وبه هويّة البلاد التّونسيّة وشخصيّة المواطن التّونسي عبر سنين وقرون. لهذه الأسباب اقترح التّيمومي أسلوبا استقرائيّا لمعطيات الماضي، انطلاقا من تبصّر الحاضر وهو عمل استردادي يقوم على «إعادة تسليط الضّوء على الحاضر انطلاقا من اعتماد تجربة الماضي» مستشهدا بإدغار موران.

يقترح الدّكتور التّيمومي في الفصل الأوّل وضع الأدوات الإجرائيّة المفترضة للقيام بالبحث. وهو (عنصر بيداغوجي) يقوم بتسهيل مهمّة القارئ المنتمي إلى شرائح اجتماعيّة وثقافيّة مختلفة، وبالتّالي ضبط المؤلّف هذه العناصر المفاهيميّة والمنهجيّة لفائدة التّدرّج البيداغوجي. فتناول مفاهيم الثّقافة والهويّة والقوميّة والدّولة وهي المفاهيم المفاتيح من أجل طرح مسألة الهويّة التّونسيّة في الأطر العلميّة والفكريّة الممكنة، لذلك تدرّج نحو وضع السّؤال: هل البحث عن التّأريخ الدّقيق لولادة تونس؟ وهو سؤال بقي معلّقا إلى آخر الكتاب دون إجابة فهو توسّل للسؤال إذ يرى الباحث أنّ ميلاد تونس لم يكن وليد فترة ولا حقبة زمنيّة مخصوصة، بل هي إفرازات لتراكمات تشمل تاريخ تونس بأكمله لا جزء بعينه من هذا التّاريخ، الّذي يحتوي على تقطّعات واسترسالات جمّة. ومن الخطأ وحسب قوله أن نتناول مسألة القومية التّونسيّة قبل 1956.

في هذا العنصر يطرح السّؤال حول ماهية وظيفة المؤرّخ متعرّضا بالنّقد إلى المؤرّخين الباحثين في مسألة الأصول. (حسن حسني عبد الوهّاب في كتابه ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة وخلاصة تاريخ تونس طبعة سنة 1983 مثالا لذلك) وقد حبّذ الباحث أن تكون دراسة السّيرورات التّطوّريّة والدّورات التّأريخيّة والتّراكمات حلاّ أنسب وتصوّرا أكثر نجاعة، لأنّه ليس بالإمكان القول بأنّ للمجتمعات تكوينات مكتملة قصد تنزيل الهوية التونسيّة في المدى البعيد لتاريخ البلاد بدء بالفترة البونيقيّة وصولا إلى الحاضر.

أمّا الفصل الثّاني من الكتاب، فقد تضمّن بحثا في المعنى الّذي يكون به التّونسيّون تونسيّين، وذلك من الواقع الموضوعي لتونس كبلد له جغرافيّة خاصّة وتموقع خاصّ بالبحر الأبيض المتوسّط هذا التّموقع الّذي منحها بعدين: الأوّل الموقع الاستراتيجي الهامّ باعتبارها قريبة من أوروبا- والثاني هو انفتاحها على الصّحراء- على إفريقيا وهي مواقع تربط بين برّين عبر البحر والسّواحل (لقد كانت تونس مطمعا ومطمحا ومحلّ عشق زائريها). كما يحدّد الباحث المقوّمات الجغرافيّة الّتي تفرّدت بها تونس- خاصّة الحدود الّتي بقيت على حالها منذ انبعاثها.

يقدّم لنا في هذا الجزء الهامّ من الكتاب السّمات السّمحاء لدى التّونسيّين، ومنها الاندماج وكرم الضّيافة والتأقلم مع القادم إلى البلاد. ويعدّد في هذا الجانب مناقب التّونسيّين على مدار الحاضر مستمدّا من التّاريخ الحجّة والبرهان. كما لم يهمل وفي تفريع ثان السّمات المحرجة لدى التّونسيين والّتي لم يذكرها على أساس أنّها علامات سوء وذلك إكراما للتّونسيّين ولتونس.

إنّ ما أثارني في هذين الفصلين هو قدرة المؤلّف على استيعاب خصال التّونسيّين و(مساوئهم) من خلال المواقف والعادات والتّقاليد والموروث الشّعبي، لذلك وعندما عنون الفصل الثّالث سمّاه «الكلمات والأشياء» استعارة عن الفيلسوف (ميشال فوكو). وقد كان لقدرة الهادي التّيمومي على تمثّل المواقف والكلام المتلفّظ من طرف التّونسيّين بعدا عظيم الأثر في إثراء قراءته التّحليليّة (ذات التّلميح) والاستنتاج، الّتي تبدو تفكيكيّة حفريّة على النّهج الفوكلتي في البحث في خبايا الأشياء وربط العلاقات بين المقوّمات والمكوّنات من أجل صياغة الأفكار الكبرى ذات البعد التّأليفي. وبدا لي المؤلّف، في هذا العنصر ذلك المثقّف المنتبه لما يدور حوله من وقائع- بمثابة الرّاوي أو المؤلّف الرّاوي، الّذي لا يهمل التّفاصيل الدّقيقة ولا يغفل الخطّ الرّئيسي لكتابة روايته من عمق في الرّؤية واتّساع في العين والذهن. وهو هنا المثقّف المندمج في المجتمع والعارف بأسراره وبما يحول داخل ثناياه- وهذا أمر ليس بغريب على رجل قدّم لتونس كتبا مهمّة كنقابات الأعراف (1955-1932 والكادحون الخمَّاسة في الأرياف التونسية (1943-1861) (1999))، انتفاضات الفلاّحين في تاريخ تونس المعاصر- مثال 1906، تاريخ تونس الاجتماعي 1881-1956.... إنّ هذه الكتب النّوعيّة في دراسة أحوال وتبدّلات المشهد الاجتماعي التّونسي وفق تتبّع دقيق لمختلف العلاقات بين وسائل الإنتاج وامتلاكها وتأثيرها في الشأن الاقتصادي والسياسي في فترات مخصوصة وحسب قضايا محدّدة، هي الّتي منحته القدرة على صياغة المشهد الأكبر، الّذي هو هويّة البلاد هي الّتي أهّلت التّيمومي (وهو أهل لذلك) بأن يخوض في مسألة الهويّة التّونسيّة بأريحيّة وبوضوح في الرّؤية فصلا بفصل. إنّ هذا الباحث سليل ابن خلدون / وصنوّ حنون، تمكّن من الحفر في تاريخ المسائل الاجتماعيّة والسّياسيّة والنّقابيّة والاقتصاديّة التّونسيّة والإقليميّة بأسلوب يمكّنه من أن يفيد تونس ويفيدنا في فهم ثوراتنا وانتمائنا.

وبعد أن فتح باب الحاضر على مصراعيه في الفصل السّابق استدعى الباحث تاريخ تونس في الفصل الثالث من الكتاب، محلّلا من وخلال نمط الإنتاج وتحوّلات شكل الدّولة منذ ما قبل الفينيقيّين إلى اليوم وقام وعلى وضوء الواقع وتبصّره باستقراء التّاريخ للتّدليل على ما سبق ذكره ولتأليف عناصر الحاضر بما سبقها وسحبنا إلى جولة في تاريخ تونس بحقبه ومؤثّراتها متوقّفا عنه العناصر الّتي جمعت التّونسيّين وجعلت منهم مجموعة متنوعّة ومتجانسة من السّكان الأصليين والوافدين. وتطرّق بالخصوص إلى المحطّة الفينيقيّة المنتهية إلى عهد الرّومان وقدوم الفينيقيّين إلى تونس ودخولها في التاريخ والحضارة معتبرا إيّاها محطّة سياسيّة ثمّ المحطّة العربيّة الإسلاميّة ومجيء العرب إلى إفريقيّة وإدماجهم للبلاد في صلب الحضارة العربيّة الإسلاميّة وأطلق عليها اسم المحطّة الدينيّة وانتهى إلى محطّة أخيرة عنونها بالمحطّة الاقتصادية الّتي تمّ فيها إدماج البلاد ضمن المنظومة الرأسماليّة العالميّة في القرن 16 وبالخصوص في القرن 19. واستعرض تاريخ تونس تدريجيّا من أجل البحث عن المعطيات المساهمة في بلورة الهويّة سواء تقدّما أو تقهقرا في تجاوز للقبليّة والإثنية والدّين حدّ سواء (تونس ليست بلاد سيبة : توحيد السّلطة المركزية منذ البايات).

جاء الفصل الرابع والأخير متمحورا حول العلاقة التّناحريّة (الكره الودّي حسب لفظ التيمومي في كتابه تارسخ تونس الاجتماعي بسن -1881 1956)، بين كلّ من التّاجر والفلاح وهما المكوّنان الرّئيسيّان للمجتمع التّونسي منذ قدوم الفينيقيين، فعنونه التّاجر الدّاهية والفلاح الثّائر (كلّ تاجر فاجر)، وتعرّض إلى جميع أصناف الفلاحين والتّجار بالبلاد التونسيّة مستقرئا جميع الأزمات الّتي مرّ بها كلّ من التّاجر والفلاّح في تاريخ البلاد كالانتفاضات والثّورات وخاصّة في ما بين 1864 و2014 وهي مدار القرنين الأخيرين من تاريخ تونس وبتحليله للشّخصّية القاعديّة لكلّ من الفلاح والتّاجر استنتج التيمومي أنّ تاريخ تونس والشّخصيّة التّونسيّة كانت شديدة التأثّر بخلق التّاجر أكثر منه خلق الفلاّح. واعتبر التيمومي أنّ التّاجر (الدّاهية) صانع رئيسيّ لتاريخ البلاد لأنّ شخصيّة التّاجر قائمة على البعد البراغماتي والحريّة والانفتاح وحبّ الحياة وانقلاب المواقف والبحث عن تحقيق أقصى النتائج بأقل مجهود ممكن، بينما الفلاّح شديد التعلّق بالأرض واندفاعي واحتجاجي وكريم وشجاع لكنّه لا يحسن استغلال الحسابات السّياسيّة خاصّة لنزوعه إلى التّشدد والعصبيّة والعشيرة والعقيدة. ويرى في التّوزع السّكاني وغياب نمط إنتاج بعينه (فيودالي أو رأسمالي) هي الأسباب الّتي جعلت من انتفاضات الفلاّحين إصلاحية أكثر منه إبداعيّة ثوريّة إن لم تكن رجعية أحيانا. لقد كان التّاجر فاعلا رئيسيا في توجيه دفّة البلاد نحو الحداثة واستباقها للعالم العربي والإفريقي في هذا المجال وذلك بفضل اعتداله وانفتاحه على الآخر ومرونته في التعامل وهو ما أسس لريادة تونسيّة هامّة في مجالات الحقوق والمؤسّسات.

لقد قدّم لنا الدكتور التيمومي سيرة تونس كما لو كانت رواية أو نصّا سرديّا موشّى بعديد من الأمثال الشّعبيّة بأسلوب وصفي دقيق، سلس ومرح، لا تنقصه النّادرة أو الطّرفة، بل تدعمه الجملة الفعليّة وتغلّب على الجملة الاسمية والكتابة التّقريريّة. أسلوب استقرائي استنباطي في نفس الوقت الّذي يحمل أبعاده الاستدلاليّة، ينتقل فيه المؤلف من السّارد إلى صاحب الموقف أو الفاعل الرئيسي في توجيه القراءة تفوح منه رائحة الحكواتي الحاذق والعارف بخبايا الحوادث والوقائع. واعتمد وعلى غير عاداته على إتباع المنهج الفينومينولوجي (كانط وهوسرل)، من باب أنّه سعى إلى أن يكون أمام ثلاثي السّؤال لدى كانط : ماذا أستطيع أن أعرف ؟ ماذا علي أن أفعل ؟ وماذا بإمكاني أن آمل ؟ لذلك كان انتماء التيمومي لحقيقة البلاد وشعبها أهمّ لكثير من انتمائه إلى اليسار، والحقيقة رغم نسبيّتها لا تنجلي إلاّ عن تحليل للواقع: الواقع الملموس، هذا الّذي يستدعي منّا التحاما به كي يكون تحليلنا له منطقي ومتناغم.

ختاما أقول والعهدة عليّ: إنّ كتاب : كيف صار التّونسيون تونسيين للباحث الدكتور الهادي التيمومي بمثابة رواية قوامها سيرة بلد بشعوبه وسيرة وجدان يتكوّن ويعيش صيرورته في مجتمع عاش عديد الإرهاصات ليصل إلى ما هو عليه مقارنة بشعوب شبيهة، إنّها الخصوصيّة التّونسيّة، الّتي وجد فيها التيمومي خير حام لهذه البلاد من الضياع في أتون الصّراعات.

قراءة في كتاب

«مرايا الأنفاق» لحفيظة قارة بيبان بين التّفكير والتّصوير

عبّاس سليمان

في كتابها القصصيّ «مرايا الأنفاق» استطاعت حفيظة قارة بيبان أن تكون بمنأى عن آفتيْن تقع فيهما الكتابة عامّة والكتابة الأقصوصيّة على وجه الخصوص هما الإغراق في الغموض الّذي يُفقد الكتابة معناها وينفّر القارئ ويجعل النّصّ سطورا متعاقبة من الطّلاسم الّتي لا تُفهم ولا تُؤوّل ولا ذائقة فيها، والبساطة المفرطة الّتي تُبين على أنّ من كتب لا يختلف عن أيّ شخص آخر لغةً وثقافةً وحيلةً وفنًّا.

وقد جمعت بنأْيها عن هاتين الآفتيْن بين الفكرة والصّورة وبين الحدث والرّمز وبين الرّاهن والتّاريخيّ وبين الجدّ والهزل وبين ما يفكّر فيه الكاتب وما ينتظره القارئ وبين سلاسة السّرد ومتانة الفكرة. ويمكن أن نرصد نماذج لهذا اللّون الكتابيّ في مجموعة حفيظة قارة بيبان من خلال العنوان أوّلًا والمتن ثانيا.

العنوان

ورد العنوان مركّبا إضافيّا أضيفت بمقتضاه المرايا وهي جمع مرآة إلى الأنفاق، وهو جمع نفق، فتصبح للأنفاق بمقتضى هذه الإضافة مرايا أي تصبح للممرّات الطّويلة المنغلقة على نفسها تحت سطح الأرض أداةٌ لها قابليّة عكس الأشياء وتصغيرها وتكبيرها وتقريبها وإبعادها. وإذا تجاوزنا المعنى الحرفيّ للمرايا وللأنفاق تتحوّل دلالة العنوان إلى الحديث عن سبر أغوار النّفوس والاطّلاع على الخفايا وقراءة الواقع ما ظهر منه وما بطن ورؤية العالم بعين ثاقبة وتحليل الحياة المجتمعيّة وما تزخر به من أفعال وأقوال وأسرار وقضايا وقيَم وتاريخ وفكر ومآسي واختلافات ووجهات نظر... وهكذا يصبح العنوان الشّامل لهذه القصص محيلا على النّظر في أحوال النّاس وعلى قراءة العالم وعلى رؤية خفايا المجتمع بعين كاتب... هكذا، لم يكن العنوان من البساطة بحيث لا يثير أيّ إرباك ولا يدعو إلى أيّ تفكير ولا يحمل على أيّ تأويل ولا ينبّه ولا يحفّز ولا يحثّ على التّفكير... ولم يكن من التّعقيد بحيث يقف صدّا منيعا أمام محاولات التّفسير والتّأويل وبابًا موصدا بالمزاليج يرفض أن ينفتح وجدارا عاليا لا يمكن تسلّقه. كان عنوانا بُني عن حيلة وصيغَ بذكاء يمكن أن نقرأه وأن نأوّله وأن نجد إليه منفذا أو منافذ .

حفيظة قارة بيبان

المجموعة

قسّمت المؤلّفة كتابها القصصيّ إلى أربع مجيْمعات مستدعيةً بالرّقم أربعة عدد الفصول وعدد الاتّجاهات وعدد عناصر الطّبيعة كأنّها توحي بأنّ مدار أقاصيصها الفصول الأربعة بما يعنيه ذلك من إحالة على اليوميّ الّذي لا يستطيع غيرُ جنس القصّة القصيرة أن يلتفت إليه وأن يهتمّ به وأن يرصد تفاصيله، وبأنّ أقاصيصها تدور بين عناصر الطّبيعة الأربعة، الماء والهواء والتّراب والنّار، بما يعنيه ذلك من أنّها لن تحلّق عن كون النّاس وعن حياة القارئ وعالمه وأنّها قصص تتنفّس الهواء الّذي يتنفّسه القارئ وتنبع من العيون الّتي يشرب منها وتلتصق بالتّراب الّذي يمشي عليه وتكويها النّار الّتي تكويه. وقد استطعنا أن نرصد نأي الكاتبة عن البساطة من جهة والتّعقيد من جهة أخرى من خلال ثلاثة عناصر على الأقلّ هي القضايا والشّخصيّات والوصف.

القضايا

في أقصوصة «التّحقيق» (ص 11) يتسلّل السّرد إلى علاقة بعض النّساء بالرّجال من زاوية تكاد تكون غير مطروقة إذ يترك جوانب الحبّ والزّواج والشّغل والصّداقة والأمومة والأبوّة ليروي مأساة امرأة أدمن زوجها الشّراب والمخدّرات من جهة والبطالة من جهة أخرى واضطرّها إلى أن تُعيل الأسرة وتصرف على نزواته. لم تسقط الأقصوصة في التّسطيح والكتابة الصحفيّة اليوميّة وفي نقل الأحداث نقلا آليّا متدرّجا مبسّطا وإنّما جعلت القارئ يفكّر طويلا قبل أن يكتشف أنّ بعض النّساء معاناتهنّ مريرة ووجعهنّ يفوق أحيانا الاحتمال « ارتمى عليّ... جرّني من شعري لأنهض ضاربا بجنون كلّ ما يلقى من جسدي... أخذ بالقدر ببقايا الطّعام ورماه ليتهشّم على رأسي... لم يصدّق أنّني صرفت كلّ ما عندي في لوازم الغداء وكتاب مدرسيّ لابنته...خطف السّكّين وهمّ بي» (ص 14)

`ثمّ إنّ اللّيلة تزداد سوءًا لمّا تلوذ المرأة بمركز الأمن فيُقال لها: «لا يوجد عون للخروج معك» (ص 14) « وتُضطرّ إلى أن تبيت اللّيل «تحت جدار بيت خرب مهجور» (ص 14)

لم تكن الأقصوصة مبسّطة متهافتة ولا هي غرقت في الإغماض فضربت بينها وبين قرّائها سدّا وحالت دونهم وفهم مقاصدها وتلذّذ لغتها وتحليل أحداثها.

قضايا عديدة في قصّة قصيرة واحدة سيكون على القارئ أن ينتبه إليها وأن يفكّك أحداثها ومفاصلها ويحلّل شخصيّاتها ويعيد تركيب زمنها الّذي تلاعب به السّرد كثيرا.

الشّخصيّات

لا تعرّي قصص حفيظة قارة بيبان عن وجوه شخصيّاتها فتقدّمها بشكل فاضح، ولا هي تخفيها فتجعلها أشباحا لا سبيل إلى إدراك أفكارها وطباعها ونواياها. إنّها إذ ترغب في التّعبير عن جمال الفتاة المعينة وفي تقديم صورة عن ملامحها تقول: «يرتفع إلى المنادي وجه الموناليزا...» (ص 11)، وإذ ترغب في نقل حالة نحافتها تقول»...أنثى لم تتخطّ الثّلاثين تبرز من هزالها العظام» (ص 11)

وهي إذ تروي حالة بنيّة وقعت ضحيّة لعلاقة متوتّرة بين أبيها وأمّها، ضحيّة خلاف مستديم بين أمّها الغارقة في شغلها وفي معاناتها وأبيها الغارق في إدمانه تقول:

«انظري البحر، لنذهب إليه ولنلعب على الشّاطئ.

فرحت الصّغرى. اتّسعت عيناها العسليّتان. تألّقتا ببهجة. من أشهر طويلة لم تصحبها أمّها إلى الشّاطئ ولم تلعب بالرّمل ولم تبن المنازل والقصور...كانت أمّها تعود من العمل، متعبة ترمي لها لعبة وتتركها... يعلو سريعا صراخها مع أبيها العائد ليلا، وفي عينيه جمرتان مخيفتان... أو تغلق عليها الباب... تأخذ المفتاح وتخرج للطّريق. الآن هي بعيدة عن الصّراخ والخصام والبيت المغلق وعينيْ أبيها... (ص 41).

وللحديث عن أمّ منهارة إثر فقدان ابنتها تقول:

«كانت تحكي حكايتها لا لجارتها واقفة كما كانت في سقيفة البناء، ولكن ممدّدة على فراش بارد أبيض في غرفة بيضاء والإسطوانة في الحاكي تدور، والبحر يرسل موجه هادرا عند أعتاب المصحّة ليصل الهدير غاضبا كئيبا عبر قضبان النّوافذ» (ص 47).

ولذكر الحبيب وما ربط بينه وبينها من ذكريات تقول: «آخر صيف دعتك البلاد، كنّا نتسكّع على طريق الكورنيش واللّيل منعش النّسيم وذراعك تمتدّ تضمّني إليك ورأسي ينام على كتفك والقمر يرتفع وئيدا ودودا من البحر السّاكن.» (ص 58)

لكأنّ حفيظة قارة بيبان تتّفق مع النّقّاد الّذين يقولون «إنّ القصّة هي الشّخصيّة»، ولعلّها لذلك تحسن اختيارها أوّلا وتجيد ربطها ببقيّة الشّخصيّات ثانيا وتتحدّث عنها على نحو يجعل القارئ يراها ولا يراها، يحبّها كأنّها قريبة منه ولها عليه أفضال لا تعدّ، ويشفق عليها كأنّها من لحمه ومن دمه، وقد يكرهها فيُعرض عنها ويتمنّى أن يتلاعب بها السّرد وينتقم منها.

الوصف

لم ترد مقاطع الوصف مكشوفة واضحة تقرأها فتستقرّ أمامك صورة الموصوف، ولا هي وردت غائمة تقرأها فلا تحصل في مخيّلتك صورة معيّنة ولا ملامح محدّدة. بل إنّ مقاطع الوصف في قصص حفيظة قارة بيبان كثيرا ما تغادر أجواء السّرد لتحلّق عاليا في عوالم الشّعر حتّى إنّ كثيرا منها يمكن ان يصبح أبياتا شعريّة بمجرّد ما نعيد كتابته على الطّريقة الشّعريّة.

«القمر تدلّى مشنوقا من السّماء... القمر على وجهه قطرات... دم... برك...

أين أنت؟ وذكراك تشقّ الظّلمة إليّ كشهاب من نور.» (ص159)

«أقترب من النّافذة المهشّمة. أبحث عن نسمة هاربة. فإذا النّجوم انطفأت، والسّكون المشحون بالخوف والتّرقّب والمدينة في الظّلمة.» (ص 161)

« سينتهي اليوم كلّ شيء ! ..يكفي ما كان ! ..يكفي ما يكون !.. يكفيها صبرا وانخذالا وتعذيبا لجسد يذوي يوما بعد يوم.» (ص 209)

«كانت تسير في الطّريق الموحل كما اعتادت كلّ يوم، لتجد نفسها دون أن تدري أمام السّاحة المسيبة، مع الأطفال والشّمس ترسل لها من خلف الغيوم شعاع تحدّ جديد.» (ص 218)

خاتمة

كلّما تعالت أصوات بعض النّقّاد محذّرةً من أنّ جنس الأقصوصة على شفا حفرة من الانقراض كلّما تمسّك الأقصوصيّون بجنسهم المفضّل وأخرجوا للنّاس ما يثبت أنّ القصّة القصيرة جنس لا يموت ولا يركن إلى الجمود ولا يحدّه حدّ ولا يقف أمام طموحه شيء . وليست «مرايا الأنفاق» غير مجموعة تثبت أنّ تحذيرات النّقّاد مُهَوَّلة وأنّ جنس الأقصوصة جنس ينافس أعتى الاجناس وأشدّها اعتدادا بنفسه.

مرايا الأنفاق، مجموعة قصصيّة، حفيظة قارة بيبان، الأمينة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، جانفي 2024.

قراءة في كتاب

«صخب المؤنث» للكاتبة أم الزين بن شيخة... أو كيف السبيل للتحرر من القمقم الرعوي؟

أ. سعاد زريبي

تولد الكتب من واقع الشعوب، من أمالهم ، الامهم، مشاكلهم، مشاغلهم وطموحاتهم في هذا السياق الفكري والروحي ولد كتاب صخب المؤنث للكاتبة والفيلسوفة التونسية أم الزين بن شيخة المسكيني. كتبت ام الزين بن شيخة في الفلسفة والفنون بعامة ، انشغلت بالتفكير في الممكن وأسس الحياة المشتركة مترحلة بين خرائط فكرية، فلسفية وفنية متعددة و مختلفة. لقد كان الهم الفلسفي بالنسبة لها ينحاز في كتابتها عن الترف الفكري من أجل الانتصار الى المعارك العميقة الخاصة بالجماهير و البحث في شروط انصاف البشر عبر الكلمة و الابداع . تكشف الكاتبة في مختلف كتابتها منذ كتابتها الأولى كانط راهنا مرورا بالرائع يخرج عن طوره وصولا الى تحرير المحسوس و الفلسفة في الفضاء العمومي عن صراعات الانسان المعاصر فهو انسان يعاني من قحط انطولوجي و فراغ في حلقات المعنى الا انها وفي كل كتاباتها تؤكد على جسارة الانسان الذي لازال يبحث عن الامل في انشاء عالم انساني يليق بالبشر. يتنزل كتابها صخب المؤنث في هذا المنظور الفلسفي الذي تشتغل فيه الكاتبة التونسية منذ سنوات. يشكل هذا الكتاب مرحلة من مراحل تفكير الكاتبة في المشترك بين البشر، هاهنا لا يتعلق بالبشر بعامة بل بالإنسان بشكل خاص من جهة الجنس : رجل و امرأة ، ذكر و مؤنث . لا شك ان الكاتبة تنصب معركة ضد كل أشكال الثنائيات في كل مفاصل المجتمع من اجل المطالبة ببناء مجتمع صائر، كثيف ، مبدع ، حر وحيوي يتنازل عن أعبائه الميتافزيقية و كل أشكال الفصل الثنائي. صخب المؤنث هو كتاب بشكل معركة ضد الاضطهاد الذكوري ، الديني و السياسي على الأنثى ماديا ورمزيا ، لغويا و خطابيا ، دينيا و سياسيا ، فكريا و مجتمعيا . هاهنا لا تطالب الكاتبة بتنصيب معركة ضد الرجل أو المذكر بل شكل الكتاب نمط خاص من الاحتجاج ضد كل أشكال التي تفصل بين الجنسين من أجل فك كل أشكال الصراع بين البشر ، أي كل اشكال العداء ناشئ بين طرفين من أجل المطالبة بالعيش المشترك ومن أجل إحلال السلام بيننا بوصفنا بشرا أي تجاوز منطق الفصل بكل أشكاله :الديني ، العقائدي ، الفكري أو السياسي أو الجغرافي.

أم الزين بن شيخة

صخب المؤنث كتاب خرائطي ترحلت فيه الكاتبة بين الأفكار الفلسفية، الفكرية و السياسية لكاتبات نسويات عبر العالم من فرنسا الى الولايات المتحدة الأمريكية : من الجنس الثاني لسيمون دي بوفوار المطالبة بالنسوية المساواتية فالمرأة رجل كالأخرين ، المرأة لا تولد امرأه بل تصير كذلك الى النسوية الاختلافية لويس إيريغاري القائمة على ضرورة الدفاع عن الاختلاف الجنسي بوصفه أمرا أساسيا من أجل مقاومة سياسات الذكورية الى جوليا كريستيفا في كتابها العبقرية الأنثوية سنة 1999 ثم الى ماريا ميس و فاندانا شيفا و كتابها الأيكولوجيا النسوية الى النسوية الأسترالية من أصل إيطالي روزي برايدوني و أطروحتها المطالبة بالنسوية المترحلة» و هي فكرة تقتضي ضرورة إعادة الأنثى الى صخبها الإبداعي و قدرتها على الصيرورة أي الخروج من كينونة المرأة الى النسوية السياسية لروزا لكسمبورغ بماهي أيقونة النضال النسوي من أجل النساء البروليتاريات التي تعتبر أن في العائلة الرجل هو البورجوازي و المرأة تلعب دور البروليتاريا الى نانسي فريزر الناقدة للفضاء العمومي الليبرالي الذكوري .

لم يكن رهان الكاتبة عرض اهم اطروحات التي تقدمت بها النسويات الغربيات فحسب بل حولت هذا المكنة الى تساءل عن واقع المرأة العربية و رسم خريطة اشتغال للخطاب النسوية القادم في العالم العربي . لم تخرج صيغ النسوية في العالم العربي عن سياقات التنديد و المطالبة بضرورة تغيير وضعية المرأة في العالم العربي و لم تتجذر هذه الخطابات بشكل عميق في سياقات الفعل و الممارسة في المجتمعات العربية وبقي دور المرأة غامض أما القرارات و الخطابات فلم تكن حاسمة لضمان حقوقها . لقد تأسست اغلب دعوات تحرير المرأة في البلاد العربية تحت أقلام ذكورية من قبيل رفاعة رافع الطهطاوي ، قاسم أمين، حسن حسني عبد الوهاب ، الطاهر الحداد رغم وجود رائدات في هذا المجال كنوال السعداوي ، فاطمة المرنيسي ، رجاء بن سلامة ، امال قرامي و ألفة يوسف.

تبدو وضعية المرأة في العالم اليوم محرجة ، مقلقة و مخيبة للآمال رغم كل دعاوي التقدم الفكري شكلها شكل كل قضايا الأقليات في العالم التي يجب التفكير فيها عميقا لأنها تكشف عن مغالطات العالم المعاصر و ادعاءاته بالتقدم الفكري. غربا وشرقا كشفت الكاتبة عن هواجس الكتابات النسوية الغربية ودعوتها الى نبذ التطرف ضد المرأة و التعصب الفكري و الديني والسياسي . تجولت الكاتبة أولا بعقول قراءها بين أهم الكتابات النسوية و اهم الأطروحات التي كتبت وطورت في العالم حول قضية النساء في العالم الى مقاربة إشكالية تفكر في عمق الوضعية الحالية للنساء في العالم العربي ثانيا فكانت الأسئلة المحرجة و القلقة عنوان رسميا لكتابها. إن كتاب صخب المؤنث هو نص الأطروحات ، الإشكاليات و الأجوبة : اطروحات النسويات الغربيات ، إشكاليات الكاتبة و أجوبة المبدعات العربيات عن إشكاليات الكاتبة . كل على طريقته قدمت النسويات الغربيات اطروحات فكرية و سياسية لمشكل النساء في العالم فحين قدمت الكاتبة الشكل المغاير للدفاع عن النساء في العالم العربي و العالمي من خلال الأعمال الفنية لمبدعات نسويات شرقيات حول وضعية المرأة في مجالنا الجغرافي المنهك بكل أشكال الذكورية. قد يبدو من نافل القول أن وضع النساء في العالم العربي قاتم و مخيب للأمل لكن العمل الذي يجب القيام به ليس مجرد التعبير عن الاستياء بل في ضرورة التفكير عميقا في مشكل النساء في العالم

قراءة في كتاب

العربي . تكمن جسارة صخب المؤنث في كونه كتاب تمكن من وضع الاصبع على موطن الداء و طرح الإشكاليات الحقيقة و العميقة لهذا المشكل الفكري و السياسي و الديني للمرأة في العالم العربي. يطرح علينا صخب المؤنث جملة من هذه الإشكاليات المحرجة و المقلقة وهي تنضدها الكاتبة بشكل اجرائي و صارم من أجل إرساء العدالة بين البشر في الديار الإسلامية و العربية وهي أسئلة من قبيل من هي المرأة العربية ؟ من أكون اذا قلت اني امرأة أو اني رجل ؟ ما معنى أن اوصف بأني أنثى أو بأني ذكر؟ هل ثمة فقط شكل واحد من الجندر المعقول؟ اية مكانة للنسوية العربية ضمن صراعات النسوية المعاصر؟ هل أن وضع النساء في العالم الإسلامي العربي اليوم يسمح بتحرير النساء من أشكال العنف الجنسي ضدهم ؟

كيف نحرر الكلام حول الجنس و حول ما يحدث في كواليسنا المظلمة التي لا تزال فيها رغباتنا و أجسادنا مستعمرات تحت وصاية الفقهاء و الدعاة و تحت اضطهاد الإرهابيين؟ كيف تمت هندسة مكنات القهر ضد الأجساد المؤنثة ؟ كيف يتم التشريع لهذا العنف و لاستمراريته بتواطؤ النساء أنفسهن عبر صمتهن عم يحدث لأجسادهن في منطقة العنف المظلمة؟ كم من الدماء المؤنث سالت في أخاديد هذا الصمت العالمي عن قهر المؤنث منذ سحل الفيلسوفة المصرية هيباتيا في شوارع الإسكندرية من شعرها الى حد الموت 415 م الى حدود اغتيال مهسا أميني بسبب عراء شعرها 2022؟ أية مكانة لها في نزاع النسويات المعاصرة ؟ لماذا لم تنتج النساء الفقيهات ،الشاعرات و الكاتبات في فرض الاعتراف بوجود النساء داخل مجال التشريع للمعرفة؟ هل علينا اللحاق بالأحداث الفكرية العالمية دون هوية أم نحن مطالبون بالعودة الى نصوصنا القديمة من أجل تحريرها من سلطة النحو على الجندر؟

تقترح الكاتبة في كتابها صخب المؤنث شكلا مغايرا من الفهم لقضية النساء في العالم العربي تقول نحن بحاجة الى درس في «التخريب» : تخريب في الهويات الجاهزة أي ضرورة العودة الى الأماكن المظلمة داخل سلطة النحو و سلطة الفقه ، زعزعة التشريعات بدل تبريرها .إن خرائب الجندر تقول الكاتبة هي» أسئلة جريئة حول هوياتنا التي اعتقدنا طويلا انها محصنة أنطولوجيا عن كل أشكال الريبة».

لا تقترح الكاتبة درس التخريب بمعنى الفوضى و الخراب بل التجرأ على استعمال عقولنا وتحريرها من كل الاوثان القديمة من قبيل ذكر و انثى ، رجل و امرأة وهو ما تراهن عليه بتلر في اطروحتها القائلة بضرورة «بث الهلع في عقولنا لزعزعة أوهامنا حول أجسادنا ...من نكون؟

يكمن الرهان كله في كيفية تحقيق الانزياح من النساء الى المرأة ، من القمقم الرعوي الى المواطنة الفاعلة. ان المرأة ليست نقصا بل اختلاف ، ناقصة عقل و دين بل اقتدار و تميز و يجب تحريرها من اعتقال الهيمنة الذكورية و النظام الأبوي هو تحرير و تقدم للمجتمع وهو تحرير مشروط بضرورة تخليص الخطاب حول المرأة من المؤسسة الدينية. تدخل الكاتبة في سياقات تحويل النسوية الى قضية فلسفية طالما أن الفلسفة هي تفكير في الواقع . لكن ماذا يعني أن تتفلسف المرأة العربية ؟ تجيب الكاتبة عن مهمتها كالتالي: أن تنتج خطابا فلسفيا و ان تخترع شروط امكان المستقبل، أن ترسم خطط لمقاومة كل أشكال إعادة انتاج النظام الأبوي و الفتك بالهيمنة الذكورية ، الاشتغال على أسئلة جديدة خاصة بأشكال الحياة الممكنة داخل المجتمع ،الانخراط في نضالات سياسية حول الحقيقة و العدالة حول أشكال الظلم و معاناة الناس اليومية ، التعصب ، التطرف و أشكال العنف على الأجساد و العقول من أجل إرساء قيم عقلية و تنشيط خطوط إفلات من كل أشكال التطرف النظام الابوي . تضم الكاتبة صوتها الى فكرة الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا القاضية بضرورة ميلاد «الجماهير هذا العدد غير المحدد من الأصوات المختلطة هذا المتحول من العلاقات الجنسية غير محددة الهوية». تقول الكاتبة ،كفانا مشاعر ارتكاسية وانفعالية في قضية المؤنث» . لقد ان الاوان «ان نسمع صوت الجماهير الحرة وهي تصدح عاليا بصرف النظر عن جنسها» .

تطالب ام الزين بن شيخة بتحرير النساء من النسوية الغوغائية من أجل نسوية إبداعية أي اختراع اشكال جديدة من الحياة خارج كل أشكال الفصل الميتافزيقي مؤنث ومذكر وكل الثنائيات الناشئة منها والدالة عليها. ما نحتاج اليه هو فقط النضال في اتجاهات مغايرة والتحرر من الثنائي التقليدي مؤنث مذكر. إن صخب المؤنث لم يعد قابلا للكتابة تحت نفوذ العلامة و لا الجنس و لا الرمز الميثولوجي لأننا لم نعد كينونات بل صيرورات فنحن لسنا هويات بل نحن صيرورات. نحن دوما ما نصير و ليس ما كنا أو ما نكون و عليه لا نقل أنا رجل أو انا امرأة بل أنا صيرورة ولن نكون كذلك الا بتنشيط قوى الابداع و بثه في كل فضاءات الهيمنة من أجل زعزعة ركائزه و معتقداته.

وحده الابداع قادر على وعدنا بالسعادة و بالحرية وهو توجه على المرأة العربية أن تنخرط فيه بشكل شرس و جذري من أجل مقاومة كل أشكال القمم الرعوي المنتشر في مفاصل مجتمعاتها و في خرائطنا . تقترح الكاتبة نسويات عربيات مبدعات وفقت اعمالهن في التعبير عن جسارة المرأة في أوطاننا و التنديد بما يحدث للمرأة العربية ، الشرقية و الافريقية من تهميش و عنف ضد عقلها وجسدها. في هذا السياق تقترح الكاتبة مبدعات نسويات رائدات في الفنون التشكيلية استطاعت لوحاتهن ان تحمل انفعالاتهن و افكارهن وهي لوحات سارة القائدة ، منى حطوم ، مفيدة فصبان ، ألفة جمعة و وانجينشي موتي. لقد شكلت أعمال سارة قائد شكلا من التهكم و الثورة الجذرية على نظام العقل الذكوري العربي و على واقع مجتمعاتنا التي صارت فيه عقول البشر «فناجين» يسكب فيها من هب ودب ما شاء ، عقول تقول الكاتبة يحكمه الاستبداد و الإرهاب و صمت الخونة ثالوث فظيع يسوق لنفسه عبر شبكات إعلامية قائمة على البروبغندا و التدجين و غسل الأدمغة . لقد شكلت رسومات سارة القائد المربوط ، ارسمني ، بإسم الرب ، ماذا ارتدي لأقتل ؟ ، إرهابي يمسك بالكتاب ، فوق المحيط و أسفله ، كيمياوي من السماء ، من نكبة الى نكبات صور للواقع العربي المهزوم و الحزين لكن لا يموت الأمل و المرأة على قيد الحياة لتبدع هذه الفنانة الفلسطينية لوحة ثواني حملت فيها الفانة معاني انصاف للمرأة ولدورها في الحياة كفاعل من أجل انقاض الثواني الأخيرة مما تبقى . لا تنقض المرأة في نظر سارة القائد الزمن فحسب بل الخرائط أيضا المحتلة : فلسطين . رسمت سارة القائد لوحة الساقطين وهي تقول الكاتبة تظهر المرأة الممسكة بخريطة فلسطين و في الأعلى الصورة رجال يحتشدون وهم حكام العرب الذين خانوا فلسطين .

تنتقل الكاتبة بين حدين اثنين في قضية المرأة والنساء بين الاحتجاج و الغضب مما يحدث في مساحاتها و في الواقع العربي و دور المرأة إزاء ما يحدث حينها يصبح الفن أداة غزو كما في اعمال منى حاطوم لكل ما لا يقب الاختراق ، حين يصبح الوطن خرائط من صابون لا يمكن أن يكون الأمل الا واجب على المرأة العربية ان تخلقه في كل ما مكان تبثه على القماشة مثلما تبثه في واقعها تلك هي الرؤية التي رأت فيها الكاتبة لوحات الفنان التشكيلية مفيدة الغضبان : افريقيا ارجوحة العالم ، شجرة الفردوس الزرقاء ،لوحات جامعة بين الكابوس و الحلم ، الألم و الأمل . تجيد الكاتبة اخيار مبدعات النسويات ووعيهن بأن المرأة في مرحلة الما بين ، في منطقة تحكمها أنصاف المواقف ،أنصاف الاحكام و أنصاف العقول تلك هي المنطقة النصف التي اختارت الفنانة و المبدعة الافريقية وانجينشي موتي ان تحملها الى لوحاتها التي اتخذت من أجساد النساء موضوعاتها الفنية الأساسية من أجل تفكيكها و خلق كينونات هجينة تتراوح بين الحيوان و النبات و الكائنات الفضائية و الالة أو السيبورغ لكي تهزم كل الهويات الدينية و كل الثنائيات و كل الكينونات.

ولعل كل الرهان النسوي الذي على المرأة ان تتطلع اليه المرأة العربية ، الشرقية ، الافريقية في نظر ام الزين بن شيخة هو ما تصوره وانجيشي موتي في لوحتها يو ماما ،الأيقونة النسوية النيجيرية، التي رسمتها هذه الفنانة الكينية بشكل تخريبي، تهجيني و متلاعب حولتها الى كائن هجين يقطع رأس الثعبان بحذاء يتحول الى خنجر وهي صورة تحيل تقول الكاتبة الى أسطورة حواء التي تهزم الثعبان و تقطع رأس الهيمنة الذكورية أو ما رسمته في لوحة المرأة التي تزوجت رأس جمل وهي لوحة تجسد صورة امرأة تقطع فكي زوجها من أجل ان تضعه تاجا فوق رأسها. تحملنا الكاتبة التونسية ام الزين بن شيخة بين النظريات الفلسفية و الابداعات الفنية النسوية بين شكلين من الاثبات لجسارة المرأة وقدرتها على حمل قضاياها و اعباءها نحو مساحات من الحرية و الاندفاع الحيوي المبدع . وقد صارت صيرورة . تقترح الكاتبة شكلين من الدفاع النسوي ك الخطاب و الابداع و التظافر بينهما واجب من أجل انصاف القضية العادلة للمرأة في العالم . اجمالا المرأة هي اللوحة : شجرة العائلة ، ام الإنسانية ، ارجوحة العالم و شجرة الحب ثمارها بناتها القادمين من المستقبل.

قراءة في كتاب

روايةُ «هيباتيا الأخيرة» لأمينة زريق :
تساؤلاتٌ فنتازيا السرد التونسي

يونس شعبان الفنادي - كاتب وأديب وإعلامي مستقل من ليبيا

يشير الفيلسوف الإغريقي (سقراط) في كتابه (التاريخ الكنسي) إلى شخصية (هيباتيا) قائلاً: (كانت هناك امرأة في الإسكندرية تدعى هيباتيا، وهي ابنة الفيلسوف ثيون. كانت بارعة في تحصيل كل العلوم المعاصرة، مما جعلها تتفوق على كل الفلاسفة المعاصرين لها، حيث كانت تقدم تفسيراتها وشروحاتها الفلسفية، خاصة فلسفة أفلاطون لمريديها الذين قدموا من كل المناطق، بالإضافة إلى تواضعها الشديد لم تكن تهوى الظهور أمام العامة. رغم ذلك كانت تقف أمام قضاة المدينة وحكامها دون أن تفقد مسلكها المتواضع المهيب الذي كان يميزها عن سواها، والذي أكسبها احترامهم وتقدير الجميع لها.) 1

وانطلاقاً من هذه السيرة المتميزة ظلت الأسطورة الاسكندرانية «هيباتيا» محركاً ملهماً للعديد من المبدعين الروائيين حيث صدرت حولها رواية (هيباتيا والحبُّ الذي كان)2 للكاتب داوود روفائيل خشبة، يروي فيها قصة الأيام الأخيرة من حياتها ووحشية اغتيالها عام 415م. بينما الروائي فكري فيصل في روايته (هيباتيا)3 يتتبع حياة الفيلسوفة منذ ولادتها، ويبرز الصراعات بين الديانة المسيحية ومدارس الفلسفة الإغريقية ومعاقل العلم والحكمة والطب والفلك والهندسة، وفي ثنايا هذا الصراع الفكري تستعرض الرواية ما تعتمره «هيباتيا» في سبحاتها الخلوية وأنفاسها من أفكار مستنيرة جعلتها تحظى بصفة أعظم إمرأة في تاريخ الفلسفة ورمزها الأبدي.

أمينة زريق

أما في تونس فنجد الأديبة أمينة زريق تصدر روايتها (هيباتيا الأخيرة)4 لتواصل بث الحياة في أسطورة تلك الفيلسوفة التاريخية القديمة خلال زمننا الراهن وتعيدها مطبوعة بروح وأفكار متجددة، ورؤية وطنية تونسية متفردة، تؤكد بها مشروعية شيوع وانتشار الفكر والأدب في أرجاء متفرقة من العالم ليكون جسراً جغرافياً وزمنياً بين الأمم والأجيال. ولكن السؤال الذي يقفز مبكراً إلى الذهن هو لماذا اختارت الأديبة أمينة زريق أن تعيدنا إلى الماضي باستذكارها شخصية (هيباتيا) وكأنـ الحياة بحالة النوستالوجيا تمنحها بهجة ومسرة أفضل من الواقع الحالي؟ وما هي المقاصد التي تود أن تبعثها من خلال رسالة الاسقاط التاريخي الماضوي على زمننا الحاضر عامة، ومسيرة الحياة في تونس بشكل خاص؟ وهل شخصيات روايتها (العربي مخ الهدرة) و(المزوغي) و(للاّ حلومة) من وحي خيالها الروائي أم أنها حقيقية متجذرة في الواقع التونسي ومقتبسة منه؟ وهل هناك علاقة بين (راوي كافكا القيرواني) أحد شخوص الرواية مع شخصية الأديب التشيكي (فرانس كافكا) الحقيقية؟ وما هي أبعاد الزمن التخيلي المستقبلي الذي ابتكرته الروائية محدداً ودقيقاً بتاريخ 14 جانفي الذي تظهر فيه (هيباتيا) في باريس سنة 2060م، ثم في فيينا سنة 2061م، وبعدها في روما عام 2065م وأخيراً بالفاتيكان سنة 2070م؟

ولا تقتصر التقنيات الممتعة في رواية (هيباتيا الأخيرة) للأديبة أمينة زريق على تقمص الكاتبة شخصية الساردة فحسب، بل تضمنت بجانب ذلك محاورات تلك الساردة اللذيذة لكاتبة الرواية نفسها في مشاهد جمالية ثرية بالمعرفة والاستفزاز الفكري، إضافة إلى براعة التصوير والوصف الدقيق الموغل في عمق الحياة التونسية، وكذلك عناصر المغامرة والمفاجأة والإبهار في عرض فكرة التهجير الخيالية وتجسيدها وسط ثنايا الفضاء الروائي، مما يضفي عليها معايشة تتسم بالواقعية والجدية. ولتحقيق كل تلك الجاذبية المتتالية، يبدو أنَّ الكاتبة منحت الساردة مطلق الحرية في استخدام أدوات وأساليب التعبير، فأزالت من أمامها كل الحدود والقيود حتى وصل الأمر إلى مشاكستها علانيةً أمام القارىء ومعارضتها أحياناً، بل وحتى محاولة قتلها (سأكسرُ مملكتها وأباغتها، ربما أُرديها قتيلة حين تفتح الأوراق فتجدني أسردها، أمحقها ثم أعيد تشكيلها كما أريد، ستغدو «أمينة زريق» مجرد شخصية من الشخصيات)5. كما نجدها تذهب إلى أبعد من ذلك في المحاججة بصفاقة حين تقول وكأنها تحاكم الكاتبة وتصدر أحكاماً تنكر عليها جهودها كافةً (أنا التي رويت. أنا التي شكلت ووضعت الملامح التي أحبها لشخصيات طالما تقافزت داخل ذهني. مَنْ تكون الكاتبة إذن، هي لا أحد بل لا شيء، دمية أحركها وأتجسد في خيالها كي تكتب)6

وتضيف بروح يملؤها عنفوان التمرد على الجميع وحدتها الواثقة المعترفة بعدم أمانتها (الكاتبة تغط في نومها، ولا تدري أنّي لستُ أمينة مثلها، وأنها لن تقوى على ردعي بعد الآن. أفاجئها، وسوف أباغث الجميع بسردي الغريب، عن البلاد وأحوالها, لكن لابد لي من التأكد أولاً أنها مازالت في غيبوبتها تكتب عن الإصحاح والسفر، عن الروح والقلب، سأكون قادرة في يوم ما على إيذائها لأنها لم تنتبه إلى صوتي منذ أن قررت الكتابة. قلتُ لها لا تكتبي الشعر فكتبت، وقلتُ لها إياكِ والتوغل في الروح فتوغلت، وقلتُ لها لا تحشري نفسك في زمرة الأحداث ولكنها حشرت، قلتُ إياكِ وحشري في رواية ما، وها هي تنطقني رغماً عني. تباً لكل الكتاب وسحقاً لكل الرواة! سأشغل محرقة الأدب في هذا الزمن. وحدها المحارق تليق بعذابات من كتبوا.)7

وهكذا نلاحظ أن الساردة في مواجهتها للكاتبة تتجاوز كل الخطوط الحمراء ولا تتوانى في التقليل من شأنها واستصغار دورها في كتابة الرواية والاستخفاف بها، وترفع في وجهها تحدياً ووعيداً بتوقيع عقوبات تطالها وجميع الكتاب، انتقاماً على اختيارها واحدة من شخصيات الرواية، ولا شك أن هذه التقنية الأسلوبية المتقابلة أو المتعارضة التي أتقنتها الكاتبة بكل مهارة ارتقت بدرجة الإمتاع السردي وتعلق القاريء بالنصّ، وفجرّت في ذهنه العديد من الأسئلة لعل أبرزها: كيف يمكن للساردة أن تتمرد فتكيد أو تقتل الكاتبة التي صنعتها وأطلقتها في العمل الروائي؟

وعند محاولة تفكيك هذا التساؤل قد يرى البعض أن فكرة رواية (هيباتيا الأخيرة) تنتمي إلى أدب اللاواقع الذي يتعاظم فيه الخيال الخلاب الواسع برسمه شخصيات متعددة، وخلقه أحداث متداخلة بعيدة جداً عن النسق المعتاد لواقعية الحياة الطبيعية وقضاياها المختلفة وبذلك يفرض سيطرته وهيمنته الكلية على فضاء النصِّ ومجريات الرواية. وربما يعتبر آخرون أن الحبكة الدرامية بهذه الرواية المتمثلة في دعوة التوانسة للهجرة إلى أوروبا تنتمي إلى ما يعرف في الأدب بالفانتازيا، وهو مصطلح حداثوي يشير إلى النصوص الروائية أو القصصية التي تتشكل من أحداث غير منطقية تقوم بطرحها كوقائع وهمية تتسم بالغرائبية غير المألوفة ولا تمت للحقيقة بصلة، معتمدة على الأساطير التاريخية والخرافات والأفعال الخارقة التي ينسجها الخيال (خمسة أيّام وأربع ساعات وخمس دقائق هي الفترة المتاحة للهجرة اللّامشروطة!، تُفتح خلالها المعابر على إيطاليا وفرنسا وإسبانيا بمقتضى اتّفاق أمميّ وبادرة قامت بها الدّول الثّلاث (فرنسا- إسبانيا- إيطاليا) لاستقبال التّونسيين الرّاغبين في الهجرة... يمكن خلال هذه الفترة القصيرة قبول المهاجرين دون جواز سفر أو فيزا لأنّها ستسند لهم بطاقة هويّة جديدة طالما حلموا بها، كلّ ما يحتاجونه هو إجراء فحص طبّيّ في البلد المضيف وألّا يجلبوا معهم أغراضًا من بلدهم. فهم مطالبون بحمل حقيبة ظهر صغيرة لا غير)8

فهذا الإعلان الأوروبي للدول الثلاثة يعد صادماً بغاياته ومراميه الهادفة إلى تفريغ تونس بالكامل، يستوقفنا فيه الشرط الأساسي العلني والصريح (ألاّ يجلبوا معهم أغراضاً من بلدهم) لتتضح النوايا الحقيقية من عملية التهجير الممنهج وهي القضاء على الإنسان أبرز عناصر تأسيس الحضارة العربية والإسلامية العريقة، ودفن تراثه الماضوي ومنجزه الفكري برمته، وقطع سبل التواصل مع كل موروث وانتماء له مع الوطن وهويته التونسية بجميع صورها.

ووفقاً لهذا الهدف تتابع فصول رواية (هيباتيا الأخيرة) التي تأسست على فكرة افتراضية تخيلية لا يمكن حدوثها في الواقع، ولكن الأديبة أمينة زريق أجادت نسج هذه الالتقاطة الغريبة وتأطيرها روائياً بوقائع متلاحقة بتقنيات مهارية وحرفية أبانت فطنتها بالغوص بعيداً في أعماق الكيان التونسي بحثاً عن موضوع فريد تستخلصه من خضم الحياة اليومية للتوانسة ومعاناتهم ومكابداتهم المعيشية التي طالت جميع شرائحهم الاجتماعية جراء التغيير الربيعي وما سببه من فوضى عارمة وإسقاط للدولة الوطنية وفاعليتها برمتها وليس تغيير أنظمة الحكومات الفاسدة فحسب.

وتتصاعد وتيرة مشاهد الرواية في رصد تداعيات قرار التهجير الأوروبي المفاجيء، دون تركيز اهتمامها على حيثيات وتفاصيل أسبابه الحقيقية، ولا البحث في غرابة هيمنته على فكر التونسيين كافةً، بل اختارت وصف انعكاساته التفاعلية عليهم، من خلال مظاهر وصفية وحوارية لكيفية تقبله واستقباله والتعاطي معه بجميع فئاتهم ومهنهم ومستوياتهم الطبقية المختلفة سواء في الوظيفة الحكومية العمومية أو الأنشطة الخاصة. وتتواصل الرواية بهذا النسق الممتع حتى ذروتها التي تتحقق بإظهار من يمتنع عن المغادرة والبقاء في تونس، وكشف الوطني الغيور على بلده الذي يتشبث بأرضه، وفضح من يتركها إلى المجهول سعياً

---

(1) للمزيد أنظر: التاريخ الكنسي، أورديك فيتالي، ت. سهيل زكار، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 2008م

`(2) هيباتيا والحبُّ الذي كان، رواية، داوود روفائيل خشبة، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م

(3) هيباتيا، رواية، فكري فيصل، دار بيلومانيا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2023م

(4) هيباتيا الأخيرة، رواية، أمينة زريق، الأمينة للنشر والتوزيع، تونس، القيروان، الطبعة الأولى، 2021م

(5) هيباتيا الأخيرة، مصدر سابق، ص 55

(6) نفس المصدر السابق، ص 51

(7) نفس المصدر السابق، ص 55

(8) نفس المصدر السابق، ص 7

قراءة في كتاب

وراء أحلام الهجرة وأوهام العيش الرغيد.

(- أعلاش ما سافرتش إنتي يا عربي هاااا؟

- أنا نظيف مشني أمسَّخ كيفك وزيد عندي مدرسة نحرس فيها أما أنت فاش تعمل يا ...)9

وفي ذات السياق الفانتازي استحضرت الكاتبة فكرة مفزعة أخرى بعنوان صادم (تونس للبيع) لتعاكس بها المبدأ المتصل بالقيم الوطنية للإنسان التونسي الأصيل المتمثلة بالعشق الثابت للخضراء والتضحية في سبيلها، وتجريم جميع أشكال خيانتها، إلاّ أننا نجدها سرعان ما تتدارك الرواية بشاعة ذاك العنوان الغرائبي لتنقلب على فكرة بيع الوطن الشنيعة كلياً لتؤكد بروح وطنية وصوت واثق (لن يخون شعب بأكمله أرضه، وينحرها أمام مرأى ومسمع كل شعوب الأرض. لن تفعلها يا شعب تونس، لا لستم من يبيع بأبخس الأثمان.)10

تعد (هيباتيا الأخيرة) المغامرة الروائية الثالثة للكاتبة أمينة زريق بعد (سفر القلب)11 و(إصحاح الروح)12 اللتان اتسمتا بفيوض نفحات صوفية بسيطة مستمدة من عبق المكان ونشأة الكاتبة وسط البيئة القيروانية الموروثة، ولكن (هيباتيا الأخيرة) ألمحت صراحة إلى انتمائها للمذهب الصوفي المتسم بالتعمق الفكري التأملي، والفلسفة الروحانية العقلانية، كما أوردت في ثنايا الرواية ذاتها، حين كشفتها الساردة وهي تعترف بفوضوية الفكرة الفلسفية التي تخلقت منها أحداث الرواية وولّدت في داخلها ذاك السؤال المثير (لِمَ أكتبُ روايةً بهذه الفوضى؟ الأحداث انفلتت مني! عليّ أن أعترف الآن بذلك وأمينة زريق غارقة في عوالم تصوّفها، فهل سيُنقذ تصوّفها البلاد؟ يا لها من سيّدة مغرورة!)13. إن الساردة هنا لم تكتفي باعترافها بغرابة سردها المفاجيء للجميع، بل تقر بأنها تكتب رواية فوضوية، وتتسائل عن دواعي ذلك، ثم تذهب لتوريط الكاتبة أمينة زريق ضمنياً في تلك الأسباب بعد أن تنعتها بالغرور.

إن فكرة الرواية التي استطاعت الكاتبة تأثيها بعناصر مشوقة بداية من الأسطورة والوصف وصوت المونولوج الداخلي والسؤال الاستفزازي والحوار باللهجة التونسية، الذي يعد أحد عناصر الهوية الوطنية التي انصبغت بها الرواية، انبثقت من ثناياها وتشكلت من رحمها حبكة درامية ارتقت بالقيمة الإبداعية للنصِّ إلى مراتب متقدمة، فأبرزت الأخيلة الخلابة العديد من جمالياتها الفنية، من بينها البحر المائي الذي تفتق عنه ذهن الكاتبة فصنعته بعمق البلاد التونسية بمدينة الأغالبة، لتحدث انقلاباً جغرافياً وبيئياً يبدل الصيف الساخن بالقيروان إلى فصل معتدل لطيف تلفح أنسامه الباردة وجوه القيراونيين، ويجعلهم يستمتعون بالسباحة في المالح ويبنون من ذرات رمال شواطئه بيوتاً وأحلاماً خيالية لا وجود لها في واقع مدينتهم العريقة.

أما على الصعيد الموضوعي فإن الرواية مثلت خروجاً على نمط الروايات التقليدية الصادرة تأثراً بالموجة الروائية الوطنية التي عالجت قضايا الشأن التونسي، حيث ظلت (هيباتيا الأخيرة) عبر فصولها التي فاقت ثلاثين فصلاً تشاكس الواقع المجتمعي التونسي المتردي وتجلده بسهام نقدها الجاد، بتقنية بدأت تسجيلية وصفية ولكنها سرعان ما تبدلت أثناء تطور أحداث النص الروائي إلى استغرابية أو تعجبية بدرجة كبيرة من الإثارة. فالحبكة الرئيسية للرواية ظلت مبهرة جداً، ومفاجئة للجميع، حين أسست الكاتبة هيكل ومضمون الرواية على الإعلان والدعوة للهجرة الجماعية واتخذته حدثاً محورياً رسمته أخيلتها، وجعلته محركاً درامياً مزداناً بتفاصيل دقيقة مثل فتح المعابر الحدودية للتونسيين الراغبين في الهجرة، ومنحهم مهلة زمنية للتخلي عن بلادهم وراء إغراءات أوروبية لا نظير لها، مما أدى إلى حالة من الفوضى العارمة والارتباك الذي طال جميع الشرائح التونسية في كامل البلاد، وهذا الانشغال بالشأن التونسي فكرياً وعملياً، يجعل (هيباتيا الأخيرة) تنتمي إلى الكتابة الروائية المنحازة إلى الوطن بكل جدارة من حيث موضوعها الذي وظفت فيه الأسطورة التاريخية حين صدرتها عتبة عنوانها الأول مقتبسة من سيرة شهيدة الفلسفة الاسكندرانية المصرية، ومن ثم إسقطاها بكل براعة على مجريات الأحداث بنكهة محلية تونسية وأسلوب يتسم بالنقد المبطن اللاذع، والتنديد والتعزير الموجه لكل الذين قبلوا الهجرة وترك الوطن، وباعوه أثناء أحلك الظروف بأبخس الأثمان نظير أحلام الهجرة وأوهام العيش الرغيد بعيداً عنه (تقدم عدد كبير من ضباط الأمن باستقالة جماعية صباح هذا اليوم. كما أعلن رؤساء الأحزاب جميعهم عن حلِّ أحزابهم. إضافة إلى خبر استقالة عدد لا بأس به من الوزراء والنواب، وسنوافيكم بأسماء المستقيلين في بيان مفصل.

لم يستطع السائق أن يستمع إلى باقي الأخبار.

- باعوها البلاد أولاد الكلب .. الكلاب الله لا تربح والديهم ... أوباش الكلاب .. أوباش قطّعوا بعد ما اخلات ... خلاووها وقصعوا الكلاب.

- مش الكل. أعلاش تسب فيهم؟)14

أما عند استعراض أسماء شخصيات الرواية المتصدرة عناوين فصولها نجد أن لها حضوراً وافراً في المجتمع التونسي وإن برزت متبوعة بإضافة بعض التوطئات أو عبارات العناوين الفرعية القصيرة مثل: (العربي مخ الهدرة .. البراد وقد اختنق) و(المزوغي ... يا ربي من سيبقى) و(سهير .. لا يحدث هنا إلاّ في رواية ساذجة) و(للاّ حلّومة .. الخلاص) و(المزوغي .. الرفاق بح بح!) و(سهير .. هل مازال في اليمن مكان للعصافير؟). ومن خلال دلالات هذه النماذج نجد أن (هيباتيا الأخيرة) تضمنت رمزية عميقة تحيلنا إلى معاناة البلاد وسقوطها (سقطت للاّ حلّومة بكلِّ ثقلها وسنواتها وتنقل أسرار الموتى الذين غسَّلتهم والمواليد الذين استقبلتهم على الأرض وانفجرت باكية من ألم السقوط)15، كما تعالقت مع أسماء كثيرة وأمكنة خارج الجغرافيا الوطنية التونسية مثل باريس وفيينا وروما والفاتيكان واليمن التي سافرت إليها الرسامة (سهير) حاملة لوحتها (هيباتيا) هاربة من فوضى بلادها تونس (ستمكث في صنعاء فترة لا تعرف مدتها. هي لا تعرف أن رحلتها التي حسبتها قصيرة إلى صنعاء ستكون رحلة استقرار لم تره من قبل.)16، وكذلك استحضار الأديب التشيكي (فرانس كافكا) من خلال حديث (راوي الكافكا القيرواني) وسؤاله (لا علاقة لي بعوالمها. ومن هي أمينة زريق أصلاً ومن تكون أمام فرانس كافكا؟)17، كما تستفزنا الرواية أيضاً بالسؤال الخطير الذي يصفع الحلم المزيف حين أثارته في مستهل أحد فصولها (راوي كافكا القيرواني: وجدتُ نفسي أقتفي أثر السيدة سهير): هل كان لابد من الهجرة؟18

وبتحليل كل هذه المشاهد نكتشف أنها تأتي توافقاً مع ما ورد في مقالة (التحول السياسي في الرواية التونسية) للناقد والروائي محمود طرشونة التي يقول فيها بأنه (لم يعد هناك من يجادل في ربط النصِّ بمحيطه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فضلاً عن اعتبار علاقته بكاتبه وبنفسيته وظروف كتابته. إلاّ أن الإشكال بقي قائماً بخصوص طبيعة هذه العلاقة وطريقة الربط بين داخل النص وخارجه، أي بين خصائصه الفنية والعوامل التي ساهمت في إنتاج المعنى وتحديد الدلالة.19

وبالإمكان تسجيل إضافة إلى تلك المقالة بأن الرمزية أو الإيحائية التي تتخفى وراءها الكثير من الدلالات والإشارات وتتعدد تأويلاتها تأتي ضمن هذا السياق التحليلي الذي يتعزز كذلك بما أورده الناقد الدكتور عبدالرحمن مجيد الربيعي في قرائته للتحولات السياسية والاجتماعية في الرواية التونسية المعاصرة (لا يمكن الحديث عن مضامين قصص وروايات بمعزل عن المراحل السياسية للبلد الذي كتبت فيه، إذ أنها حتى لو جنحت إلى وموهت، فإن الربط بين مضامينها وواقع كاتبها ومرحلتها لن يكون عسيراً. وبقدر ما كان الهاجس السياسي وكذلك الاجتماعي قوياً لدى جل الرواد في أي بلد عربي كانوا شرقيا أو مغربياً فالحال من بعضه كما يقال، استعمار، تخلف، سرقة ثروات، دكتاتوريات، قمع للمعارضين عداء للأحزاب التي لا تنصاع لإرادة الحكام.)20

وتأسيساً على هذا الطرح يمكن التّساؤل والبحث عن أوجه إلتقاء وروابط العلاقة بين أحداث (هيباتيا الأخيرة)، وإن كانت افتراضية تخيلية، وإسقاطاتها المباشرة على أحداث الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تونس، ومدى دقة تصويرها ووصفها السردي، ونجاعة توظيف رمزية الأسطورة الفلسفية (هيباتيا) على شخصية الكاتبة أمينة زريق خاصة أو المرأة التونسية بشكل عام؟ وما غايات الكاتبة من هروب الرسامة (سهير) بلوحتها الفنية (هيباتيا) إلى اليمن الذي يعاني صراعاً طائفياً مسلحاً يمزق نسيجه الاجتماعي؟

وتتيح لنا كل تلك المشاهد التمعن في دلالات المواقف الوطنية التي عرضتها الرواية، وتوثيقها إصرار بعض الشرائح التونسية على رفض الهجرة والبقاء في البلاد على غرار ما جسده (العربي مخ الهدرة) بعدم التفكير مطلقاً في مغادرة تونس بل السعي لإصلاح أوضاعها الداخلية تجسيداً لحبه وصدق إنتمائه الحقيقي للوطن، وليكون بذلك الصنيع النبيل رمزاً للمواطن الغيور والإنسان الأصيل العاشق لتونس الخضراء والأمين عليها (العربي ... أمين البلاد... أعجبته الجملة التي سمعها أو خيل إليه أنه سمعها ولم يجد لها معنى أو تفسيراً لكنه أحس أن أزرار قميصه التي ضاعت منه وكشفت عن صدره النحيل وشيء من مريوله الداخلي الذي فقد بياضه لشدة الإهتراء، لا تليق بلقب أمين عام البلاد. أخذ الخيط الأسود ذاته الذي رقّع به علم البلاد، وبدأ يصلح أزرار قميصه، يستلها من الأكمام ليخيطها أعلى الصدر .. أن يكون الكم بلا أزرار لا يهم، أما الرقبة فهذا أمر أخر.. مع آخر زر أصلحه .. كان الشاي قد فار عن البراد وأخمد النار في الكانون!)21

ويكتسي هذا المقطع جماليات فائقة لعل أبرزها التأويلات المتعددة التي يحتويها ويمكن أن تظهر إحداها كدعوة إصلاحية تنبعث من عشق حقيقي وولاء للهوية التونسية، تكللت نهايتها بإنهاء الصراعات وعودة استمرارية الحياة الاعتيادية الآمنة بكل نسقها الطبيعي وفاعليتها على أرض الوطن، نتيجة إيمان عميق وفلسفة فكرية ترسخ سلوكيات وأدبيات المواطنة الحقيقية في هذا الإطار كما صورتها عملية ترقيع الأزرار وستر العورة وكل أنماط الإصلاح لوقف الفتن وإخماد النيران.

إن الرواية لا تكتفي بهذه الدعوة الإصلاحية الايجابية الواضحة لإعادة قطار الوطن إلى سكة المستقبل بل قد تفجر العديد من الأسئلة الأخرى المتعلقة بالأحداث المسرودة وعلاقتها بالوطن سواء حول عبثية واقعيتها وغلبة التخيلي الافتراضي في تفاصيلها على الواقعي الحقيقي، أو القول بأنها تفتح آفاق استشفاف المستقبل الذي ربما يحمل في قادم الأيام قراراً خطيراً يهدد استقرار الوطن مثل التهجير المنهج الذي اتخذته الرواية محركاً درامياً لحبكتها السردية الجميلة؟ ولاشك أنَّ حبَّ البلاد هو المحرك الذي يولد الخوف عليها من مشاريع الفتنة والفساد، وبالتالي التنبيه والتحذير والتحصين بفكر يجمع الفلسفة العقلانية والواقعية السيارة في إطار علاقات متداخلة قد تجتمع في نقاط مشتركة أو تتباين في اختلافات معينة ولكنها في جميع الأحوال لا تتصادم مادياً بل فكرياً وحوارياً. وفي هذا الإطار جاءت (هيباتيا الأخيرة) التي يتأكد جلياً أنها بفرادة فكرتها وأصواتها البوليفونية المتنوعة، وحواراتها ولغتها الروائية الرشيقة تعتبر منجزاً إبداعياً ينحاز للوطن أولاً وأخيراً، كما يفتح شهية التأويل والتدبر في الشخصيات وكذلك الأحداث التي تمت صياغتها ببناء سردي متماسك ومتتابع، يتشارك فيه التخيلي الافتراضي الرحب متطعماً ببعض الحقائق الواقعية المنغمسة في ثناياه. وجاء الوصف والأسلوب السردي بمفردات وعبارات سلسة موغلة في البساطة والإثراء التعبيري عن مضامينها التي تعكس فكراً حالماً بوطن تزدهر فيه الحياة والمحبة ويمتشق أهله أمنياتهم العذبة فيغرسونها في رحم الغد وهم على ثقة بأنها ستزهر لاحقاً بعقيدة لا تخفي حقيقة بقاء واستمرارية الحياة التي صورتها الرواية (الصّومعة وحدها بقيت شاهدة على ما مضى)22 حاملةً إيحاءات ودلالات دينية واضحة ترسخ الإيمان والمحبة والثقة في الله، والولاء والانتماء للأرض التونسية، كما تعزز التأكيد بالأمل في المستقبل لأن الله يقيناً طوال مسيرة هذه الحياة التي أساسها ثنائيات البقاء والفناء، والنهوض والانكسار، لن يخذل الأنقياء من عباده (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)23، ولكن مع هذا تظل (هيباتيا الأخيرة) تطوقنا بهواجس مسيطرة وقلقة (هل قضت زريق خلف الأحداث، وماذا لو أنها غادرت البلاد كما غادر جلُّ الكتاب والمثقفين؟)24

(9) المصدر السابق، ص 122
(10) المصدر السابق، ص 44
(11) سفر القلب، رواية، أمينة زريق، دار زينب للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2017م
(12) إصحاح الروح، رواية، أمينة زريق، دار زينب للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2018م
(13) هيباتيا الأخيرة، مصدر سابق، ص 76
(14) نفس المصدر السابق، ص 28-27
(15) نفس المصدر السابق، ص 121
(16) نفس المصدر السابق، ص 29
(17) نفس المصدر السابق، ص 167
(18) نفس المصدر السابق، ص 182
(19) محمود طرشونة، التحول السياسي في الرواية التونسية، مجلة تبين Tabayyun، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، العدد 2، المجلد الأول، خريف 2012م، ص 86
(20) عبد الرحمن مجيد الربيعي، التحولات السياسية والاجتماعية في الرواية التونسية المعاصرة، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة، تونس، العدد 232، 1 جوان «يونيو» 2012م، ص 75.
(21) هيباتيا الأخيرة، مصدر سابق، ص 222
(22) هيباتيا الأخيرة، مصدر سابق، ص 23
(23) سورة الرعد، الآية رقم 17
(24) هيباتيا الأخيرة، مصدر سابق، ص 171

قراءة في كتاب

«ناسجٌ على حرفٍ من وهم» لمحمّد حبيب اليعقوبي قراءة في العتبات

نجلاء بن عمار

المقدّمة:

لقد بحث أستاذ الأدب الفرنسي،جيرارد جينيت Gérard Genette والملقّب بجرَّاح الكتب،وبالبنيوي المحتال، في الطّرق التي تتفاعل فيها الأجزاء المختلفة من النّصّ الأدبي، وقام بتحديد هذه الأجزاء وتحليلها. فوضع مصطلح المناص أو le paratexte وقصد النصّ الموازي للنصّ الأصلي. ويتمثل النصّ في العتبات أو البوّابات أو المداخل التي تجعل المتلقّي يمسك بالخطوط الأساسيّة التي تمكّنه من قراءة النصّ وتأويله، وقد اعتبر جيرار جنيت أنّه لكلّ نصّ أدبي نصّ مواز، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أو عتبات بصريّة ولغويّة.»

اخترنا أن نقرأ بعض النّصوص الموازية للأثر الذي نشغل عليه وتحديدا مناص المؤلّف أو Le paratexte Auctorial ومقصدنا العنوان،اسم الكاتب، المؤشّر الجنسي، وتصدير الكتاب.ووقفنا كذلك عند المناص النّشري le paratexte Editorial وفيه يكون تركيزنا على صورة الغلاف.

قراءة العنوان؟

العنوان عتبة من عتبات النصّ، وهو كما أشار عبد الفتّاح الحجمري،»بنية ودلالة لا تنفصل عن خصوصيّة العمل الأدبي. وفي اختياره قصديّة «تنفي معيار الاعتباطيّة في اختيار التّسمية» كما اعتُبر العنوان مدخلا رّئيسيّا للعمارة النّصيّة. إذ يعلن عن طبيعة النصّ ومن ثمّة يُعلن على نوع القراءة التي يتطلّبها هذا النصّ.»والمهمّ في العنوان هو سؤال الكيفيّة، أي كيف يمكننا قراءتُه كنصّ قابل للتّحليل والتّأويل.

إنّ المساحة النصيّة للعنوان تشكل المظهر الأوّل الذي يتلقاه القارئ.فيُفضَّل فيه أن يكون جالبا للانتباه في حجمه ولونه ونوع الخطّ. لذا وردت كتابة العنوان «ناسج على حرف من وهم»بخطّ اختلف عن خط بقية ما ضبط على الغلاف في الحجم والخصائص، ليكون اللّون الذي اختاره كل من الشّاعر والنّاشر،اللّون الأبيض وشاء الشّاعر من خلال اللّون الأبيض المميّز أن يأخذنا إلى عوالم تبعدنا عن دنس الأرض؟ فالنّور الأبيض هو نور النّفس المطمئنّة. وهو من الألوان الجامعة لألوان الطّيف الشّمسي وسواها من الألوان.فجمع الشّاعر في نسيجه كلّ ألوان الشّعر .قال:»فجمعت بين مختلف أشكال الشّعر الحرّ،العموديّ،النّثري، المرسل والسّردي؟»

واعتبارا أنّ العنوان هو الوجه المصغّر للنصّ،فعلى المستوى التّداولي،يقوم العنوان كما أشار جيرار جينيت بوظائف مختلفة ،منها الوظيفة الإيحائية. وهذه الوظيفة هي المفتاح التأويلي للعنوان.

محمد الحبيب اليعقوبي

فالمفردة الأولى التي تصدّرته هي مفردة «ناسج» وَنَسَجَ الْحَائِكُ الثَّوْبَ يَنْسِجُهُ نَسْجًا،إذا ضَمَّ السَّدَى إِلَى اللُّحْمَةِ. فيكون النّسيج تلك النّصوص المختلفة التي حواها الدّيوان. يتمّ النّسج على النّول.لكنّ عمليّة النّسج عند شاعرنا تمّت على نوع خاصّ من النّول تمثّل في»حرف من وهم» يقل الشّاعر حرفا وهميّا فيقصد الوصف ،وإنّما قصد التّمييز لهذا الحرف»هو حرف من وهم»

ما الحرف؟وما الوهم؟

ورد في لسان العرب،عن ابن سيّدة قوله،وَالْحَرْفُ الْقِرَاءَةُ الَّتِي تُقْرَأُ عَلَى أَوْجُه،وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِهِ،عَلَيْهِ الصّلاة والسَّلَامُ:نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ،أَرَادَ بِالْحَرْفِ اللُّغَةَ.فكيف تكون اللّغة من وهم؟

أمّا الوهم فيقودنا إلى آراء بعض الفلاسفة أو ما عبّروا عنه بالقوّة الوهميّة.»فالشعر مثلا عند الفارابي وابن سينا،لا يُحدث تأثيره في المتلقّي،إلاّ عن طريق إثارته للقوّة الوهميّة والمتخيلة عنده،فلم يغب المتلقي عن الشّاعر،فشاء أن تكون القراءة إبداعا متبادلا ومتواصلا.

ومن معاني الوهم أيضا، الغلط،والسّهو،والطّريق الواسع. وقال اللّيث:الوهم الطريق الواضح الذي يرد الموارد ويصدر المصادر.كما أنّ الوهم،العظيم من الرجال والجمال.يبتعد الشّاعر عن معنييْ السّهو والغلط،ليؤكّد على دلالة العظمة ووضوح الطريق واتساعها أمام عباراته وكلماته وحروفه،فيكون شعره نسيجا،نوله لغةٌ طريقها واسع واضحة معالمه ومصيرها العظمة والتّألّق»والشاعر يهيم في كلّ وادٍ،في حريّة مطلقة للنّسج في الأنماط والأشكال.

تجلّى النّسيج في الدّيوان في أربع وستّين قصيدة،تشابك فيها العشق بالقمر،والحبّ بالصّباح،والحسن بالإله، والمناجاة بالبدر. حضر الرّبيع والقلب الأخضر وكان السّواد وكان البياض. والرّوض والشّمس، والنّور وابتسامات الوليد. للدّهر والأديان حضور أيضا. وللبداية والنّهاية ،ذكر كما الطفولة والصّبا، والأرض والسّماء، والدّاء والدّواء.وكأنّ بالشّاعر ينسج الكون نسجا جديدا بل كان للقصيدة ناسجا؟ «فالآثار الفنيّة تصير جميلة بمقتضى حركتها ضدّ مجرّد ما هو كائ.

تُقودنا إشارات الغلاف إلى اكتشاف علاقات النصّ بغيره من النصوص الموازية،إذ تُعتبر جميعها أيقونات علاماتيّة توحي بكثير من الدّلالات والإيحاءات.فإذا وقفنا عند اسم المؤلّف فإنّه يعدّ العلامة الفارقة بين كاتب وآخر.ومن أهمّ وظائف الاسم، تثبيت هويّة العمل للشّاعر.والعلامة على ملكيّته الأدبيّة والفكريّة. هو محمّد حبيب يعقوبي،ورد متخفّيا بخطّ صغير يقترب من الصّورة يكاد يلتحم بسواد ثان هو سواد الشّعر أو هو حروف الشِّعر.

قراءة صورة الغلاف: كانت الصّورة من رسوم الصّورة أو اللّغة البصريّة الفكرة،بلغة الشّكل والخطّ واللّون والظلّ لتضعها في سلّم القراءة».كما تعتبر الصّورة عنصرا يحرّك القارئ ويغريه،ويجعله يطرح الأسئلة بحثا عن دلالاتها وعلاقتها بالنصّ. وفي ديوان «ناسج على حرف من وهم،»تُبرز الصورة رأس امرأة بعيدة مهوى القرط كما يقول العرب في إبراز سمات الجمال عند المرأة العربيّة وهي طول العنق .ما يشدّنا في هذه الصّورة أوّلا تكرار رسم عنوان المجموعة على الجيد.ومن تكراره يتمثّل أمامنا نسيج ارتبطت خيوطه من الرّأس إلى منتهى الرّقبة فكان وشما.تغلغل هذا النّسيج في البداية فالفنّان العراقي حيدر عبد الرّحيم. عادة ما تحكيي الشّعر. وللشَّعر والشِّعر مادة واحدة. تتّجه بعض الحروف والخيوط من ذاك النّسيج لتخترق الأذن وما وراء الأذن،وفي الشّعر تضيع حتّى أنّنا نكاد لا نميّزها.وكأنّنا بالعبارات تخرج من مخيلة وذهن الشّاعر نحو أذن المتلقّي الذي يسلك طريق التأويل والبحث عن دلالات تتعدّد فتختلف.فالإبداع ينطلق من الشّاعر إلى مبدع ثان هو قارئ هذا الشّعر.

لون النّسيج كان بُنيّا فاترا يتحوّل داكنا كلّما امتزج بالشَّعر.ولهذا اللوّن دلالات دقيقة. وهذا اللّون أصل الألوان...وهو اللّون الذي يفضح حقائق الأشياء التي تبدو جميلة في العالم الحسّي،وهو اللّون الذي يدعونا إلى الاطّلاع على الحقائق الكامنة فيه.

اتّصل الوشم بزرقة العقد والأقراط. وتضفي هذه الزّرقة نوعا من القداسة على اللّوحة.ومن دلالاتها في الفكر الصّوفي،البهجة الرّوحيّة،والراحة

قراءة في كتاب

النفسيّة،و»يساعد هذا اللون كما يرى الغزالي على طرد الأوهام،والخيال الفاسد عن الفكر،فيغدو صافيا نقيّا من الشّوائب»ومن دلالاته أيضا السموّ والرّفعة.

لا تظهر العينان في صورة الغلاف،وكأنّ الشّاعر فتح للبصيرة والرّؤيا بابا يبتعد به عن الرؤية العاديّة، والصّورة الحسيّة،ابتعد عن الجمال الذي يمثّل صورة منعكسة للواقع»لأنّه قد يصنع من القبح جمالا» كما قال.أمّا اللّون الأسود فقد تجلّى في الشّعر الذي يغطّي الرأس،ولهذا اللّون دلالات مختلفة.منها دلالته على مرتبة النّفس المرضيّة ذات النّور الأسود وهي آخر المراتب،التي تسمّى مرتبة النفس الكاملة.وعندما «يصل الإنسان إلى هذه المرتبة،بلغ مرتبة السّيادة على نفسه»

قراءة المقدّمة

نتعرّف في المقدّمة على مانفستو الشّعر عند محمّد الحبيب اليعقوبي من خلال قصيدة خصّها للغرض.»فالشّعر عنده وهم،انفصام،تصوّر وخيال،أمّا عن نهجه،فقد كان نمطا وأسلوبا وشكلا، خاصّا به بعيدا كلّ البعد عن التّقليد والاستسهال»يقول»وغاية المأمول أن أتّخذ أسلوبا وطابعا خاصّا ومنفردا.» واللّغة عنده»الارتقاء باللّفظ إلى مستواه الوظيفي والفنّي،واستخلاص الألفاظ الملائمة للمعاني في الطّرح والسّياق».

أمّا الإيقاع المعتمد هو البيت الواحد،والسّطر الواحد، كما أنّ النّظام المعتمد هو نسج عدد من الكلمات التي لها موسيقى وإيقاع مميّز.ولكن لم تأسر الشّاعر قيود البحور.

يحضرنا التّكرار في هذا البيان الشّعري من خلال فعل أكتب إثنتيْ عشرة مرّة.ليجيبنا الشّاعر من خلال ذاك على أسئلة ثلاثة:كيف يكتب؟ماذا يكتب؟ولماذا يكتب؟

كيف يكتب؟كانت الحريّة أولى تجليّاتِ الكتابة عند الشّاعر،ليكون الإحساس وفيض الشّعور مميّزات أخرى للكتابة عنده، ليكون الخيال والشّاعر متعانقين في صورة أخرى كعشيقين يسكن أحدهما الآخر. ذاك الخيال الذي يدفع المتلقّي كما يقول جابر عصفور،إلى إعادة التّأمّل في واقعه،من خلال رؤية شعريّة،لا تستمدّ قيمتها من مجرّد الجدّة أو الطّرافة،وإنّما من قدرتها على إثراء الحساسيّة وتعميق الوعي.

أمّا عن ماذا يكتب؟ فأشعارا وخواطرا ونثرا وكلمات بخاطره تجول.

وأخيرا لماذا يكتب؟،يقول:

«أكتب لحلمي الدّفين
للعشق، للحبّ،للفرح...
للطّهر، للفسق،للتّوبة...

هنا تأخذنا المتناقضات لترسم تلك الرؤيا الكونيّة فيحضر الودّ يرافقه الحقد،و الكفر يجانب الإيمان، والعشق والكره،والطّهر والفسق،والتّوبة والمجون، والشاعر بذلك يكتب «للحياة بحلوها ومرّها، ولجمال الطبيعة بزهورها وورودها وطيورها»هي جماليّة جديدة تتجلّى في نصوص تُسيطر على صورتها الأضداد والمتناقضات؟تتجلّى في «القبض على التّناقض،والهجوم على المستقرّ الرّاكد،و خرق العادة،هذه لغة السّلب... والمبدع كما تقول خالدة سعيد،هو الذي يقرأ الواقع الرّاهن أو الماضي والتّراث ويُعارض هذا بالحلم وموقفه السّلبي من الواقع،برؤية المتناقضات،مستولدا الجديد.

الخاتمة

إنّ قراءتنا لبعض العتبات في نصّ الشّاعر،محمّد حبيب اليعقوبي،كان فيه تأكيد منّا أنّ هذه النّصوص الموازية لصيقة بالنصّ تربطها به علاقة جدلية سواء مباشرة أو غير مباشرة. وسعينا إلى استخراج بيانه الشّعري تمهيدا منّا للولوج إلى عوالم القصيدة نلمس في القول الشّعري معاني التّجاوز ودلالات الإبداع عند الشّاعر.

حفيدات أروى القيروانية

وئام السعفي: شاعرة و طالبة بكلية الآداب منوبة

أعمالها تُقدّمها ومنجزها يشهد لها ومكانتها تحفظها عالية. امرأة أنا و حفيدة اللواتي كنّا قبلي من عليسة إلى خولة الراشدي :»فلولاهنّ ما كنتُ..» . أنا المرأة جمع في صيغة مفرد ، كوني الابنة والأخت وسأكون الزوجة والأمّ والجدّة، وفي كلّ مرحلة جديدة تُنحت إمرأة مناضلة. خُلقَت حرّةً وستظل ترفرف كالفراشة بين الزهور حرّة؛ امرأة متألّقة وأمًّا حنونًا ،أستاذة مربيّة وطبيبة تضمّد النزيف وتعالج الجراح.

عظيمة هي، ومن يتجرأ على نعتها بخلاف ذلك، كسرت كل القيود ولم تسمح بأن يُكسر قيدها، لم تحفل بعادات كبّلتها سنينا ولا بتقاليد زجّت بها في طيات السابقين، سافرتْ بعيدا وتَابَعَتْ أحلامها ولم تبقَ أسيرة داخل طوق من غير المعلوم بدايته ولا نهايته لسلطة ظالمة تسلب حريّتها وتنهش هويتها.هي المرأة التونسية ترفض القيود والأصفاد . تقودها رغبة جامحة إلى الحرية، ويبدو أنها «غامرت في شرفٍ مَرومٍ فلم تقنع بما دون النجوم.»

أراها نجما في السموات وبدرا يشق ظلمة الليل ونورا يجلو عتمة الحياة، هي نصف مجتمع و نصفه الآخر هي كلُّ الكل ، أراها تحلق بعيدا فتضيء في سماء النجاحات، واثقة الخُطى، صامدة، لا تزعزعها رياح الخجل أو الخوف»المجد للّتي قالت لا في وجه كل من قالوا نعم ...» وقد سُبق القول «إلى نساء العالم ، لا تسألن الحرية أيتها النساء أنتن حرائر إذا ما شئتن ما كنتن أبدا جواري إلا لو الهوى شاء! اكفنن عن دور الضحية اكففن عن الشكوى و البكاء» أنت الوحيدة القادرة على تحمل مسؤولية نشيد الأنشاد «إمرأة» بكل ما يحمله من

معنى فلا تخجلي من قول أنا قادرة قبل أن تقولي أنا إمرأة ويحق لي أن أقرر مصيري أمام الملأ.

بنت تانيت الإفريقية رسمت عالما جديدا أثبت فيه ذاتها ،قدرتها، تميزها. ولم يقتصر دورها على رعاية الأبناء والنهوض بأعباء المنزل خرقت حدود الجدران و عيني السجّان الذي اقترن وجوده بوجودك ليصبح شأنك عظيما لا يُستهان به.

إذن المرأة كما عهدناها دوما شعاع يمتد نحو الفضاء. المرأة محور الكون والكون هي، تنبض بالحياة. ألم يُنشد نزار قباني في هذا الشأن لحنا عذبا يروق لكلّ النساء :»كونك امرأة.. عليك أن تعلم أنكِ نصف الحياة.. وأنك البياض.. أنك الربيع.. وقطرة غيث لأرض قاحلة».

وفي مثل هذا اليوم من كلّ سنة يُحتفل بالنساء ويُحتفى بهنّ ويُكرّمن لأنهنّ هنّ، لأنهنّ بهجة الحياة. لأنّها على اختلاف مشاغلها من عالمة ،باحثة ،محامية ،مهندسة ،وزيرة ،مصمّمة. مرأة جمعت كل هذه الأعمال لتكن أيّامها عيدا فالأعياد تليق بهنّ جميعا دون استثناء.

جوهرة تزين حياتنا جميعا عنوانها إمراه ليرعى كل منا هذه الزهرة حتى لا تذبل، فإن منحتموها الحياة والاهتمام ازهرت من جديد أمّا إذا قطعتم عنها السقي تلاشت ولم يبقَ للحياة ضياء ولا معنى.

أخيرا في عيدك أنت العيد ولا غيرك عيد.

متابعات

«العلاج بالفن» مبادرة فلسطينية تونسية تطوعية في مراكز الايواء بقطاع غزة

وناس بن يوسف

أطلق الدكتور عزالدين شلح في ظل أجواء الإبادة الجماعية بقطاع غزة مبادرة تطوعية للعلاج بالفن، بدأت من مدينة رفح بمساعدة مجموعة من المتطوعين، وسوف تستمر إلى أن تغطي كافة مناطق قطاع غزة، حيث تعتمد فكرة المبادرة على العلاج بالفن (Art therapy) لكل ما خلفته الحرب من صدمات قوية (Trauma)، والعمل في مراكز النزوح بين الخيم لتجاوز حالات الصدمة خاصة للمرأة والطفل الفلسطيني.

وذكر الدكتور عزالدين شلح الحاصل على درجة الدكتوراه في السينما، واستاذ دولي للعلاج بالفن من الأكاديمية الدولية للتنمية من تونس International Academy for Development"، والمعترف بها دوليا، أننا نعمل بين الخيم في مراكز النزوح ضمن منهج علمي ونستخدم في العلاج بالفن طرق عديدة منها: الكتابة، الحكاية، الرسم، المسرح، السينما، الطين، الصلصال.

حيث يتم العمل أيضاً باستشارة ومتابعة الطبيب التونسي المحاضر الدولي في العلاج بالفن محمد الماجري والحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة هارفرد، ورئيس الأكاديمية الدولية للتنمية، وكذلك باستشارة ومتابعة من الأستاذة التونسية نرجس عياد الخبيرة الدولية في العلاج بالفن ومهندسة الديكور المقيمة في فرنسا، والتي تعمل على درجة الدكتوراة في العلاج بالفن.

إن ما يحدث في غزة من إبادة جماعية، طالت الغالبية العظمى من الأسر الفلسطينية، سواء بفقد أحد أفراد الأسرة أو عدد منهم، خلق لدى المواطنين بشكل عام صدمات قوية وحالة من عدم الاستقرار والأمان في الحياة.

كما أن هناك عدد كبير من المواطنين ممن بقي تحت الركام، وهناك ممن دمرت بيوتهم ونزحوا إلى خيام لا تصلح للحياة الإنسانية، ناهيك عن الموت جوعاً، وتوقف النظام الصحي، ولا زال المواطنون يعيشون حالة الخطر المنتظر سواء بالفقد أو الدمار أو النزوح.

وأكد شلح أن هذه المبادرة التطوعية تستهدف المرأة والطفل لأنهما الأكثر تأثراً بالصدمات نتيجة الأحداث التي تعيشها غزة، وقد بدأنا من مدينة رفح التي يقدر عدد السكان فيها مع النازحين اللذين لجأوا اليها بمليون ونصف، منهم مليون ومئتين ألف يعيشون في خيم النزوح، منوهاً إلى أن هذه المبادرة تحتاج الى دعم الجميع لتستمر في انجاز أهدافها.

وتهدف المبادرة التي تقوم على مجهود المتطوعين الى:

1. العمل على العلاج بالفن للمرأة والطفل، 2. العمل على اعادة التوازن النفسي للمرأة والطفل،
3. العمل على لقاءات فنية ترفيهية لمراكز النزوح،
4. الحفاظ على البناء الأسري.

المقامة الوعدية

في ذم مطل الولاة وإخلافهم الوعد

مالك فرحات

حدثني أحد ثقاتي قال :

ناداني لقضاء حاجة مناد ، إلى ناحية من نواحي البلاد ، فبكرّت إليها تبكير من يرضى بألا يتم الهجوع ، ليستعجل منها الرجوع ،

حتى إذا بلغتها شرعت عصافير البطن في الصياح ، طالبة وجبة الصباح ، فلبيتُ طلبها بقصد أول دكان ، لاح لي في ذلك المكان ، و كانت الحشود قدامه لا تعرف النفاد ، و لا تُتخطىّ إلا بالمدافعة و الجهاد ، فقلت الصبر خير ، و انتظرت أن يحين الدور ، فلما أن بلغت الدكاني بلهاث لسان ، و بصر وسنان ، و ساقين كادتا من طول الوقوف تهترئان ، سألته خبزا يذوب في في القاضم ، و لا يشقي معدة الهاضم ، ضخم الجثة ، لبابته كثة ، مخضوبة بالمعجون و الزبدة و العسل ، مع شراب يجيرني من أحبولة الكسل ، فلبى سؤالى ، بعد قبض مالي ، و أكلت و شربت إلى أن تأجج نشاطي ، لأواصل رباطي ، و ركبت الطريق مسرعا إلى الموضع المأمول من هذه الحَجة ، لئلا يكون للوم إذا أبطأتُ عليّ حُجّة ، و لكن بهاء المكان قصّر خطوي ، فكان منه ذهولي عن حاجتي و سهوي ، و قلتُ : لا ضير في أن أجول ، فلست بالعجول ، فطاوعت نفسي في ذلك ، و سلكت مختلف المسالك ، حتى بلغت مقر الولاية ،و قد اجتمع الناس أمامه على الهتاف و الشكاية ، و فيهم عجوز لم يلفت النظر سواها ، لم تسكن حركاتها و لا انقطعت شكاواها ، و كانت تارة تشكو فاقتها لمن حولها من الناس ، و طورا تدعو على من حكم و من ساس ، و مرة تتأفف من تأخر ظهور الوالي ، و تنعته بالمُهمِل و السالي ، و هي بذاك تزيد الناس غضبا ، و تذر على نارهم حصبا ، فلما أن لاح الوالي من باب المقر ، و هدأ الحشد و قر ، أنشدت العجوز :

يا من وليت أمورنا
إن الولاية لن تدوما
مالي أراك قعدت عنّا
هل يضرّك أن تقوما
أتنام شبعانَ الحشا
تحوي الفواكه و اللحوما
و من احتياجي للرغي
ف أكاد دَهْريَ أن أصوما
و تبيت ليلك هانئا
و أبيت أنتقر النجوما
قد اقعدت بعلي المسا
عي و استحال بها سقيما
لم يستطع عملا و كا
ن على إعاقته مُقيما
و الابن في ظُلَمِ اللحو
د فكُن، أ ربِ بَه رحيما
و لكم وُعدتُ فكان وع
دُهُمُ بإنقاذي عقيما
فأرفق بحالي أيها الوا
لي و لا تكُ لي ظلوما
و ارفق بمحتاج لتأ
من أن يكون لك الخصيما
يومَ الحساب و ساء أن
تلفي بذا اليوم الخصوما

فرقّت لها قلوب الناس رقة أنستهم حاجاتهم ، و هيجت مهجاتهم ، و تقدم الوالي إليها ، بعد أن عطفت قلبه عليها ،و قال : ليَ الويل من يوم أقف فيه وقفة المستكين ، و أحاسب فيه على الفقراء و المساكين ، لقد عظُم ذنبي ، و غضب مني ربي ، و خسرت و خسئت ، و أضعت العمر في مخالفة الأمر ، هو النسيان ، أعدى أعداء الإنسان بعد اللسان ، و يا أمة الله لا تعجلي بزجري ، قبل أن تسمعي عذري ، فما أنسانيك إلا كثرة المشاغل ، و تهاطل المشاكل ، و كثرة المادين أياديهم بالمسائل فقالت له : ألك شاغل إلانا ، و أنت والينا و مولانا ، و إن كثر عليك السائلون ، فأولى أن تبدأ بالأفقر فالأفقر ، و الأحقر فالأحقر ، و يشهد الله أن الحاجة بلغت بي مبلغا لا يطاق ، و حملتني على مد يد المسألة في الطرق و الأسواق ،

فالواجب إيثاري على غيري ، ففقرهم أهون من فقري

قال الراوي : فوعدها الوالي موعدة تنام بها عينها و تقر ، و صرفتها عن المقر ، و أُعجبت بذرابة لسانِها ، و سألت أحد المحتشدين عن شانِها ، فقال لي : إن كان أعجبك بيانها فأت كل يوم ، تجدها تشكو على رؤوس القوم ، و تفتق لسانها بالشكوى و اللوم ، فلا يصرفها إلا الوعد بالإنصاف ، و لا يعيدُها إلا الإخلاف ، وكذلك المحتشدون .

لمَ غاب الفراش عن الحقل؟

فضيلة الشابي

لمَ غاب الفراش عن الحقل هذه السنة ؟
الازاهر الصُّفر تذرف دمعها على العشب
هل تراه هاجر إلى كوكب آخر؟
احتجاجا على ظلمات الظلم على الترسانة الحربية للبلاد
المغتصِبة للأرض والحرية وحق الإنسان في الحياة
لم غاب الفراش عن الحقل هذه السنة؟
هل ذي تباشير العقل الاصطناعي؟
وتطور البحث العلمي في المجال العسكري واستنباط
نظريات أخرى للحروب
هل عزم الكائن البشري على إبادة جنسه
أي استثناء هذا بين الكائنات الحية
وأي رضوخ لجل الشعوب
لمنطق القوة المجرمة
هل الخوف من الموت يصنع الموت؟
غازات مميتة من الكره والبغضاء تلوث مناخات الأرض
أُحرقت الكتب دِيس على الأفكار الغضة غيّب المفكرون أحرقت الرؤية الشاعرة
الباحثة عن الفراش بين أغصان الشجر
إلى فلسطين هاجر الفراش الملكي الى فلسطين
ليعير أجنحته لأطفالها كي يرفرفوا رافعين فلسطين إلى الأعلى مبتعدين عن الدنس
الصهيوني مغرقينه في غدران أوهامهم الآسنة

بنية القصة القصيرة جدا عند عبدالله المتقي

يصدر قريبا عن دار الراوي بالدار البيضاء دراسة تحليلية للناقد المغربي محمد داني بعنوان « بنية القصة القصيرة جدا عند عبدالله المتقي ، من الحجم المتوسط على امتداد 91 صفحة ، ومن توضيب الفنانة هند الساعدي .

يكتب الشاعر والمترجم والمشرف العام للدار ضرار نورالدين في الدفة الثانية للغلاف « عبدالله المتقي ، اسم ترسخ في مدونة القص العربي المعاصركأحد الكتاب في عالم القصة القصيرة جدا ، وذلك باعتبار حضوره الوازن في المجال ، وإسهامه اللافت في تطوير وإشاعة هذا الضرب من الفن المستجد ، ببصمة خاصة ترتكز أساسا على مقوم التجديد بمراعاة الأصول ، وبساطة التناول بوعي إبداعي عميق ، وتنويع المضامين برؤية إنسانية منفتحة على قضايا الراهن تلامس بلغة شفيفة الكثير من تعقيداته المتشابكة ، هذه الخصائص وغيرها هي مايروم الناقد المغربي محمد داني كشفها وتمحيصها من خلال المقاربة النقدية الشاملة لأبرز المكونات الشكلية والموضوعية التي تتأسس عليها بنية القصة القصيرة جدا في المنجز الحكائي للكاتب عبدالله المتقي

الجانب المظلم من الهلال

وفاء البوعيسي - كاتبة من ليبيا

يعتقد الكثيرون أنّ الصيام عبادة روحية، لكن ذلك ليس صحيحًا، إذ لا علاقة للصيام بالروحانية. الصيام: «عبادة قسرية تجعل من الجسد أساسًا للطقس». فالجسد إذًا هو جوهر فريضة الصيام وليس روح الصائم. ومطلوب من الصائم أن يقمع جسده لفترة زمنية مخصوصة (شهر قمري واحد) ثم يكف، ويُعفى منه البالغ العاقل عند عدم القدرة. على عكس الصلاة، التي يقف فيها العبد بين يدي ربه مباشرة. والصلاة هي: «طقس روحاني. وهي أيضًا من العبادات القسرية لكنها تجعل من الروح أساسًا للطقس». لذا جاءت خمس مرات في اليوم على مدار العام، يلتزم بها كل بالغ عاقل واعٍ لنفسه، فيصليها في مرض الموت وفي الحرب. وفي العجز التام عن الحركة تؤدى بالإماء إن أمكن. وإلا فيجب تأديتها بمحض النية. لا يُعيقها فقدان الماء للوضوء والنجاسات الكبرى، فتراب الأرض وحجارتها كافية لتطهيره استعدادًا لها.

الصيام مِحورهُ الذوات

1. إخراج الزكاة:

يُخرج رب العائلة صدقةً عن كل جسد يعيش معه تحت سقف بيته، سواء كان الجسد يطيق الصيام أو لا يطيقه، أو كان المعني مجنونًا أو عاقلا. كما يُخرجها عن مولود قابل للحياة وُلِد له في اللحظات الأخيرة قبل غروب شمس ليلة الفطر. والصدقة، كما يصدّرها لنا الفقهاء والشيوخ، تُعد كفارةً ملائمة عن الذنوب والعثرات التي يقع فيها الإنسان أثناء الصيام وتطهيرًا له. بالإضافة إلى أنها طُعمة للمساكين وإغناء لهم عن السؤال، وإدخال السرور لقلوبهم. لكن ما بال القاصر والطفل نصف الحي أو الأب المجنون حتى تُدفع عنهم صدقة وهم معفيون من الصيام البتة؟ والجواب هنا يشرح نفسه بنفسه، فالزكاة متعلقة بالأبدان والذوات لا بالروح أو الروحانية.

2. مبطلات الصوم:

تتدارك جميعها شهوة البطن وشهوة الفرج بالقمع. وشهوة البطن تشير إلى أي مادة سائلة أو صلبة أو غازية تُقرّب من المعدة ومعرضة للهضم والتحلل، من البلعوم إلى المخرج، سواء دخلت المادة إلى المعدة من الفم بالطعام والسوائل. أو من الأسفل إلى الشرج بالتحاميل. فالله يحوط البطن بتعليمات قاسية لضمان خلوها من أي شيء، ليس فقط من الماء والطعام والأدوية، بل حتى من الجُرم. والجُرم في الفقه هو المادة المشتقة من مادة صلبة أو سائلة، مثل اللاكتوز في الحليب والبروتين في الخبز والنيكوتين في الدخان. وتناول شيء من هذه المواد عبر الاستنشاق أو الإبر الوريدية أو الرذاذ وبخاخ الربو يُعد مفطرًا بسبب عوزٍ أثّر على صاحبه، ولو لم يحل منها شيء في المعدة، مثل الدخان والنرجيلة والسيجار الإلكتروني والنفة والتطعيمات. ورغم أنها جميعًا لا تدخل البطن ولا تخرج من الشرج إلا أنها تهدئ الدماغ ليمر اليوم بلا منغصات بسبب إلحاح النيكوتين مثلا أو لكونها تمنح الصحة بتفاعلات داخلية. وشهوة الفرج: بأول مرة يُفرض فيها الصيام. كان المرء إذا صام فأمسى فنام، حُرِّم عليه الطعام والشراب والجنس حتى يفطر من غده. وكان عُمر ابن الخطاب ذات مرة، وبعد أن سمِر ليلةً عند النبي، قد وجد امرأته نائمة فاشتهاها، فقالت إني قد نمت، فقال: ما نمتِ وواقعها غصبًا، فبات فغدا مهمومًا للنبي يسأله الغفران فنزلت آية «عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ». وكذلك صنع كعب بن مالك، وقيس بن صَرمة.

يحرّم الله كل ما يُقرّب من الجنس من أشياء مادية أو معنوية، كالنظر باشتهاء لامرأة تحل للرجل، أو امرأة أجنبية، ولو كانت في مسلسل تلفزيوني، أو على شكل أنمي، أو أن يفتنه عطر أخاذ تضعه أخرى، أو يتأثر بصوتها المغناج. وأي مشهد أو موقف آخر أثّر فيه حد نزول بعض المني (الاستفراغ) فهو مبطل للصوم مستحق للكفارة. والملاحظ هنا أن ذنوبًا أعظم من تلك بملايين المرات، تمر بلا أي تأثير على صوم الصائم. مثلاً: تسويف الموظف العام في وقت العمل والتكاسل عن قضاء حاجات المراجعين، وشهادة الزور، والقتل العمد، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، وسرقة المال العام أو الخاص، وإذلال المواطنين بدفعهم لتقديم رِشًا للحصول على خدمات ماسة، وتعذيب الحيوانات. إذ لا يدخل كل ذلك وغيره في عداد المفطرات، رغم ما يَلحق ذلك من أضرار بالدولة والمواطنين والاقتصاد. وكل ما يجب على مرتكب تلك الجرائم أن يظل صائمًا حتى نهاية الشهر، ولا يرد منه شيئا، لا في السجن ولا خارجه. وعودة للحديث عن انتفاء الروحانية عن الصيام، عكس فريضة الصلاة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. وهي حين لا تفعل ذلك بالمصلي، فلا خير فيها ولا خير منها، لأنه إنما كان يصليها إسقاطًا للفرض، فتردها الملائكة عليه وفي الآخرة تصفعه بها على وجهه. والأحاديث النبوية تعلمنا أن استضعاف اليتيم وعقوق الوالدين من الذنوب التي تمنع صعود الصلاة إلى السماء، وأن الملائكة تدخر لأصحابها نارا تلظى يصلُّون فيها من جديد راغمين.

من يُدير رمضان ويتأذى به؟

رمضان بكل ثقله يكاد يقع على كاهل المرأة وحدها، وهي قد تكون أمًا وموظفة. صحيح أن الرجل هو من ينفق غالبًا، إلا أنه يضع المال في يدها وينصرف عنها ملتفتا. وبقدر قمع البطن أعلاه بقدر انفجار الاستهلاك والشراهة والتبذير فتستسلم ربة البيت لحمى النظافة، فتراها تعمل كنحلة لا تفتر ولا تئن لتنظيف بيتها النظيف. ثم تنصرف إلى شراء المئونة للشهر كله، فتبتاع اللحوم والبهارات والعصائر والفواكه والحلوى والدجاج والأسماك للصائم وغير الصائم. وتُرهق نفسها كل يوم بالتفكير بوجبة الإفطار والسحور والتحلية، وتراعي كل واحد في أسرتها فتطهو له ما يحب، وتقف يوميًا ساعات طوال أمام الموقد مهما كان الجو حارًا. كما تستقبل ضيوف زوجها وأهله وأهلها، وتُعد أصنافًا من الحلو لزياراتها الاعتيادية. ثم تشرع في شراء ملابس العيد لأطفالها وحلويات لزوار العيد. وبقدر قمع شهوة الفرج بقدر انفلات الذات. فالزوج لا يكاد يراعي إعياء زوجته في رمضان فيطلبها للفراش، وحين ترفض لتعب أو لقلة الرغبة سيذكّرها بحقه عليها مثلما فعل عمر مع زوجته، ويهددها بالملائكة التي ستترك شؤون الملكوت وتتفرغ للعنها حتى تُصبح. وما هو أدهى من كل ذلك، أن رجالا كُثر اعتادوا على انتقاد زوجاتهم على مدار العام بسبب إهمالهن لمظهرهن وترهل أجسادهن وتكدس الشحوم في ثناياهن. كما اعتادوا التأفف من روائح المطبخ والبصل وحليب الرضاعة العالقة بهن أحيانًا. لكن حالهم ينقلب في رمضان. فترى الواحد منهم فجأة وقد هام بزوجته حبًا. فتلك الشحوم المكدسة تنقلب فجأة إلى وسائد لذيذة للاسترخاء، والثوب المشبع بروائح البصل وقيء الطفل يستحيل إلى غمامة من ياسمين. فتراه وهو يصيح في وجهها «اللهم إني صائم» أو يطلب منها تجنبه حتى الفطور، ويحدث أن يقع الواحد منهم على زوجته وهي كارهة. على الرغم من رمضان. ثم يتصل بالشيوخ نادمًا طالبًا رأي أهل العلم. فيعنفونه ويذكرونه بحرمة الصوم. وينتهى الأمر بكفارة. بالإضافة للحملقة في النساء بالعمل والشارع والسوق والجامعة مع ترديد عبارة «اتقوا الله». كما تندلق الأسئلة الجنسية التي تتكرر بصفاقة كل عام. أما تلك الأسئلة التي ينتجها جمهور الصائمين كل عام، فتنبئ عن حداثة أملتها التغيرات الاجتماعية ووسائل الإعلام والعولمة وسط الشباب. مثل: ما حكم مشاهدة امرأة شبه عارية في لعبة كومبيوتر إلكترونية؟ ما حكم النظر بشهوة لدمية المانيكان في محلات الملابس النسائية؟ ما حكم تعمد مشاهدة تزاوج الحيوانات في قناة ناشيونال جيوغرافي؟ ما حكم مشاهدة المذيعات اللبنانيات بملابسهن الجريئة في رمضان؟ ما حكم الجماع بزوجتي نهارًا في رمضان ونحن بكامل ملابسنا؟ هل أفسدت صومي بتعمد مشاهدة زوجي كناري يتطارحان الغرام في صالون بيتي؟ أما المحيّر في الأمر، فهو أن الرجل منهم حين يقضي رمضان بعد انقضاءه لأسباب صحية، لا ينتابه هذا السعار المحموم على الأكل والجنس. بل يصُمه بحضارية وانضباط!

أخيرًا

وكما نرى، فإن قمع الجسد تحت وطأة أمر ديني إنما يهيج حواس المرء أكثر. والجسد هنا إنما يرد فعل على قمعه بالاسترسال في الاشتهاء والتهيؤ، اشتهاء الطعام وتهيؤ الجنس. حتى الصحابة وإن أُتيح لهم الأكل والرفث إلى نسائهم ما لم يمسهم يسير نوم. فهم لم يطيقوا صبرا على مرة واحدة .بل طالبوا بأن يكون الطعام والرفث كليهما ممتدًا حتى فجر اليوم التالي.

تراث غير مادي

أبو علي السنّي
أو بلاد الجريد بين سلطان الولاية وولاية السلطان

د. زهير بن يوسف (باحث في تاريخ الأفكار، جامعة تونس)

«أفلا ترى أنّه لم يزل في كلّ قطر وعصر أولياء تذلّ لهم ملوك الزّمان ويعاملونهم بالطّاعة والإذعان».
الرّاشدي، «ابتسام الغروس»

***

ما زلت أفكّر أيامي وأعرفها
حتّى استبانت، فلا بيضٌ ولا سودُ
وجال بي في بحار الكشف مغتبطا
لا القُربُ قربٌ، ولا الإبعادُ تبعيدُ
أبو علي السنّي

***

تميز التصوف في العصر الوسيط الأعلى بالبلاد بقدر كبير من الحيوية تسنى له بموجبها اجتياح كامل الفضاء الاجتماعي والسيطرة عليه بالتزامن مع نجاحه في اكتساح الفضاء الثقافي والفكري والتغلغل في مختلف هياكله وطبعه من ثمة بميسمه الخاص تشهد على ذلك مختلف المؤسسات التي اقترنت به، والرجالات العديدين الذين سيؤثرون نحت ملامحه، وفي مقدمتهم أبو مدين شعيب الأندلسي، وأبو الحسن الشاذلي المغربي، و«أخيار إفريقية السبعة» وفي مقدّمتهم أبو علي السنّي(1213/610-1101/493)، دفين نفطة وأكثر الشخصيات الروحيّة صيتا في الثقافة الشعبية بالجنوب الغربي التونسي والتخوم الصحراوية.

مقام أبي علي السنّي بنفطة

« سلطان الجريد» ومصادر الهوية

إذا كانت القبرية الموجودة بضريحه تنصّ على أنه حسن بن ابراهيم بن محمد بن عمران بإضافة اسم ابراهيم إلى سلسلة أجداده وذلك خلافا لكل المصادر التي اهتمت بإعادة تشكيل سيرته ولا سيما منها المعاصرة له مما يشكّك في قيمة الإضافة التي نصّت عليها قبريته خصوصا أنها أثبتت بتاريخ متأخر كثيرا عن وفاته هو سنة 1823/1239 فإنّ المصادر الأساسية التي ترجمت له على غرار التادلي في «التشوف» والدبّاغ في «الأسرار الجلية» وابن الصبّاغ في «مناقب أولياء تونس»، فضلا عن المصادر المعاصرة مثل حسن حسني عبد الوهاب في «كتاب العمر»، ومحمد محفوظ في «تراجم المؤلفين التونسيين»، تتفق على أنّه أبو علي الحسن بن محمد بن عمران الحسني النفطي ويلقب أيضا بالسنّي لانتسابه إلى المذهب السنّي وانتصابه داخل معقل الإباضية بإفريقية (= تونس) في عمق بلاد الجريد بغاية الحدّ من نوازعها الانعزالية المعارضة للسلطة المركزية وتمتين أواصرها ببقية أجزاء المجال السنّي المتغلّب الذي يكتنفها.

الأصل والفصل: انتساب أو إرادة انتساب

أصله، وفقا لنص مناقبه، كما حرّرها محمد سالم التواتي، من قرية فرجانة بالمغرب الأقصى، ينحدر فيما تدعى مناقبه من آل البيت إذ ينتسب إلى إدريس الأزهر مؤسّس مدينة فاس وأحد أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب. نشأ يتيما

تراث غير مادي

فاحترف النجارة ثمّ تحوّل على إثر عصف الوباء بالمغرب الأقصى إلى إفريقية(= البلاد التونسية بشبه حدودها الحالية تقريبا)، واستقرّ بمدينة تونس حيث يبدو أنه تتلمذ على يد فقيهين من كبار شيوخ الدرس بتونس هما نصر الشريف وأحمد بن نفيس، فأمّا نصر الشريف فلم نعثر على ترجمته ولكن من المحتمل أن يكون هو نفسه نصر الله الشريف الذي سيتولى في وقت لاحق إمامة المدرسة التوفيقية والتدريس بها وقد تتلمذ عليه مثلا أبو الحسن علي القرجاني. ولكن أليس هذا التتلمذ مشكوكا فيه لأنّ النفطي أسبق عصرا فيما يظهر من أستاذه المحتمل إلا أن يتعلق الأمر بشخصية مغايرة، وأمّا أحمد بن نفيس ففي تتلمذه عليه هو الآخر ريب كبير لاستحالة إمكانية وقوعه تاريخيا ذلك أنّ ابن نفيس عالم مدينة تونس توفي عام 479/1087. أي قبل ميلاد النفطي ذاته بعقد وبعض عقد... ارتحل أبو علي بعد ذلك إلى بسكرة للتلقي عن عالمها أبي الفضل البسكري(ت568/1173) قبل أن يشد عصا الترحال من جديد إلى المشرق قصد تأدية مناسك الحجّ وتعميق تكوينه الفقهي والعرفاني.

وبعد رجوعه إلى إفريقية أدّى أبو علي النفطي عدّة زيارات إلى مدينة بجاية حيث كان يتردد على قطب العارفين بالمجال المغربي برمّته أبي مدين شعيب(ت 594/1197)، إذ تجمع العديد من المصادر ولا سيما منها الدباغ في «الأسرار الجلية» وابن القنفذ في «أنس الفقير» وابن الطوّاح في «سبك المقال» على رحلة سبعة من « أخيار « إفريقية «برسم لقاء الشيخ أبي مدين» هم:أبو علي النفطي وأبو يوسف الدهماني (ت621/1224) وأبو محمد عبد العزيز المهدوي (ت621/1224) وأبو سعيد الباجي (ت628/1231) وأبو طاهر المزوغي،ت646/1249) وأبو علي سالم التبّاسي (ت642/1244) وأبو زكرياء يحيى بن هناص(يذكره ابن قنفذ بصيغة ابن هداس وهو تصحيف، وابن هناص الهيبوني أحد كبار أصحاب أبي يوسف الدهماني دخل في خدمته ببجاية ثم بالمهدية وارتبط معه بعلاقة مصاهرة)، ومحفوظ بن جعفر(لم تفدنا مصادر الفترة بتفاصيل أضفى عن حياته ويقول محمد حسن دون أن يبيّن مصدره بأنه ينتمي إلى جهة بنزرت) منذ سنة 575/1179. ومن المحتمل أن يكون بعض هذه اللقاءات قد تمّ بمدينة تونس ذاتها إبّان استقرار أبي مدين شعيب(ت594/1197) بها لبعض الوقت وتوليه التدريس ببعض مساجدها هو مسجد سوق السكاجين ويحمل اليوم اسم أبي مدين.

قبّة قاعة ضريح أبي علي السنّي

سلطان الجريد ونخب المجتمع

كان «سيدي بوعلي» على علاقة وطيدة بأعلام النخبة الطلائعية الأولى من رجالات التصوف الإفريقي بمدينتي تونس والقيروان، وكانت بينه وبين المهدوي والدهماني خصوصا لقاءات ومراسلات وتبادل زيارات وتدارس مشترك لأمهات القضايا التي تستقطب اهتمام المشروع الصوفي آنذاك.

فقد كان أبو علي السنّي في استقبال الدهماني إبان عودته من أداء الفرض سنة 599/1203 « أقام معه، بحسب الدبّاغ، في خباء واحد في ظاهر تونس نحو الأربعة أشهر»، وليس بمستبعد أنه اجتمع بمحيى الدين بن عربي خلال جلوسه إلى الشيخ المهدوي بمرسى جراح أوّل مرّة سنة 590/1193 أو عند استقراره بعض الوقت بتونس إبان اجتيازه الثاني على إفريقية حوالي سنة 597/1200 وقد دامت إقامته بها معه « تسعة أشهر دون أيام « طبقا لما ورد في «الفتوحات المكية».

سلطان الولاية وتوازنات السلطة

يبدو أنّ أبا علي السنّي قد استقر بالجريد بداية من سنة الأخماس 555/1160 أو بعيد ذلك بقليل حينما دعته السلطات الموحّدية إلى التصدي لنزعات الحركات الانفصالية الإباضية ومن ثمّة إعادة التوازنات المذهبية والسياسية داخل هذه المنطقة القصيّة عن مركز الولاية الموحدية وذلك بالعمل على استغلال التناقضات الداخلية في صفوف الإباضية بين نكار ووهبيّة لنشر تعاليم الإسلام السنّي هناك وإعادة تلك المناطق إلى دائرة المذهب المتغلّب، ومن المعلوم أنّ الإباضية وهم أتباع عبد الله بن إباض التميمي(ت 130/748)، وقد أطلق اسم الوهبية على الأفارقة الذين ظلوا أوفياء للإمام عبد الوهاب نجل عبد الرحمان بن رستم (ت 208/824) مؤسس الإمامة الرستمية بتاهرت، في حين أطلق على الذين رفضوا الاعتراف بالإمام الرستمي الثاني، ومنهم أبو يزيد صاحب الحمار، اسم النكار أو النكارة.

ويتأكد ولاء هذه الشخصية الولائية للدولة الموحّدية من خلال طبيعة المواقف التي حكمت سلوكها السياسي والمذهبي:

- فقد رفض أبو علي النفطي تأييد جهود يحيى بن إسحاق بن غانية الميورقي في الاستيلاء على مدينة تونس في المدّة الفاصلة بين سنتي 600/1203و601/1204 لصالح الحكم المرابطي بعد استبداد بني غانية بإفريقية واتخاذهم من بلاد الجريد معقلا خلفيا لمختلف عملياتهم العسكرية.

- انتقل الوليّ إلى مدينة القيروان واختفى بزاوية صديقه الحميم أبي يوسف الدهماني، ولم ينجح الأمير المرابطي حين التقى به بجامع عقبة بن نافع هناك، وهو في أوج انتصاراته العسكرية في انتزاع تفصّ منه من ولائه للموحدين ولم يظفر منه، وفقا لما ورد في نصّ مناقبه، إلا بدعوته له بأن « يزرع الجميل حتى يكون للخير محتصدا «،

- وآزر بالمقابل الحملة التي قادها الخليفة الموحّدي أبو يوسف الناصر سنة 598/1201 لاسترداد مدينة تونس.

الوليّ المّناظر: سجال فكري أم قطع مذهبي؟

تكشف رسالة أبي علي السنّي في الردّ على أبي يعقوب الطرّي، شيخ بلاد نفزاوة، وقد كان من المتكلمين، انحيازه إلى صفّ الموحدين وتشبعه بأطروحاتهم المذهبية السنّيّة ومن ثمّ انخراطه في سجال فكري لا هوادة فيه ضدّ مناوئيهم:

* فقد ذكّر فيها، بحسب نصّها كما أورده التجاني والوزير السرّاج واستعاده محمد البهلي النيّال، بأنّ «الحنيفية السمحة قد أشرق سراجها وغمر نورها وقهر سلطانها كل أشوس عاتي القلب ليس له تحقيق أهل الأصول ولا ترقيق أهل الوصول فاستمال الهمّج الرعاع الذين هم لكل ناعق أتباع «،

* ولم ينس في أعطاف ذلك إعلان تشبعه بالحكمة الصوفية منبّها إلى مخاطر المعرفة التي تنأى عن الذوق وذلك في قوله المأثور: «آفتي معرفتي، أرى الشرّ من ذوي النباهة قريبا «،

* ونلمس، من خلال خطاب المناقب، توقير السلطة الرسمية لهذه الشخصية الولائية ودعمها للحضور المتميز الذي كانت تستأثر به في عمق مناطق النفوذ الإباضي والخطر الانفصالي:

* معنويا من خلال اختصاصها بمهمّة مراقبة ركبان الحجيج الوافدين من البلاد المغربية مرورا بنفطة، وقبولها بترويج طريقته الصوفيّة بينهم وجلوسه لأخذ البيعة منهم، البيعة بمفهومها الروحي طبعا.

ازرع الجميلَ
تكن للخيرِ مُحتصدا
أبو علي السنّي

آفتي معرفتي إني أرى الشرّ
من ذوي النباهة قريبا
أبو علي السنّي

* وماديا من خلال:

- الإسهام في توسيع المؤسسات التعليمية والمنشآت الروحية التي بادر النفطي بتركيزها بتلك الربوع وتولّى الإشراف عليها وتسييرها عدد من تلاميذه المقربين مثل أبي هلال السدادي،

- علاوة على إغداق الإعفاءات الضريبية والامتيازات العقارية عليه وذلك في إطار «ظهائر التوقير» التي تمتعت بها زاويته وكل المنتسبين إليها في حياته وحتّى بعد مماته.

وسيبرز في خضم هذه الحيوية الفكرية وهذا البناء النظري الذي سعى الوليّ إلى توطيد دعائمه ببلاد الجريد عدد من الرجالات سيكون لهم إسهام متميّز في دفع المشروع الصوفي وتوسيعه ضمن مجال إفريقية(= تونس) منهم:

أبو هلال السدّادي(كان حيا خلال النصف الأول من القرن XIII/VII) نزيل قلعة سدادة قرب دقاش، وعليه تتلمذ كل من سالم القديدي(ت 699/1300)، دفين القيروان، وأبي علي عمار المعروفي(ت668/1270)، وهو سيدي عمّار دفين أريانة،

وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الحداد الصنهاجي(ت624/1227)،

وأبو حفص عمر الجاسوسي(ت 636/1238) « شيخ الفقهاء،

و» أبو عبد الله السقطي(ت بعد 664/1266).

6 - اغتيال الوليّ: سياسي أم مذهبي؟

لعلّ هذا الصيت الذي اكتسبه الوليّ وما انجرّ عنه من توسع في الممتلكات وامتداد في النفوذ هو الذي سيكون سببا في تعاظم سلطانه وتدبير اغتياله في الوقت نفسه. وتعزو المناقب تدبير عملية الاغتيال إلى:

شخص يسميه نصّ المناقب ابن النخيلي (كذا)، وهو وزير وكاتب أندلسي أصيل مدينة البيرة بدأ نفوذه في التعاظم على إثر إسهامه في خضد شوكة القبائل العربية المتمردة بعد معركة وادي شيرو عند سهل تبسة سنة 606/1209.

وهو على وجه التدقيق محمد بن أحمد بن نخيل الوزير والكاتب الأندلسي المعتمد لدى والي إفريقية الموحّدي أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي بدأ في إظهار نوايا الانفصال عن مركز الخلافة الموحدية بالمغرب الأقصى والاستقلال بالأمر دونها.

وقد يكون اعتراض النفطي على هذه النوايا، أو تعبيره عن تحفظه إزاءها، لاسيما أنّ الظرف السياسي العام لم يكن ليسمح بمثلها، هو الذي حتّم على الوالي المذكور وبإيعاز من وزيره المتنفذ بضرورة التخلص من هذه الشخصية فكان أن دسّ له من قام بتسميمه.

ورغم أنّ ثقافة الذاكرة تروّج أنّ منفّذ الاغتيال كان واحدا من الإباضية، فإنّ هذا الاحتمال يبقى مشكوكا فيه، إن لم يكن ضعيفا، أو مصنوعا ومختلقا لأسباب تاريخية موضوعية تبدو لنا وجيهة منها:

فتور المذهب الإباضي في هذه الفترة وإشراف نجمه على الأفول بلا رجعة،

ولاقتصار نشاط أبي علي السنّي في تطويق الحضور الإباضي على الجدل المذهبي والسّجال الكلامي، تشهد عليه «المذاكرات»، والزيارات المتبادلة والمجالس المشتركة التي كانت تنعقد بتوزر ونفطة على حد سواء ومنها المذاكرة التي انعقدت بين أبي القاسم بن العمودي، المتصوف، وأبي الحسن علي بن يخلف العزابي، أحد الفقهاء الإباضية، وانتهت بمصالحة بين السنّي والإباضي.

ولموقف أبي علي السنّي نفسه الإيجابي من الاختلاف المذهبي، ومراهنته على المشترك القيمي في كلياته دون تفصيلاته ولسان مقاله يردد «إنّ الطريق إلى الحق بعدد أنفس الخلق»، لقوله، فيما ذكره الدرجيني ذاته نقلا عن أبي عبد الله بن بهلول، أحد تلاميذ أبي علي السنّي، وقد كان مرتبطا بعلاقة صداقة بأبي العبّاس الدرجيني(ت670/1272)، على ما بينهما من اختلاف مذهبي وإثني، أنه « ورد بعض الزوّار على شيخنا أبي علي حسنون بن محمد بن عمران النفطي، قال: فأخذ جلساؤه من أهل نفطة في ذكر مناقب يخلف العزّابي وبنيه وأهل بيته، فأوسعوا في القول، والزائر الغريب يستحسن ويستغرب، حتى قال أحد الجلساء للشيخ:» أترى أنّهم (= الإباضيّة) يُرجى لهم الخير عند الله لهذه الأوصاف، وهم على ذلك المذهب(= المذهب الإباضي)؟ فلم يجبه الشيخ بغير الصمت(لعدم وجاهة السؤال أو لمفارقته للمقام والحال)، فقال الزائر للشيخ: يا سيدي، وما مذهبهم؟ قال(= الشيخ): الصّلاح.»

ومنها انتهاء الوضع بالكوفة الصغرى، على ما عرفت به تاريخيا من تعددية مذهبية وإثنية، إلى نوع من التعايش والاحترام المتبادل بين الطرفين، وتجاوز التفصيلات والتمفصلات المذهبية، وهو ما نجد له واسع الصدى في المصادر الإباضية ذاتها مثلما هو الشأن في «طبقات المشايخ»، وهو مصدر إباضي، لقول أبي العبّاس الدُّرجيني(ت670/1271) نفسه: « كانت جماعة البربر، وجماعة العرب، من قبائل مختلفة ومذاهب مفترقة، يقصدون الشيخ يخلف بن يخلف (العزّابي)(وهو رأس الإباضيّة)، فيجتمعون عنده أفواجا، يقضي بينهم في الجراحات وغيرها، كلهم راضون بحكمه، لا يرغب عنه أحد لمخالفة مذهبه، ولا يردّ عليه قوله».

ومنها العلاقة الودية التي كانت تربط يخلف بن يخلف العزّابي بمحمد بن عمران، والد أبي علي السنّي نفسه، ويظهر أنّ تنامي موجة الاستياء التي خلفها هذا الحادث ولاسيما لدى الأوساط الصوفية المتنفذة وعلى رأسها أبو يوسف الدهماني، فيما تقول أخبار المناقب دونا عن المصادر التاريخية الكلاسيكية، قد كان وراء توجيه ضربة عسكرية تأديبية ضدّ إباضية نفطة أخضعت نهائيا هذا اللفيف من السكان المنشق وامتصت في الوقت نفسه غضب الوسط السنّي، حيث روي عنه، متى وثقنا بالنص المنقبي واعتبرناه مصدرا دفينا من مصادر التقاط الخبر التاريخي، وليس إسقاطا تاريخيا، أنه كان وراء التحريض على هذه الحملة وكان يردد قوله : « لابدّ أن آخذ ثأر أبي علي من ابن النخيلي».

ولعلّ مربط الفرس هنا في ابن النخيلي نفسه أي محمد بن أحمد بن نخيل الوزير والكاتب الأندلسي ووالي إفريقية الموحّدي أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، والصفة في كليهما سياسية بالأساس، وليست دينية أو مذهبية، مما يرجّح أن الأمر يتعلق بتصفية سياسية، تتنزل في إطار الصراع بين ولاية السلطان وسلطان الولاية، تمّ التعتيم فيها على الجريمة والتلبيس على من أمر بها ومن خطط لها ومن نفّذها عبر اللعب على وتر الصراعات المذهبية وتقسيم المقسّم.

6 - أبو علي السنّي بين ولاية القلب وقلب الولاية

الثابت أنه كانت بين أبي علي النفطي وأبي يوسف الدهماني مكاتبات ومراسلات تلك التي تصطلح كتب المناقب على تسميتها بالبطاقات أو كتب المراسلة، وتنصّ على أنها كانت كثيرة توزعت مضامينها محاور اهتمام شتّى شعريّة ونثريّة «في معنى الاشتراك والاتحاد وما إلى ذلك من اهتمامات صوفية أشار إليها الدبّاغ وأورد منها بعض المنتخبات .

ولم تقتصر هذه المراسلات على النفطي والدهماني والمهدوي إذ يبدو أنها كانت من تقاليد الجدل المذهبي والمعرفي الرائجة بين العلماء والعارفين عامة لا ضمن المجال المغاربي فحسب وإنّما أيضا ضمن المجال الإسلامي، تنطق بذلك على سبيل المثال:

- البطاقات المتبادلة بين المهدوي والدهماني،

- والبطاقات المتبادلة بين النفطي وأبي يعقوب الطري،

- والمراسلات المتبادلة لاحقا بين أبي الحسن الشاذلي وأصحابه بتونس،

والمراسلات المتبادلة بين أبي العباس المرسي وأتباع الطريقة الشاذلية بإفريقية وتونس،

وتكشف جميعا عن طبيعة الاهتمامات التي كانت تشغل الأوساط الصوفية فضلا عن نطقها بمدى حيوية البناء النظري لديها.

على أنه وإن لم تصلنا من مراسلات أبي علي النفطي، وهي عديدة، إلاّ رسالته في الردّ على أبي يعقوب الطّرّي شيخ نفزاوة وقد كان من المتكلمين تنم عن مدى تمسك حملة المعرفة داخل الوسط الصوفي السنّي خاصة، وفي إطار «المركزية» السنيّة المتغلبة، بفتح قنوات التواصل مع وجهات النظر « المخالفة».

خاتمة

لئن حظيت سيرة أبي علي السني بأكثر من تصنيف منقبي على غرار ما حرره الحسن بن احمد البجائي وأبو عمر بن حزام حجاج، فإنه لم يصلنا منها إلا بعض الشذرات والأخبار ضمن مجاميع المناقب المخصصة لأولياء تونس لا تتعدى بضع ورقات، وحيث أننا نعرف أن برصيد مركز الموسيقى المتوسطية النجمة الزهراء بضاحية سيدي أبي سعيد، ظلت من « العلم المضنون به على غير أهله» فيما يخصنا على الأقل، وحيث أننا كنا نعتقد في وجود نسخة من هذا المخطوط نفسه بمقر زاوية الوليّ بنفطة، وهو ما نفاه الأستاذ منير معيزة، شيخ الزاوية الحالي، في زيارة لنا لنفطة مؤخرا، ولم تبق لنا كباحثين إلا نسخة الزاوية الحزامية، وهي نسخة منفذة بخط يد سليمان بن عثمان بن الحاج سليمان النفطي، وقد سبق للسيد عبد المجيد إسكندر، شيخ الطريقة العلوية، أن أتاحها لنا جزئيا، فإنّ رقمنة هذه النسخة وإتاحتها للباحثين قد آن أوانها كأكثر من أي وقت مضى حتى عسى أن نضيف إلى بركة العلم الموهوب التي يقوم عليها رأس المال الرمزي للولي بركة العلم المكسوب، دراسة وتحقيقا، وهذا ما تلقينا فيه وعدا صريحا ووعد الحرّ دين.

رأي

«الفرمسي» : أدوية منتهية الصلوحية مُضرّة بالمشاهد

أنور الشعافي (مسرحي)

1- مدخل معرفي :

يعود أصل كلمة سيتكوم إلى عبارة : Sit)uation (Com) edy)

و تعني كوميديا الموقف وهي وضعية مثيرة للضحك أساسها سوء الفهم le malentendu في الفعل ورد الفعل ونجد ترجمتها في المسرح الفن- الأب عند موليار في " البخيل L'Avare مثلا وخاصة في "لعبة الحب والمصادفة Le Jeu de l'amour et du hasard للكاتب الفرنسي Marivaux ونجدها في نوع الكوميديا دي لارتي Commedia dell'arte وهي إحدى مصادر الكوميديا الخمس المتمثلة في :

•• كوميديا الطبع تكون فيها طبائع الشخصيات مبالغ فيها بشكل كاريكاتوري

•• كوميديا التباين تقدم فيها شخصيات متناقضة في تصرفاتها داخل نفس المشهد

•• كوميديا الكلمات وتعتمد التورية والخلط في معاني الكلمات واستعاراتها مثل سلسلة كلام الليل لتوفيق الجبالي

•• كوميديا الحركة وتتأسس على الفعل ورد الفعل الحركي.

ويمزج عادة كاتب السيتكوم بين هذه الأنواع الذي يتميز أيضا بوحدة موقع التصوير مما يخفّف من تكاليف الإنتاج.

2 - في ما سُمّي بسيتكوم "الفارماسي"

إن الخروج أحيانا من وحدة المكان وهو هنا صيدلية وتقديم مشاهد بانورامية Plans panoramiques وعرض ملخص في بداية كل حلقة لسابقتها يجعل ما سُمي سيتكوم يهاجر في بعض خصائصه إلى المسلسل ، هذه المراوحة في النوع تجعله هجينا والإصرار على تقديمه كسيتكوم يكشف فقرا معرفيا يدفع بأول سيناريست ومخرج لهذا النوع وهو الأمريكي William Asher إذا قام من قبره وشاهد " الفارماسي" أن يذهب إلى صيدلية حقيقية ليقتني حبّة Doxazosine لعلاج ضغط دمه الذي سيرتفع بعد مشاهدته لهذا العمل الذي هو أيضا ليس سلسلة Une série التي تكون فيها كل حلقة مستقلة بذاتها، لذلك نرى أن تصنيف هذا العمل كمسلسل un Feuilleton هو الأصح جماليا فأحداثه مترابطة ومتواصلة وهذا المصطلح كان يُستعمل في الاصل في الصحافة المكتوبة حتى إن جذر كلمة Un Feuilleton جاء من كلمة Une feuille أي ورقة وإن اختلفت هنا بعض التفاصيل نتيجة دخول شخصيات جديدة أحيانا لكن اقتحامها للأحداث لا تأثير له على الموضوع- المحور.

3 - في موضوع المسلسل:

يبدو مكان الأحداث غير مستهلك : "صيدلية " وبما أن غاية فريق العمل تقديم كوميديا فإن وظيفته الإنتظارية تقوم على تناول كل ما يدفع إلى الكوميديا داخل فضاء صيدليه في خصوصيته وإلا فلا لزوم أصلا لبناء الاحداث داخلها فكان من الممكن ان تقع الأحداث داخل مقهى أو إدارة أو أي مكان عمومي أما اختيار صيدلية كمكان للأحداث

يجعل السيناريو بالضرورة يستغل كل ما يمكن من خصوصية لهذا الفضاء بعينه واستنطاق كل ما يمكن من أحداث كوميدية فيه، لكن فقر المعالجة وانعدام الخيال جعله يسقط في السهولة والقوالب الجاهزة مثل حلقة " العزّام - مكتشف الكنوز- وهي مثال على استبلاه المتفرج ببلاهة كتابته وغباء إخراجه ، وهذا الأمر ينسحب على أغلب الحلقات مما يجعل من الكوميديا المزعومة تنقلب إلى تراحيديا تتمثل في إعطاء فرصة إنتاج وإخراج لفاقدي الموهبة و يبدو أن سببها أيضا فاقدي التقييم وفاقدي آخذي القرار في أهلية القرار.

4 - الديكور :

فضاء الاحداث المحوري أساسي لذلك كان من الضروري تصوّر ديكور مناسب و يجب أن يكون طبيعيا Naturaliste ولا حتى واقعي réaliste وحيث أن صاحب الصيدلية قد ورثها عن أبيه حسب ما ورد في سياق الحوارات فيجب معالجة traitement الديكور حتى نرى أثار الزمن عليه لا ان نراه خارجا للتو من عند النجار وقد صُنع من خشب رخيص لا يعكس ما يجب أن تكون عليه صيدلية ممتدة بين جيلين و المسألة تعني كذلك الرفوف التي رُصّف أغلبها في شكل علبة من كل نوع من الادوية فهل إن الصيدليات مثل المتاجر تعرض نماذج لسلع مختلفة حتى يراها الحريف فتغريه بشرائها؟ فالادويه في أي صيدلية توضع في مجموعة علب حسب تماثلها ، فما شاهدناه إما هو إستغباء للمتفرج أو هو غباء من تصوّره.

5- آداء الممثلين :

نعرف جيدا معنى إدارة الممثلين وهو اول وأهم مهمة للمخرج لكننا هنا وبشكل جلي نلاحظ غيابا تاما لأدنى توجيهات إخراجية والامر خطير لأنه يشمل جل المسلسلات والسلسلات والسيتكومات مما يجعلنا نتساءل هل إن مدارس السينما عندنا تكوّن من ينتسب إليها في هذا الجانب؟

إن ممثلي مسلسل " الفارماسي" كانوا في " متاهة أدائية" جعلت بعض الممثلين الراسخين وخاصة القادمين من المسرح في قوالب جاهزة أساءت إلى مسيرتهم وجعلتهم يسقطون في إجترار واستسهال ونذكر هنا على سبيل المثال جلال الدين السعدي ولطيفة القفصي والمنصف العجنقي.

6 - الإخراج:

هذا الإختصاص يتطلب أساسا ثقافة شاملة وتمكّنا تقنيا من النوع مسرحا كان أم سينما أم تلفزة وهو رؤية واعية وليس مجرد تناول سطحي كما لاحظنا هنا وهناك وكذلك معرفة جيدة بلغة الكاميرا إذ يعرف المختصون جيدا أن حركة الكاميرا هي لغة موازية تصبح فيها عين المخرج هي عين المتفرج عكس المسرح القائم بديهيا على المشهد الشامل Le plan d'ensemble لذلك فإن التنويع في حركة الكاميرا ومشاهدها له علاقة بالإيقاع العام للعمل ولغة تعاضد السيناريو والحوار وليست مجرد تنويع غير واع في تحريكها وحركتها.

إن هذه " الفارماسي" ليست فقط ضحك على ذوق المشاهدين بل أيضا على جيوبهم فهم يدفعون مساهمة للتلفزة الوطنية ضمن فاتورة الكهرباء لكن يبدو أننا هربنا من "قطرة ظلام الليل " إلى " ميزاب ظلام الإبداع".

هذا غيض من فيض رداءة

«إن شاء الله ولد» فيلم جريء يعالج القضايا المسكوت عنها في المجتمع الأردني

عدنان حسين أحمد

ضمن فاعليات الدورة الأولى لمهرجان بغداد السينمائي الذي انعقد للمدة من 10ولغاية 14 شباط / فبراير 2024م اشترك فيلم «إن شاء الله ولد» للمخرج الأردني أمجد الرشيد في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة التي اشتملت على 12 فيلمًا طويلاً وتتوّج بجائزة لجنة التحكيم الخاصة، كما سبق أن فاز بجوائز مهمة في مهرجانات عربية ودولية مثل مراكش والجونة وفرايبورغ وفينيسيا، وهو أول فيلم أردني يُعرض في «أسبوع النقاد» في مهرجان «كان» السينمائي الدولي ذائع الصيت.

لابدّ من الاعتراف أولاً بأنّ «إن شاء الله ولد» هو فيلم درامي جريء يفضح المسكوت عنه ويخترق مجموعة من القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية البالية التي أكل الدهر عليها وشرب. تتناول قصة الفيلم التي كتبتها دلفين آغوت ورولا ناصر بالاشتراك مع المخرج الأردني أمجد الرشيد قانونيّ «الميراث» و «حضانة الأطفال» في مجتمع ذكوري متخلف يستمد أحكامه من الدين والشريعة والمجتمع الذكوري المتشدد الذي لا يكتفي بمصادرة حرية المرأة وحقوقها المادية والمعنوية وإنما يمنعها من ممارسة الكثير من حقوقها الإنسانية في الحب والعمل والتواصل الاجتماعي مع الآخرين بحجج واهية من قبيل «أنّ المرأة ناقصة عقل ودين» وما إلى ذلك من خزعبلات دفنتها المجتمعات المتحضرة في مقابر التاريخ المظلمة ووجدت في المساواة بين الرجل والمرأة الحل النموذجي الأمثل الذي لا يثير حفيظة المرأة ولا يجعلها نهبًا لجشع الرجل وطمعه بنصيب غيره من الإناث على وجه التحديد. تتناول قصة الفيلم أيضا التفرقة والتمييز بين الأطفال على أساس الجندر أو الهُوية الجنسية فالصبي يرث حصة الأب الذي يواجه مصيره المحتوم في الأموال والممتلكات بينما تُحرم منها البنت من دون أي مبرر منطقي لكونها أنثى ولا يجدون حرجًا في القول بأنّ «المرأة نصف المجتمع». ولو توغلنا في تفاصيل الفيلم لوجدنا فيه الكثير من الثيمات الفرعية المهمة التي رصدها كُتّاب السيناريو ومُخرج الفيلم الذين لا تعوزهم الجرأة ولا تنقصهم الصراحة في طرح الموضوعات التي تعتبر حسّاسة في العالَمين العربي والإسلامي.

يمكن تقسيم الفيلم إلى ثلاثة مسارات درامية حيث يتعلّق المسار الأول بعائلة عدنان منصور خلف «محمد سليمان» وزوجته نوال «منى حوا» وابنتهما نورا «سيلينا ربابعة» وهي عائلة مسلمة تلتزم بالأعراف والتقاليد الاجتماعية الأردنية. أمّا المسار الثاني فيتمثل بعائلة مسيحية مكونة من الجدة المُصابة بالزهايمر كوليت «سيرانوش سلطانيان»، وابنتها سُعاد «سلوى نقارة» وحفيدتها المتحررة لورين «يمنى مروان». فيما يتجه المسار الثالث صوب حسن «إسلام العوضي» الذي يقع في حُب نوال في أثناء عمله كمشرف طبي لمريضته المُسنة كوليت التي تعمل في خدمتها وتمريضها أيضًا نوال منذ أكثر من أربع سنوات. وثمة تركيز واضح على القضاء المدني الذي تتبناه الدولة والشريعة الدينية التي يتبناها رجال الدين. وبين هذه المسارات الثلاثة هناك العديد من المعطيات القيّمية التي سنأتي عليها في متن السياق النصّي للقصة السينمائية التي يتفق الكثير من النقاد على جرأتها في تناول الموضوعات الحسّاسة والمسكوت عنها في المجتمع الأردني وغالبية المجتمعات العربية والإسلامية.

انتهاك أعراف الحِداد

لا يتأخر المخرج أمجد الرشيد كثيرًا لوضع متلقّيه في صلب الحدث الدرامي أو الثيمة الرئيسة للفيلم، فنوال التي تزيّنت وارتدت حُلّة نومها المثيرة تحفّز زوجها عدنان على ممارسة الحُب علّها تنجب طفلاً ذكرًا يرث ما تمتلكه العائلة من شقة متواضعة، وسيارة بيك آب، وبعض الأثاث المنزلي التي يمكن أن تجده عند أية أسرة أردنية تكدح ليل نهار من أجل تأمين متطلبات العيش الكريم. كما لم يتأخّر المخرج في طرح سؤال الموت حيث ينام عدنان الذي لم يجرّب نصيحة الطبيب بالتواصل الجسدي مع زوجته ولم يستيقظ إلى الأبد. وحينما تُقيم نوال مراسيم العزاء في منزلها تأتيها إحدى الجارات لتلقّنها درسًا في الدين والسلوك الاجتماعي حيث تخبرها بأنّ «المرأة التي تفقد زوجها هي في الحقيقة تخسر حبيبها وشريكها وكل شيء في حياتها». ثم تدعو الله أن يتغمّده برحمته الواسعة. وبغيابه فقد ذهب نور هذا البيت وأصبح ظلامًا، وتلتمس من الله، جلّ في علاه، أن يسكنهُ في بيت أفضل من هذا وأن يحشره مع الصالحين. ثم تمضي في تعليماتها وارشاداتها التي تقول بأنّ زوجة المتوفي يجب أن تبقى في منزلها لمدة أربعة أشهر قمرية وعشرة أيام ولا تغادره إلاّ لقضاء الحاجات والقضايا الضرورية، وإذا خرجت مضطرة فإنّ عليها أن تعود إلى منزلها قبل غروب الشمس وتتجنب التجمعات لأنّ الشياطين تطوف في أرجاء الدنيا بعد الغروب وتحرّض على ارتكاب المعاصي والذنوب، غير أنّ نوال تنتهك هذا العُرف وتعود إلى عملها بعد ثلاثة أيام لتقدّم خدماتها للسيدة المُسنة كوليت وتواصل حياتها الاجتماعية والعملية من دون الالتفات للنصائح الدينية التي قدّمتها الجارة المُعزية ونبهتها إلى ضرورة الحفاظ على شرف الزوج وعرضه بعد وفاته.

تبدأ مشكلة الميراث التي يثيرها رفقي «هيثم العمري» ويطالب بحصة العائلة من الشقة وسيارة البيك آب كما أدعى بأنه لم يستلم الأقساط الأربعة من ثمن السيارة التي رفضت أن تبيعها نوال كما رفضت أن تبيع الشقة التي ساهمت في دفع بعض أقساطها ولكنها لا تمتلك أدلة قانونية تساعدها في تعزيز هذا الإدعّاء الأمر الذي دفع رفقي إلى مقاضاتها للحصول على ميراث العائلة وطلب حضانة الطفلة نورا لعدم أهلية الأم في تربيتها والاعتناء بها كما يدعي زورًا وبهتانا. لم يكن موقف نوال قويًا فعقد البيت غير موقّع من قبل عدنان ولم يبقَ أمامها سوى الادعاء بأنها حامل وقد يكون الجنين ولدًا الأمر الذي يتيح له أن يرث كل ما يمتلكه الأب الذي انتقل إلى رحمة الله الواسعة. لم تكن سيرة الراحل عدنان واضحة تمامًا، فـنوال لا تعرف «كود» هاتفه النقال، وسوف تجد لاحقًا واقيًا عازلاً في جيب قمصلته، كما أنّ تسريحه من العمل قد حدث لأسباب ما تزال مجهولة بالنسبة لها.

نفهم من المحضر الذي يتلوه القاضي بأنّ عدنان قد ترك بيتًا تُقدّر قيمته بـ 30000 دينار أردني، وأربعة أقساط سيارة البيك آب، ومؤخر قيمته 500 دينار بحسب عقد الزواج، إضافة إلى أثاث المنزل الذي بات قديمًا الآن ولكن نظرًا لحمل نوال فقد أمر القاضي بتأجيل هذه القضية لحين التأكد من الفحص الطبي الشرعي ومعرفة جنس المولود المنتظر إن كان ذكرًا أم أنثى.

أمّا المسار الثاني فيتعلق بالعائلة المسيحية الثرية حيث تخضع فيها الجدة كوليت المصابة بالزهايمر إلى العلاج الطبيعي والعناية من قبل حسن ونوال. بينما تفرض ابنتها سعاد سيطرتها على المنزل فهي الآمر الناهي ولا تفوتها شاردة أو واردة. ورغم القمع الذي تمارسه على الجميع إلاّ أنّ ابنتها الوحيدة لورين بدأت تتذمر وتتمرد على هذا الواقع المؤسي الذي فرضته أمها على كل من في المنزل. وبدأت تفكر بإسقاط الجنين الذي تحمله من رجل يخونها يوميًا ولا تستطيع أن تتطلق منه. وحينما جاءت نوال وطلبت منها أن تقوم بإجراء اختبار الحمل وتضع اسمها الكامل عليه لكي تؤجّل إجراءات القضية المرفوعة ضدها من قِبل رفقي توافق لورين مقابل أن تدُلها نوال على طبيب يُجهض حملها وترافقها إلى هناك حيث تدور نقاشات جانبية بينها وبين الطبيب الذي يعرف الحلال من الحرام لكن الكسب المادي هو الذي جعله يتغاضى عن بعض المفاهيم الإنسانية فقتل الجنين في أية مرحلة من مراحل حياته هو حرام وعمل غير إنساني بكل المقاييس لكن مبلغ الـ 1500 دينار الذي يأخذه عن كل عملية بسيطة هو الذي يحجب عينيه ويمنعه من التأمل في هذه المحرّمات الواضحة للعيان. وحينما تعْلم الأم سعاد بحكاية الإجهاض تطرد نوال من المنزل وتتركها ضحية للحاجة المادية اللعينة.

الإفصاح عن الحُب المكبوت

أمّا المسار الثالث والأخير فيتعلق بحسن الذي تعرّف على نوال في منزل كوليت وأحبها بصمت منذ أربع سنوات ولم يجد فرصة مواتية للتعبير عن هذا الحُب المكبوت في صدره. وحينما طردتها سعاد من عملها وجدت نفسها في العراء وأصبحت بحاجة ماسة إليه خاصة بعد أن اقترح عليها أن يعلّمها السياقة علّها تستطيع أن تقود سيارة البيك آب التي ورثتها عن زوجها الراحل. وفي أثناء التعليم يفصح حسن عن هذا الحب المكبوت، ويذهب أبعد من ذلك حينما ينزع عنها غطاء الرأس ويتفاجأ بشعرها الفاحم الطويل ثم يقبّلها عدة مرات ويتمنى أن يعيش معها حياة طويلة تُطفئ لواعج حبه الذي كان مردودًا طوال السنوات الأربع الماضية. تتسع دائرة الخيانة في هذا الفيلم، فزوج لورين كان يخونها علنًا، ثم تبيّن أنّ عدنان كان يخون نوال هو الآخر بدليل العازل الذي يحمله في جيبه، ولعل طرده من الوظيفة يعود إلى هذا السبب أيضًا وأنّ صاحب العمل اكتفى بالقول بأنّ عدنان بين يدي رب كريم، وإذا ما اعتبرنا اللقاء الحميمي بين نوال وحسن خيانة بعد أن نامت على صدره وتركته يداعب وجهها وشعرها ويطبع على شفتيها أكثر من قُبلة برضاها التام وإن انسحبت في خاتمة المطاف من بين يديه وطلبت منه العودة إلى البيت.

ينقلب موقف شقيقها أحمد رأسًا على عقب ويمنعها من الخروج من المنزل باستثناء الذهاب إلى العمل ويجبرها على إجراء الفحص الطبي الذي نكتشف من خلاله أنها غير حامل. ويمارس عليها قمعًا غير مسبوق وكأنّ سلطة الزوج انتقلت إليه وصار يطلب منها أن تردّ على مكالماته الهاتفية حتى وإن كانت منهمكة في العمل، وألاّ تخرج ليلاً مهما كانت الأسباب، وأن تظل مرتدية للثياب السوداء دليلاً على حدادها المستمر على زوجها الراحل.

لم يقبل القاضي الديني بطلب حضانة الطفلة الذي تقدّم به رفقي لأن الأم تعمل لكي تسدد تكاليف المعيشة اليومية، وأنها كانت تترك ابنتها عند جارتها الكبيرة في السن لمدة ثلاث ساعات يومية الأمر الذي ينفي عنها تهمة الإهمال وعدم الأهلية. كما يقرر القاضي رفض طلب الحضانة لأن حججه واهية وغير مقبولة.

ينتهي الفيلم نهاية معبّرة حينما نرى نوال وهي تجلس خلف مقوَد البيك آب وتستدير ثم تنطلق صوب الجهة التي تريدها وكأنها تقول لنا جميعًا بأنها بدأت تقود حياتها في الإتجاه الصحيح الذي قررته مذ وقعت في هذه المحنة التي لم تتحرر بعد من كل شباكها وتبعاتها رغم أنها رفضت المبلغ الذي قررت أن تستلفه من حسن على أن ترده إليه في مطلع الشهر القادم بعد أن وضعت حدًا لهذه العلاقة التي اعتبرتها خطأً عابرًا أو نزوة عاطفية استولت عليها في لحظة ضعف. وكما يقول أمجد الرشيد بأنه لم يطرح حلاً للمشكلة وإنما طرح أسئلة بطريقة ساخرة.

بقي أن نقول بأنّ أمجد الرشيد من مواليد 1985 وحاصل على درجة الماجستير في الإخراج والمونتاج، أنجز خمسة أفلام قصيرة من بينها فيلم «الببغاء». وفي عام 2016 تم اختياره من قِبل «سكرين إنترناشيونال» كواحد من نجوم العرب الخمسة الواعدين.

(ناقد سينمائي عراقي مقيم في لندن)

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

مشاركة تونسية ملحوظة في مهرجان "مالمو" السينمائي

اختارت لجنة تنظيم مهرجان "مالمو" للسينما العربية المزمع تنظيمه في الفترة ما بين 22 و28 أفريل القادم، الممثلة التونسية سهير بن عمارة لتكون عضوة في لجنة تحكيم الافلام الروائية الطويلة برئاسة المخرج المصري " خيري بشارة".

ويشار ان النجمة التونسية سهير عمارة

درست الإخراج السينمائي في كلية فنون الملتميديا بمنوبة وانطلقت في مهنة التمثيل في سنة 2008 بدور في مسلسل "مكتوب ج 1" ودور صغير في سلسلة "شوفلي حل" في 2009 شاركت بدور بطولة في مسلسل "عاشق السراب" وفي سنة 2010 قامت بدور البطولة في مسلسل "من أيام مليحة" في 2011 عملت في فيلم "ديما براندو" وسلسلة"طاولة وكراسي" وفي 2012 أسند لها المخرج نوري بوزيد دور البطولة في فيلم "مانموتش" ومثلت شخصية "عائشة" الفتاة المتحجبة في سنة 2013 قامت بدور"دنيا" في مسلسل "يوميات امراة" الذي لاقى نجاحا كبيرا في 2015 قامت بدورين في مسلسلين في ليلة الشك شخصية"الدكتورة ليندا" وفي حكايات تونسية شخصية"ساندرا". حازت على جائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "مانموتش".

كما اختارت لجنة تنظيم المهرجان الفيلم التونسي " وراء الجبل" للمخرج محمد بن عطية ليكون ضمن المسابقة الرسمية للافلام الروائية الطويلة.

فيلم "وراء الجبل" هو الفيلم الروائي الطويل الثالث في رصيد المخرج محمد بن عطية بعد "نحبك هادي" (2016) و"ولدي" (2018)، وهو من إنتاج شركة "نوماديس" لصاحبتها درّة بوشوشة بدعم من وزارة الشؤون الثقافية وعدد من المانحين العرب والأجانب مثل صندوق البحر الأحمر ومؤسسة الدوحة للأفلام وشركاء آخرين من فرنسا وإيطاليا وبلجيكا.

وتدور أحداث الفيلم حول قصة رجل يُدعى رفيق يتحرر بعنف من بيئته الرتيبة، فيسعى لتخليص نفسه من المجتمع بمبادئه وقوانينه ومؤسساته . وبعد أن قضّى أربع سنوات في السجن، لم يكن لدى رفيق سوى خطة واحدة، وهي أن يأخذ ابنه خلف الجبال ويريه اكتشافه المذهل وهو الطيران.

واختارت لجنة تنظيم مهرجان مالمو للسينما العربية ايضا الفيلم التونسي "بنات ألفة" من إخراج كوثر بن هنية للمشاركة في المسابقة الرسمية للافلام الروائية الطويلة.

"بنات ألفة" فيلم روائي وثائقي من بطولة الممثلة هند صبري (في دور البطلة ألفة) ونور قروي وإشراق مطر ومجد مستورة. وتدور أحداثه حول قصة حقيقية لامرأة تونسية تدعى "ألفة" تتأرجح حياتها بين النور والعتمة، ويتصاعد المسار الدرامي للقصة باختفاء ابنتيها، وقد اعتمدت كوثر بن هنية في طرحها السينمائي على أداء ممثلات محترفات في مشاهد تصويرية وروائية بتصور جديد يجمع بين الأسلوب الوثائقي والدرامي لدفع عنصر التشويق في رحلة البحث عن الفتاتين.

أما في مسابقة الأفلام الروائية القصيرة سيشارك المخرج الشاب بلال بالي باحدث أفلامه " براكاج"

ينطلق الفيلم من فكرة أن المال لا يصنع الفرح ولكنه يمكن أن يساهم في ذلك. وتتبع شخصيات الفيلم المال لأسباب مختلفة وبطرق متعددة. حتى أن يحدث ما لم يكن في الحسبان.

سيناريو فيلم "براكاج " والإخراج لبلال بالي ومدة عرضه 21 دقيقة وتم انجازه

سنة 2023 ويقوم بادوار البطولة فيه

إلياس بلاجي وصلاح مصدق

سيناريو : بلال بالي

صورة : احمد ثابت

مونتاج (تركيب) : بلال بالي

المخرج : بلال بالي

ويشار ان مهرجان" مالمو" للسينما العربية كشف عن برنامج الأفلام المشاركة في مسابقاته الرسمية بدورته الرابعة عشرة، والمقرر إقامتها في الفترة بين ما بين 22 و28 أفريل...والبرنامج المعلن للأفلام المشاركة في المسابقات الرسمية يضم 26 فيلمًا (12 فيلمًا طويلاً و14 فيلمًا قصيرًا)، وهي من إنتاج 13 دولة عربية مع شراكات إنتاجية من 10 دولٍ أجنبية.

تضم المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة 12 فيلمًا، أما مسابقة الأفلام القصيرة فتضم 14 فيلماً، ولا يشمل ذلك الأفلام المشاركة في عروض المدارس أو الليالي العربية وفيلم الاختتام والتي سيعلن عنها لاحقا.

بدايات السينما التونسية في كتاب

يمثل هذا الكتاب مجلدا أولا من سلسلة كتب بيوغرافية تعتزم الباحثة فاتن ريدان نشرها تباعًا خلال رحلتها البحثية على أمل تجميعها لاحقًا في شكل موسوعة بعنوان: "الكويكبات التونسية في سماء السينما النجمية". وتعتزم اهداء هذه الموسوعة إلى كلّ مخرج ومنتج وموزّع وممثّل وعضو فريق تقنيّ وأستاذ باحث.

لقد كانت بداية السينما التونسية مع عائلة شمامة (الأب آلبار والابنة هايدي)، وكتابة مخطوط حول مسارهم برؤية بحثية تونسية، يختلف تماما عن الرؤى الأجنبية التي تتميّز بالاختصار والسّطحيّة لنفس الشّخصيّتيْن... تقول صاحبة الكتاب" نحن نكتب عن هويتنا، عن بصمة مخرجينا الخاصة في التاريخ الدولي للسينما، كما طبعه وأثّر عليه تاريخ تونس، وميزاتها الثّقافيّة، والسّياسيّة، والصّناعيّة. وقد بدأنا سلسلتنا بجزء حول عائلة شمامة، لنواصل فيما بعد نشر كتب سير ذاتيّة أخرى حول مخرجينا، يربطها تسلسل زمني يوازي نظيره في ظهور الأشرطة التّونسيّة.

نتمنّى لقرّائنا أن يجدوا في مؤلّفنا ما تساءلوه حول السّينما التّونسيّة، ونتمنّى بصفة أعمق وأكثر ارتباطا بهويّتنا، بأن يواصلوا في الغوص البحث والتمحيص حول السينما التونسيّة، بأقلام تونسيّة.

الدورة 14 لصالون قفصة للفنون التشكيلية:

عودة بعد انقطاع

ايناس أحمد سليم

افتُتحت فعاليات صالون الفنون بالمركب الثقافي ابن منظور بقفصة يوم 9 فيفري المنقضي في دورته الرابع عشرة ولازال متواصلا الى هذه الساعة. الصالون نظمته جمعية الفنون التشكيلية التي تشرف عليها الاستاذة بالمعهد العالي للفنون والحرف سهام رمضان. وقد شارك في هذا المعرض خمسة وعشرون فنانا تشكيليا من مبدعي الجهة من مختلف المعتمديات نذكر القطار، السند، المتلوي، بلخير أم العرائس، الرديف وقفصة المدينة. هذا الصالون الذي تعطّل وغاب لمدة سنوات منذ 2016 نجح هذا العام في لمّ شمل فناني الجهة المحترفين الأكاديميين منهم والعصاميين الذين سارعوا لتقديم أعمالهم وتأثيث هذا الحدث الابداعي. تنوعت الأعمال بين رسم وحفر ونحت ونسيج دون ان ننسى الفوتوغرافيا. اللوحات تنوعت بين التجريد والتشخيص والتقنيات المختلفة. وقد ضمّ المعرض ست وأربعون عملا فنيا يؤصّل للذاكرة الفنية الابداعية للجهة اذ لمسنا حضور المرقوم القفصي في بعض اللوحات وغيره من خصوصيات الجهة.

المعرض سجّل حضور جميع الفئات وجميع الأعمار، وقد كان حضور الاطفال ملفتا ومميّزا الى جانب حضور طلبة المعهد العالي للفنون والحرف.

تعددت اللوحات وتنوعت المواضيع والتقنيات. فبعض الفنانين جنحوا الى توظيف تراث الجهة كما اسلفنا من معمار ونسيج وهنا نستحضر تجربة الفنان العصامي محمد أمين عثماني الذي شارك بثلاثة اعمال منها لوحة "عروس الصحراء" التي ضمت مختلف التركيبات اللونية والشكلية الموجودة في النسيج البربري بمختلف انماطه والتي أدخل عليها ايضا نوعا من الحروفية. كذلك لوحة "بيوت" وهي أكريليك على قماش، و مفردة "البيوت" التي أثثت اللوحة هي وحدة زخرفية اقتبسها الرسام من النسيج البربري وقام بتفكيكها وإعادة تركيبها واستعمل الوانا عصرية فهي ليست الوانا أصيلة في النسيج البربري القفصي كما يقول. لوحة "البيوت" هي صورة وتركيبة للبلاد العربي بازقتها المتشابكة والمتداخلة. "افاق حروفية" هو العمل الثالث الذي شارك به الفنان محمد الامين عثماني، في هذه اللوحة أدخل الفنان "الزاوية" ومعمار "حومة" قفصة كما طغى عليها الخط العربي.

كذلك لا يمكن المرور دون الحديث عن لوحة "إنفجار في منجم" للرسام والأكاديمي عمار طيب وهو كذلك مدير جمعية الفنون والحرف بمدينة القطار. هذا العمل بتقنية الحفر وقد استمدّ الفنان اسمه وموضوعه من معاناة العامل المنجمي ومايتعرض له من مخاطر الانهيار والانفجار. الموضوع استلُهم من شهادات حية لمناضلي وعمّال الحوض المنجمي

أما التقنية فهي نابعة اساسا من موضوع اللوحة ألا وهو الحفر. استعمل الفنان القيم الضوئية الأسود والأبيض وما يشيعه الاول من قتامة على خلفية صفراء لتصوير الإنفجار في تباين مع القيمتين. كذلك مشاركة الفنان مهدي عرفة وهو طالب دكتوراه في الاثار بصورة فوتوغرافية لرسم على صخرة تعود الى فترة ما قبل التاريخ وهي عبارة عن صورة لثور بدائي. أطلق الفنان على عمله اسم "تازينا" التي تعني نقوشا، واهم ميزة لهذا الفن انه يتميز بالخطوط الطويلة وقد عرف في شمال افريقيا الجزائر تونس والمغرب أي الاطلس الصحراوي عموما.

لوحة "الصمت" لحاتم رجب وهي أكريليك على قماش، طغى عليها صخب الألوان وتداخل الخطوط والاشكال والالوان الحارة والباردة. هي لوحة تجريدية بإمتياز ذات تنويعات لونية وحيوية طاغية تستفز فينا الأسئلة والدهشة.

أما لوحة "تريلوبيت" فقد استُمدّ موضوعها من الاحافير والجيولوجيا كما وضّحت صاحبة العمل ايناس أحمد سليم. اللوحة هي نتيجة لمعالجات تشكيلية بالخامات الحديثة المتنوعة. فالرسامة تعتمد اسلوب التجميع والتوليف وتسخّر المواد والخامات على سطح العمل الفني وتخلق بذلك حالة جمالية مختلفة عن السائد اذ نلاحظ احتفاءً بالخدوش والنتوء والكتل البارزة. هذا العمل رافقته رحلة من التجريب لتأثيث الفراغ وخلق أشكال وتعبيرات فوقع توظيف المهمل والمهمّش من الخامات واستعمال مواد صناعية وطبيعية وتجميعهم على سطح العمل في تالف وانسجام، كل ذلك لغاية اظهار سمات شكلية غائرة وناتئة وخلق الدهشة عند المتلقي.

ويمثل ايضا عمل الفنانة سميحة حدايدي الذي يحمل عنوان "ماما أفريكا" احسن مثال أو نموذج لتجنيس الخامات المتعددة داخل الفضاء البصري للمشغولة الفنية اذ يمثل حالة للخروج من السطح الأملس أو الفضاء المسطح الى السطح المليء بالكتل المتراصّة والمواد والخامات وقد نجحت الرسامة في خلق توازن واثارة جمالية لدى المتلقي. سميحة حدايدي هي فنانة متحصلة على الجائزة الوطنية في رسكلة الفن وهو مايفسّر احتواء عملها على الأعواد والخشب وعديد المواد إضافة الى الأكريليك.

تجدر الإشارة الى أن هذا الصالون الذي انتظره مبدعو الجهة بعد أن أُقصي لمدة سنوات تم بفضل جهود عديد الاطراف نذكر من بينهم رئيسة جمعية الفنون الأستاذة سهام بن رمضان، ويمكن القول ان هذه الدورة قد اعادت للصالون حيويته وبريقه على أمل استمراره وتنظيمه في دورات قادمة في ثوب جديد واعمال مميزة.

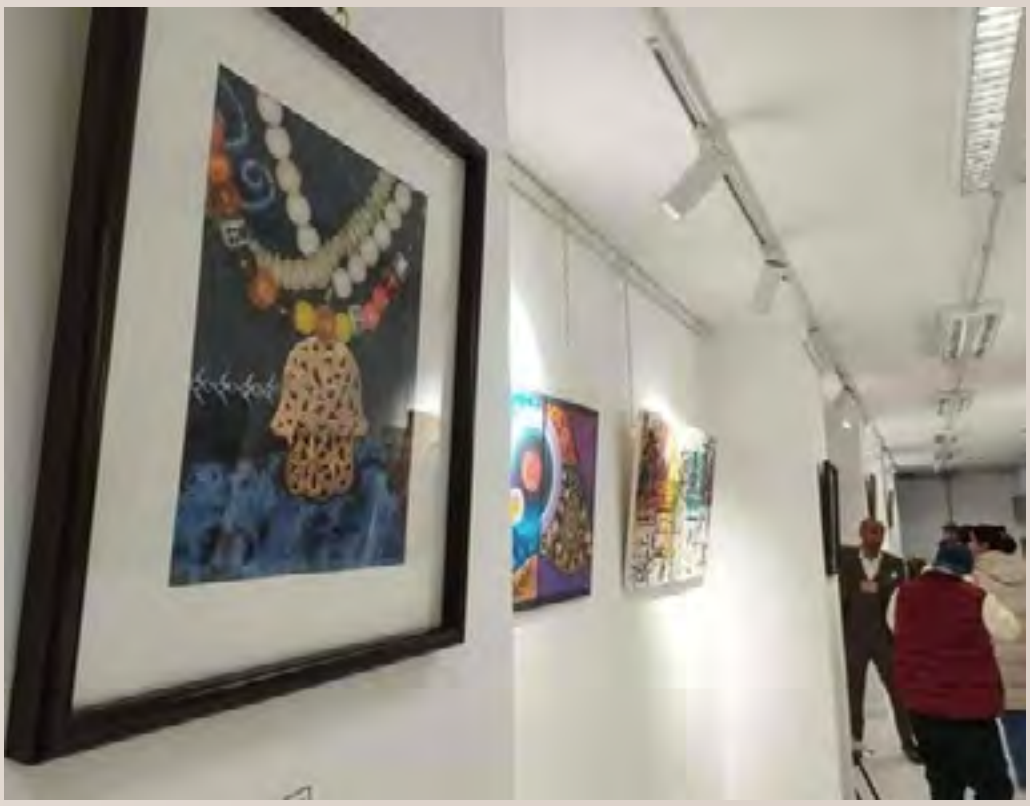

المحلي في لوحتي «حوت ياكل حوت» و PIMENT ET POISSON للرسام محمد الزواري

اسمهان الماجري - شاعرة وباحثة

الفنان ظلُ النُجوم على الأرض، لكنه ظِل مُشع لا ظل مُظلم، فهو كائن حساس له عوالمه الداخليّة النفسية والعاطفية والوجودية التّي تتأثر ضرورة بالبيئة والمحيط الخارجي، ببساطة لأن للفنان إحساسا مضاعفا ومرهفا يشبه المرآة التي تعكس ما حولها لكن غالبا ما تعكسه بصورة أجمل وتلك مهمة الفن: تجميل القبيح وجعل الجميل أجمل، يقول الناقد المصري الراحل جابر عصفور :"إن الثقافة كالإبداعي لا يُمكن أن تكون إنسانية إلا بعد أن تكون وطنية ولا يُمكن أن تتصف بالعموم إلا بعد أن تتصف بالخصوص وربما كان من الأدق أن نقول إن الوطنية الخالصة هي السبيل إلى الإنسانية الخالصة" بالتّالي نستطيع أن نقول نحن أن المحلي أصدق من الوطني والوطني أصدق من العالمي ولا يُمكن أن نصل إلى إبداع إنساني عالمي إلا مرورا بالمحلي فالوطني، بالأنا قبل الآخر بمجموعة مصغرة قبل مجموعة أكبر، لذلك اخترت لوحتين للرسام محمد الزواري رأيت فيهما رائحة المحلي تفوح كبهارات تملأ مدينة كاملة من التأويلات التي تخص بيئة معينة بيئة البحر دون حضور البحر في ذاته ولكن من خلال أهم لوازمه وهي "السمك" يقول ناظم حكمت :"أجمل البِحار ..

هو البحرُ الذي لم نذهب إليه بعدُ .."

ونقول أجملُ البِحار التي لا نراها مباشرة في اللوحة لكن نتخيلها من خلال بصمة فنية معينة أو خيال إبداعي ثري

*اللوحة الأولى :

في لوحة "حوت ياكل حوت"نلاحظ حضور البحر من خلال اللون الغالب على اللوحة كلون الأسماك وهو اللون الأزرق الفاتح، هذه السمكات الكثيرة المُتراصة دون فراغات بينها، تُغطي كامل اللوحة ولا تترك فيها ولو فراغا صغيرا كأغلب اللوحات عادة،السمكات مرصوصة بشكل دائري ولو حاولنا تتبع رؤوسها مثلا لشعرنا ببعض الدوران هذا الدوران هو دوامة "حوت ياكل حوت"بالتالي الطريقة المُختارة لترصيف السمكات متلائمة مع العنوان المُختار للوحة من قبل راسمها، وهذا مهم فالعناوين عتبات تُساعد على قراءة اللوحات أو النصوص أو أي فن كان،أما عن الخُطوط التّي رُسمت على أجسام السمكات فهي خطوط أفقية سوداء والخط الأفقي يُوحي بالاسترخاء والليونة والاستسلام ،عكس الخط العمودي الذي يوحي بوضعية التأهب والصمود .....الخ ،بالتّالي هذه الخُطوط الأفقية ساهمت في فكرة "حوت ياكل حوت وقليل الجهد يموت" والسمكات متوجهة بوجهها نحو اليمين وذلك ما يجعلنا نجزمُ بأن الرسام محمد الزواري يعتمد على يده اليمنى في الرسم، ولو كان العكس لكانت السمكات متوجهة بوجهها نحو اليسار، بالتالي تفصيل بسيط كهذا يجعلنا نصل إلى مرحلة متقدمة من الخيال "بأي يد يرسم هذا الرسام أو ذاك؟هذا التراصُ للسمكات وكأنما يُكون بحرا متلاصقا وممتدا .

*اللوحة الثانية :

أما لوحة PIMENT ET POISSON، فهي لوحة مُقسمة إلى خانات كثيرة كل خانة تحتوي إما على سمكة كاملة أو رأس سمكة وخانة واحدة تحتوي فلفلا، وخانة واحدة أخرى فارغة، وأولُ سؤال قد يخطر على بال أي مُشاهد لهذه اللوحة ما علاقة السمك بالفلفل ولماذا جُمعا في نفس اللوحة، ومن المُتوقع أن كل مُشاهد لهذه اللوحة وينتمي للوطن القبلي تحديدا سيفهم أن السمك والفلفل الأحمر الذي تُصنع منه "الهريسة"من أهم مميزات الوطن القبلي في الغذاء اليومي غالبا، وبالتالي هي لوحة تُجسد المحلي بنجاح أما الخانة الفارغة وكأن الرسام تركها عمدا ليضيف إليها مشاهد اللوحة ما يراه ينتمي أيضا لهذه الثقافة الغذائية. هي نافذة خيال لكل من يُشاهدها ويرغب أن يُضيف إليها شيئا آخر إضافة للسمك والفلفل، وإن اللوحات التي تترك مسافة لغير الفنان هي لوحات لا تزال غير مكتملة ربما ووحدها اللوحات غير المكتملة قطار سفر نحو المزيد من الفن في ذهن المشاهد وهذا مهم جدا في عملية التحفيز العاطفي والفني لأي إنسان يحب أن يتمعن بتأمل وتأن في الفنون التشكيلية، وربما أنا من جهتي رأيت في الخانة الفارغة (الكعك: كعك قليبية ومنزل تميم الخ) واكتملت اللوحة في ذهني على هذه الشاكلة

الفنان التشكيلي لسعد المحيرصي في أعمال فنية جديدة قبيل معرضه الخاص :

بحثًا عن نهجه الفني ضمن واقع يدركه بطريقته الخاصة

شمس الدين العوني

ضمن الاعداد لمعرضه الشخصي الجديد والذي ينضاف الى معارضه السابقة ضمن مشاركاته بتونس وخارجها ومنها معرض خاص بفضاء « صوفونيبه » بضاحية قرطاج يواصل الفنان لسعد المحيرصي الاشتغال على أعمال فنية جديدة تنضاف لمنجزه التشكيلي بورشته الخاصة حيث تعددت حالاته التلوينية وهو يزين القماشة بكثير من تجريدية الألوان قولا بالغرام الدفين الذي سكنه وهو ينشغل عنه بالعمل وما تقتضيه مسؤولياته الديبلوماسية حيث كان في ذلك متعدد المدن والعواصم وهنا عبرت لوحاته الفنية عن هذا التعدد المكاني فلكل مدينة نورها ودرجة ألوانها وأحوالها التشكيلية ..لوحاته كون من عبارات جامحة وقلقة قلق الانسان والمكان في عالم متحول أرهقه السؤال الدفين...سؤال الحلم هذا الذي حمل الفنانين منذ أزمنة بعيدة الى جزر اتلوين الخالص والبهاء التشكيلي النادر ..

نعني هنا الفنان التشكيلي لسعد المحيرصي الذي تخير ألوانه ورسوماته وتيماتها وهو يتنقل بين عواصم هذا العالم لشؤون ومقتضيات الدراسة ثم عمله الديبلوماسي فكانت لوحاته بمثابة صفحات من كتاب الرحلة الملونة التي اطلعنا على حيز هام منها لتبوح لنا بما يعتمل في عالم صاحبها من أمنيات وأحلام وأحاسيس وتفاعلات ..هي بالنهاية تفاعلات فنان تجاه أمكنة..و عوالم وبلدان تختلف أجواؤها لتلتقي في دروب الفن..تلك الدروب التي أدت الى أعمال هذا الفنان .الفنان التشكيلي لسعد المحيرصي يتعد لمعرضه الشخصي بعد تجربة مميزة لمعرضه بفضاء صوفونيبه بقرطاج الذي انتظم لفترة من يوم 27 ماي الى يوم 7جوان 2022 وذلك ضمن عنوان لافت هو « رؤى متعددة «.الفنان لسعد محيرصي وكما يقدم نفسه هو رسام تونسي و دكتوراه في الأدب المقارن من جامعة السوربون نوفيل باريس 3 و دبلوماسي محترف وسفير تونس السابق باليونان والمدير الحالي لأوروبا بوزارة الخارجية. سمحت له مسيرته الدبلوماسية بالعيش في عدة دول من بينها فرنسا والأرجنتين وإسبانيا والسنغال ولبنان واليونان.و منذ عام 1998 بدأ الرحلة مع عالم الرسم. أقيم معرضه الفردي الأول في اليونان في عام 2019 في معرض بلدية ليا في أثينا.و شارك في المعرض الجماعي الأول في تونس في مايو 2022 بدعوة من جمعية الفنانين المغاربيين.و هو في هذا المعرض بصوفونيبه يعرض بصورة فردية 40 عملاً تجريديًا تغطي العديد من الأساليب والجوانب المتعددة بالنظر لرؤيته الخاصة للفن والتي من خلالها ينتصر الخيال.له كتاب بعنوان «تونس - إسبانيا من قرطاج إلى يومنا هذا» صدر عن دار الصدر في بيروت عام 2012.و هو حاصل على وسام الصليب الأكبر من وسام العنقاء للجمهورية اليونانية في عام 2021.هكذا هي رحلته الفنية التي انتقل فيها بعد تجارب متعددة في الأساليب والنظر الفني الى عالم التجريد الذي رآه ساحرا وقابلا لقراءات متعددة و«...لطالما كان الرسم بالنسبة له مرادفًا لمتعة العيش في عمل يكاد يكون مفعما بالمتعة. إنه هذا العرض حيث تكون اللحظات الممتعة باهتة...تحوي لوحاته ألوانا شفافة وخطوطا تتقاطع حيث القماشة كون احساس وحركة وعبارات ضاجة بالمعاني المختلفة .. هذه الرغبة في بحث مفتوح عن الجمال ، حيث فضاء اللوحة بستان من التشكيل فيه موسيقى وأشكال ناعمة وحادة في ذات الآن وفق ايقاع تلويني ينزع نحو عوالم من الجماليات التي يرنو اليه لسعد المحيرصي وهو يصغي للطفل الكامن فيه والذي يلون بدلا منه الأمكنة ليسعد بالنهاية في تحويل العالم الى علبة تلوين...اللوحة عنده عالمه المدهش المفعم بالغموض الذي يشمل الفضاء الحقيقي والفضاء «الافتراضي» إلى حد ما وكما رسمته الأنسجة المعروضة على خلفية بيضاء ، مرايا متناقضة مع الأعماق الحقيقية والخادعة.و بحثًا عن نهجه الفني الخاص ، يبني لسعد محيرصي الواقع الذي يدركه بطريقته الخاصة بعد أن تشرب من أكثر الحركات الفنية تنوعًا من الانطباعية ، والسريالية وهو يسعى من خلال عالمه هذا الى التعبير ضمن الرسم التجريدي بما هو كون دقيق وفيه تدفق للعواطف ، واندفاع من العفوية الخالصة ، وهروب إلى عالم رمزي مفعم بالحيوية.و هو يلعب ويتلاعب بالألوان والنغمات والاهتزازات ..».فنان وتجربة ومضي نحو الجديد في عوالم الفن التشكيلي بكثير من الرغبات والأحلام تجاه شواسع الرسم والتلوين.

جهات

جندوبة

تحت شعار "رمضان ملء قلوبنا" تنظم ادارة المركّب الثّقافي عمر السّعيدي بجندوبة وبفضائها فعاليات الدورة الرابعة لـ"مهرجان المدينة" وذلك من19 مارس الجاري الى 05 أفريل القادم حيث افتتحت سلسلة هذه الانشطة يوم 19 مارس الجاري مع منبر حواري بعنوان"استقبال شهر رمضان كشهر عبادة وليس شهر لهفة"من تقديم الثنائي الامام الخطيب محمد البوسليمي وحمادي الورغي ثم كان الموعد يوم 21 مارس الجاري مع منبر حواري بعنوان"فوائد الصوم الصحية "من تقديم الثنائي الواعظة نبيهة شمروخي والطبيبة الدكتورة رشيدة الغربي ثم كانت السهرة يوم 23 مارس الجاري مع عرض الحضرة بعنوان "يا سيّد الأسياد" للفنان شمس الدّين سعد ليتجدد الموعد مع المنابر الحوارية حيث يخصص لقاء يوم 26 مارس الجاري لمنبر حواري بعنوان"أبعاد الصوم"من تقديم الامام الخطيب لمين كحلاوي كما ينتظم يومها معرض جهوي للموروث المادي واللامادي يتضمن معرضا للكتب الدينية والنفائس والمخطوطات القديمة

اما يوم 27 مارس الجاري فيكون الموعد مع عرض طربيات بعنوان "كلثوميات" للفنان ابن الجهة غانم بوسليمي ليكون الموعد يومها ايضا واحتفالا باليوم العالمي للمسرح مع الحصة الثانية من المنتدى الثقافي الحواري الشهري"الانتاج المسرحي بولاية جندوبة:الواقع وآفاق الترويج" وذلك بادارة الاستاذ أكرم القروي مدير مهرجان سينما الجبل بعين دراهم كما يكون الموعد يوم 28 مارس الجاري مع منبر حواري بعنوان"أهمية التسامح والتعاون في رمضان"من تقديم الامام الخطيب خالد مناعي لتكون السهرة ليلتها وبدعم من وزارة الشؤون الثقافية مع عرض "رحاب العشق"للفنان حسين العفريت وتكون السهرة يوم 30 مارس الجاري مع عرض صوفي بعنوان "بنوّارة" للفنان حسان تاج لتختتم سلسلة هذه السهرات الرمضانية يوم 05 أفريل القادم مع سهرة الضحك من خلال عرض مسرحية "المايسترو" لبسّام الحمراوي

منصف كريمي

السليمانية بمدينة تونس

تنطلق الليلة تظاهرة "ليالي السليمانية" في دورتها الثانية عشرة، لتُزين سماء المدينة العتيقة بِمُوسيقى عذبة تُلامس الروح.

من 26 مارس الى غاية 01 افريل 2024 حسب البرنامج التالي:

- الثلاثاء 26مارس 2024
  سهرة الافتتاح بعنوان "فيروزيات "
  للفنانة هاجر بوزيد و كورال جارة القمر
  الثمن 10دينار
- الاربعاء 27مارس 2024
  عرض موسيقي للفنان محمد الجبالي
  الثمن 15 دينار
- الخميس 28مارس 2024
  تتراوح السهرة بين عرض " جذب " لمريم و محمد البرصاوي & عرض موسيقي للفنانة بديعة بوحريزي
  الثمن 10دينار
- الجمعة 29مارس 2024
  عرض" المدحة " لحميدة جراي
  الثمن 15 دينار
- السبت 30مارس 2024
  الإحتفال يوم الارض
  عرض موسيقي لمجموعة البحث الموسيقي بقابس
  الثمن 10دينار
- الأحد 31مارس 2024

عرض صوفي بعنوان "الفقرا " بقيادة الفنان علي بنقدور
الثمن 15دينار

- الاثنين 01 أفريل 2024
  سهرة الاختتام
  عرض موسيقي للفنان مهدي عياشي
  الثمن 15دينار

وإلى جانب الموسيقى، تُقدم دار الثقافة السليمانية معارض فنية مُتنوعة في الفن التشكيلي، تُتيح للزائرين فرصة الاستمتاع بِإبداعات الفنانين التونسيين

صفاقس

تنظم جمعية مهرجان الأصيل للموسيقى المغاربيّة بالشراكة مع بلدية صفاقس تظاهرة "ليالي المالوف برمضان" وفق البرمجة التالية :

- اليوم 19 مارس : عرض لنادي الأصيل بمقر أكاديمية صفاقس للمالوف.
- 25 مارس : عرض لأطفال الأكاديمية بساحة القصبة في إطار شراكة مع بلدية صفاقس تحت شعار "ليالي المالوف بالقصبة"
- 26 مارس : عرض شباب الأكاديمية بساحة القصبة في إطار شراكة مع بلدية صفاقس تحت شعار "ليالي المالوف بالقصبة"
- 27 مارس : عرض "التخت العربي" بساحة القصبة في إطار شراكة مع بلدية صفاقس تحت شعار "ليالي المالوف بالقصبة"
- 29 مارس : عرض" نادي المالوف بالأكاديمية" بمقر أكاديمية صفاقس للمالوف.

تنطلق جميع العروض على الساعة 10 ليلا.

الحمامات

يحتضن المركز الثقافي الدولي بالحمامات المعرض الشخصي للفنانة التشكيلية/ لمياء بن الشيخ ابراهيم الحامل لعنوان
" تحويل وجهة "

ما انفكت الفنانة التشكيلية لمياء بن الشيخ ابراهيم منذ تخطيها عقودا من الزمن في رحلتها مع الفرشاة والقماشة ان تشكّل من تجاربها الفنية ومعارض الرسم الشخصية او الجماعية التي تقيمها وتشارك فيها خيطا رابطا ينحت مسارها الفني الإستثنائي و تصنع رؤيتها الإبداعية المخصوصة ، وها هي بعد وقفة تامل معقولة من تجربتها السابقة ، تخاتل مطافا آخر من رحلتها المدهشة مع الرسم وتتوصّل من ان تقيم معرضها الشخصي الجديد بعنوان:" تغيير وجهة " حيث خيّرت له من الفضاءات دار سيباستيان في المركز الثقافي الدولي بالحمامات وذلك بداية من 21 مارس ليتواصل إلى حدود 7 أفريل 2024 , هذا وقد ضمّ محتوى المعرض قرابة 25لوحة فنية تراوح تقنياتها بين التقنيات المعتمدة في أعمال لمياء بن الشيخ ابراهيم التي خلت حيث لم تحد عن التوجه السابق لها فلاحظنا حضور مادة الأكرليك مع تقنية مزدوجة و توظيف المادة كمعادل تشكيلي مع الريزين وهي مادة شفافة عازلة أساس توظيفها ذو بعد رمزي دلالي ايحائي.

المعرض اساسا يطرح قضايا مجتمع ولوحاته هادفة المحمل تراوح بين الاحالة واعادة التقديم في تعبير تشكيلي اساسه الرمزية والاشارة . أما فيما تعلق بالتسمية فتشمل اختيارات ذات وجهتين وجهة تعبيرية ذاتية و وجهة تشكيلية بحتة تتفق في منحى واحد وهو الاختيار هو القرار النهائي.

أمّا مضامينها فهي تتماهى بين المشاعر الإنسانية المتداخلة بين أفق من بهجة منفلتة أو حزن رابض بين جنبات القلب الجريح او قل إبحار على عتبات موانئ مكتظة بازرق شفاف يفتح لخطانا مسارات للإسترشاد عن الخلاص تحت جنح شمس خجولة خلف غيمة خريف شحيحة..

ما يمكن الاعتراف به أنه تبقى العديد من التأويلات والقراءات في شان ما أثثته وهندسته أنامل الفنانة لمياء بن الشيخ ابراهيم التي تشدّك إلى أعمالها شدًا صارما بحثا عن إجابة تطفأ شغف وعطش السؤال المعلّق بين العقل والفؤاد.

جلال باباي

تونس العاصمة

ينظم المركز الوطني لفنّ العرائس الدورة الثانية عشر من تظاهرة "عرائس رمضان" والتي تنتظم من السبت 23 مارس 2024 إلى غاية الأحد 31 مارس 2024

ويجمع البرنامج بين المسرحيات العرائسية للأطفال و ورشات صناعة و تحريك العرائس

برنامج " عرائس رمضان 12 " بالمركز الوطني لفن العرائس ، بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي

* ورشة عروسة في دقيقة ـــــــ Fast Puppet أيام العروض الساعة: 21:00 ، ببهو مدينة الثقافة الشاذلي القليبي
* ورشة من القصة الى العرض : الساعة 10:00 الى الساعة 12.00 بفضاء المركز.
* • تنطلق العروض على الساعة الساعة العاشرة ليلا. 22:00

جهات

تونس المدينة العتيقة

ينظم مركز تونس الدولي للاقتصاد الثقافي الرقمي خلال شهر رمضان الكريم بمدينة تونس العتيقة "بيبان لمدينة 2" وذلك من 25 إلى 29 مارس 2024 انطلاقا من الساعة العاشرة ليلا.

وتتضمن هذه التظاهرة رحلة في مسار ثقافي تفاعلي رقمي يمتد من ساحة القصبة وضريح العلامة عبد الله ترجمان مرورا بالجندي المجهول ثم باب منارة فساحة القصر وصولا إلى المعهد الوطني للتراث دار حسين فدار الداي، مع التقديم والتعريف بجملة من مشاريع أصحاب المؤسسات الناشئة التي تثمن الموروث الثقافي للمدينة العتيقة بتجارب رقمية غامرة.

كما يحتوي برنامج التظاهرة مسارا ضوئيا رقميا لإبراز الثراء المعماري والهندسي لأزقة المدينة العتيقة بتونس العاصمة "Tunnel lumiére" وعروض مابينغ Mapping للتعرف واكتشاف تاريخ أبواب المدينة العتيقة (باب منارة باب القصبة باب سويقة باب جديد...) والتراث الثقافي المتصل بها تحت تأطير السيد عبد الستار عمامو هذا إلى جانب عروض سينمائية خاصة بمدينة تونس العتيقة ومعالمها الأثرية والتاريخية

الحمامات

ينتظم برواق الفنون بدار سيبستيان بالمركز الثقافي الدولي من 22 الى 30 مارس الجاري تظاهرة " ليالي القمر... ليال من أجل فلسطين"

منذ تأسيس تظاهرة ليالي القمر وانتظام دوراتها ضمن برمجة المركز الثقافي الدولي بالحمامات دار المتوسط للثقافة والفنون عرفت هذه الاحتفالية الفنية مقاربات متعددة شكلت منصة لتجارب فنية مخصوصة اتسمت بأنواع فريدة من الموسيقات التونسية كالموسيقى التقليدية التراثية و الموسيقى الطقوسية الشعبية و حرصت على حضور آلة البيانو كعلامة فارقة تميز رواق الفنون بدار سيبستيان أين تلتئم هذه التظاهرة في إطار حميمي مختلف ، يميز سهرات ليالي شهر رمضان المعظم كل سنة .

بين الموسيقى و النضال وشائج كبرى أكدتها المحطات الكبرى التي عاشتها الشعوب من اجل تقرير مصيرها و رسم مستقبل أبنائها وبهذا الإيمان تواصل هذه السنة ليالي القمر حضورها في جو من الخشوع و التذكر لصمود و نضال الشعب الفلسطيني حيث ستكون فعاليات هذه الدورة تماهيا فنيا مع الأحداث الأليمة التي ترفع من مكانة الحفل الموسيقى من حيث هو حدث ثقافي إلى فعل تضامن و مؤازرة و إيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها و خاصة قضية العصر في الفلسطين التي تكافح من اجل تحرير أرضها من هيمنة الاحتلال .

تونس العاصمة

ينظم المسرح الوطني التونسي من 27 مارس الجاري وإلى غاية 02 أفريل القادم الدورة الثانية من مهرجان "تونس مسارح العالم"... تظاهرة تسعى من خلالها المؤسسة الى مزيد دعم اشعاع تونس والمسرح التونسي دوليا بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للمسرح يوم 27 مارس من كل سنة.

البرنامج الكامل لمهرجان "تونس مسارح العالم "

"رقصة سماء" للطاهر عيسى بالعربي
26 / 03 مركز الفنون الدرامية و الركحية بالكاف 21:30

"مترو غزة" لهيرقي لويشيمول -
27/ 03 قاعة الفن الرابع 21:30

"صمت" لسليمان البسام -
28/ 03 قاعة الفن الرابع 21:30

"حادثة على الطريق" لديمتري يوماشيف
29/ 03 قاعة الفن الرابع 21:30

"حلمت بيك البارح" لبنى مليكة وابراهيم جمعة -
29/ 03 قصر المسرح الحلفاوين 22:00

"مترو غزة" لهيرقي لويشيمول -
29 / 03 مركز الفنون الدرامية و الركحية بالكاف 21:30

"الباتروس" للشاذلي العرفاوي -
30/ 03 قاعة الفن الرابع 21:30

"طير" لسفيان ويسي -
30/ 03 قصر المسرح الحلفاوين 22:00

"بلا عنوان" لمروة مناعي -
31/ 03 قاعة الفن الرابع 21:30

"حاجة أخرى" لمحمد كواص -
01/ 04 قاعة الفن الرابع 21:30

"قرط" لمحمد بوسعيدي -
01/ 04 قصر المسرح الحلفاوين 22:00

"رقصة سماء" للطاهر عيسى بالعربي -
02/ 04 قاعة الفن الرابع 21:30

سيدي بوزيد

تتواصل الدورة السابعة من مهرجان ليالي المدينة بسيدي بوزيد الى غاية يوم 2 أفريل 2024

•سهرات متعددة رغم الصعوبات وقلة الدعم منها "القدود الحلبية" لسلاطين الطرب..

تشهد ساحة الأرض بمدينة سيدي بوزيد طيلة الفترة الممتدة بين 22 مارس و 2 أفريل 2024، على ايقاع فعاليات الدورة السابعة من مهرجان ليالي المدينة ، هذه الفعاليات التي تنظمها جمعية مهرجان المدينة بالشراكة مع المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بسيدي بوزيد. وقد حرص المنظمون على ان تكون هذه الدورة متميزة رغم الصعوبات المتعلقة اساسا بغياب الدعم من قبل عدة اطراف كانت داعمة للمهرجان في السنوات الماضية وربما مرد ذلك الوضع الاقتصادي الذي تمر به البلاد . وفي تصريح لوسائل الاعلام أكد مدير المهرجان الاستاذ شهاب الدالي على ان هيئة المهرجان وضعت برنامجا متنوعا فيه حرص على تلبية مختلف الأذواق ويلامس كل الشرائح العمرية على ان تبقى الاجواء الروحانية و الصوفية أساس المهرجان، فكان البرنامج على النحو التالي؛ سهرة 22 مارس: عرض ننده الأسياد لمحمد البسكري - سهرة 24 مارس العائلة والطفل مع سيرك Paparooni - سهرة 26 مارس مع القدود الحلبية وسلاطين الطرب. - سهرة 28 مارس عرض صوفي الذكارة. - سهرة 1 أفريل من أجل فلسطين مع عرض أحلام المدينة. - سهرة 2 أفريل عرض زوار الحضرة لمرشد بوليلة.

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

أحلام دافئة

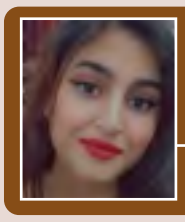

إسلام البريكي

ولدت في أكتوبر. لهذا تنعزل في هذا الشهر، وتصبح كثيرة الجلوس مع نفسها، تصبح مختلفة في كل تفاصيلها، تترشف القهوة في ليالي أكتوبر الغامضة على مقعدها المفضل ترمق من نافذة غرفتها السماء الكالحة السواد. لا أحد في الشارع إلا الأوراق المبعثرة، بينما رائحة المطر تبعث فيها روحا منتشية عند امتزاجها بالتراب.

سمعت اسمها يتردد بصوت دافئ، فالتفت، لم تجد أحدا، راودتها الظنون، الصوت ناداها باسمها، وليس مسبوقا بكلمة «السيدة» كما يناديها أولياء تلاميذها.

-»من سيأتي ليسأل عن أطفاله في منتصف الليل؟».

فتحت الباب فوجدت باقة ورد مصحوبة ببطاقة خالية من الأسماء والعناوين... ولما اشتمت رائحة الورود امتزجت برائحة القهوة.

همت بإغلاق الباب ، ناداها صوت متهدج:

-»مساء الخير يا سيدة!».

-» مرحبا، أولست أنت من وضع هذه الباقة؟».

فنزع القبعة مخاطبا اياها:

-»بلى!».

ابتسمت بخجل، فواصل حديثه:

-» كنت أعلم أنك تعشقين الورد الأحمر، أليس كذلك؟»

-»وما زلت!».

رحبت به، ذهبت للمطبخ لتعد له قهوة، وعند رجوعها لم تجده، ولم تجد باقة الورد، تعثرت وهي تغلق الباب، فانسكبت القهوة على ثيابها. ولكن عاد صوته يراودها :

-»يا حلوة الملامح ، أنا هنا لم أغادر يا لطيفة الهمسات وبريئة النظرات!».

شعرت بحالة من الخدر والاستسلام لاحساسها بدفء صوته وعذوبة كلماته. وحين فتحت عينيها أدركت أنها تحلم. لقد كان حلما، او ربما وهما. أحضرت قهوتها وانطلقت في إعداد جذاذات دروس الغد لتكمل رويتنها في تعليم الأطفال... ولكن روائح الورد انتشرت عبقة في الغرفة وتناثرت في كل ارجائها.. فاستسلمت للنوم .. نهضت فجرا فشعرت بالوحدة. اتضح المشهد بعدما غادر الليل بثوبه الأسود القاتم.

من النافذة لم تكن هناك إلا أطياف شاطئ البحر والأمواج المزمجرة. أكتوبر بدأ للتو وابتدأت رحلتها مع وحدتها. انتقلت للشرفة، لسعتها النسمات الباردة، ولما تذكرت صاحب باقة الورد، تذكرت القهوة، وبعجالة أحضرت كوبين، وضعت الأول أمامها والثاني له، ثم عادت لصوابها.

إنها تتوهم وجوده معها، عاتبت نفسها بابتسامة ساخرة:

-» ويحك ألم تملي من هذا الجنون؟ «

ولكنها وجدته ينظر إليها من تحت الشرفة. نظرا لبعضهما بصمت. كانت ترتجف من فرط المفاجأة. وسرعان ما أعارت انتباهها لأمواج البحر، وهديرها كأنه لحن يتماهى مع حفيف أوراق الأشجار المصفرة في شهر أكتوبر، ومشهد تشابك الأغصان والأعواد .

ارتعشت وهو يقتحم شرفتها ويتساءل: -»الا تريد نجلاء العينين أن تشعل لنا المدفأة وتعد لنا القهوة ؟!»

ولكن

- سأساعدك في جمع الحطب. أنا أحمل الحطب الكبير كقلبك وانت الرقيق كنظراتك».

يجمعان الحطب، تنظر إلي عندما ينحني وتراقب حركاته، ثم تذهب لإعداد القهوة، ريثما ينتهي من إشعال المدفأة، فجأة أعادها لوعيها آذان الفجر وقد بردت القهوة ولم يأت. ولم يتبق سوى الشفق الأحمر والشاطئ انيسين لها.

ظلت وحيدة دون جليس، غير عابئة بألسنة الحطب المتوهجة في المدفأة، قد كان وهما جميلا انعكس في عينيها لتخفف عنها مرارة الحنين....

مع بزوغ الشمس كانت قد رتبت حقيبة دروسها وأوراقها، وتهيأت أحسن ما يكون للذهاب للمعهد، وعرجت كعادتها على مقهى النخيل اين يحلو لها احتساء قهوة الصباح تمنحها حالة من الصفاء تستعيد من خلالها تماسكها. أحضر لها النادل قهوتها مع قطعة سكر وحيدة.

ـ «شكرا لك، لحظه من فضلك لم اطلب الورد مع القهوة».

-»رجل خارج المقهى أرسلها لك».

بقيت تبحلق داخل المقهى وخارجها لم تجد أحدا سوى النادل وبعض رواد المقهى. أبعدت عنها الوردة وخاطبت نفسها: « لاريب أنه يراقب حركاتي. بعد ربع ساعة جاءها قائلا:

-» قد اعتقدت أنك ستهتمين بها لماذا ابعدتها عنك؟».

كانت عيناها تلمعان كالنهر الذي تبزغ فيه الشمس، وتزداد لمعه كل ما حدق في وجهها.

-»هل انت لوحدك ام تنتظرين أحدا؟»

-»كلا أحب أن أنجو بنفسي بعض الشيء»

-» انت تشبهين الورد والقهوة هل تعلمين»

-» أشبه القهوة؟»

ضحك وقال لها:

-»رائحة القهوة وكذلك انت، واما الوردة فهي انت».

ما أجمل ما سمعته منك، لقد قلت لي هذا من قبل»

قاطعت حلمها الجميل حين وجدت نفسها لوحدها، ولكنها استدركت: لا بأس سأكمله فور عودتي من حصص الدروس..

شيخوخة كلب حارس القصر

مصباح شنيب

لحارس القصر السّهلي كلاب كثيرة تساعده على حراسة القصر ذي الغرف العديدة حيث خزن البدوُ شعيرهم وقمحهم وزيتهم وصوف أغنامهم واستأمنوا الحارس عليها، فهي كلّ ما يكسبون من حطام الدنيا مع قطعانهم وخيامهم التي تلازمهم في تطوافهم الدائم على مساقط الغيث بحثا عن الكلإ والماء.

وكلاب الحارس نشيطة لاينفك نباحُها يمزّق سكون الليل، وهي لا تقتصد في هريرها، فكلما حركت الرياحُ ورقة أو مرّ جرذٌ قريبا منها إلا واندفعت نابحة بصوت واحد موزّعة حركتها كرّا وفرّا معلنة حالة الطوارئ قارعة لطبول التأهب الأقصى، فيلتقط الحارس هذه الإشارات الصوتية ويهرع الى حيث هي متوقعا وصول نزلاء إلى المكان او قافلة أضناها السفر عبر الصحراء فطلبت نصيبا من الراحة ولجأت الى القصر لإناخة مطاياها. على أنّ الحارس « مسعود « عقب تطواف بمحيط المكان يستعيد طمأنينته بعد تأكده من أنّ نباح الكلاب هو مجرد نباح أبي،. لكن « العارق « وهو أحد كلاب الحارس تقاعد منذ وقت وانتبذ مأوى له في المدخل الجنوبي للقصر وكان، على أيامنا ، مسقوفا، وكان زملاؤنا من عائلة السرادحية كثيرا ما يعبرون من هذه السقيفة خلال اختلافهم الى المدرسة الابتدائية التي أنشئت حديثا، وكانوا مستأنسين برؤية الكلاب.

إلاّ أنّ هذا الكلب الأبقع المتكور على نفسه كان يثير ريبتهم للونه الذي يغلب عليه السواد ولوجوده - طول الوقت - على هيئة واحدة، وأكثر ما كان يحيرهم من شأنه هو صمته الدائم وهي حال لا تليق بمقام الكلاب، حتى ساورهم الشك بأنه ربما قد قضى أو ألم به مرض طارئ أقعده عن الحركة وقرّروا أن يستفزوه لعله يثبت « كلبيته «، فرموه بحصاة وفروا هاربين خوفا من استكلابه عليهم لكنه راوغهم وغاص في صمته وعاودوا الكرة اكثر من مرة فلم يبعث بإشارة حياة.

ورصدوا حركته على مدى أيام فلاحظوا أنه يقف أحيانا واهن العظم مرتخي العضلات مسدل الأذنين ، فينتفض لينثر ما علق بفروته من غبار ثم ينطلق وئيد الخطى نحو بيت سيده باحثا عن طعام يسدّ به رمقه وجرعة ماء يبلّ بها ريقه ثم لا يلبث أن يعود الى مأواه واضعا رأسه عند منبت ذيله مصدرا شخيرا مسترسلا.

.وأدرك زملاؤنا بعد معاينة عميقة أن كلب الحارس المتكور على نفسه يفعل ذلك طلبا للدفء، كما تيقنوا أنّ صمته وجموده يعودان الى شيخوخته المتقدمة فسمّوه « العارق» لأنه سابح في عرقه لا يبرحه ولا يعرض نفسه للنسيم لتجفيف حاله وتنشيط عضلاته الواهنة. وأسقط الصِبية بمرور الأيام « العارق « من اهتمامهم، فغاب عنهم قبل ان يغيّبه الموت اذ كانوا يمرون قريبا منه دون اكتراث بحضوره كأنه لا شيء، بل قد يحدث أن يطأ أحدهم ذيل « العارق « فلا يحرك ساكنا. غير أنه ذات صباح وكانوا بصدد جواز السقيفة الى القصر إذ بـ «العارق « يستجمع قواه ويلتقط أنفاسه ليصدر نبحة عميقة جشاء أثارت انتباهم فتوجه اليه أحد الصبية ساخرا « حتى أنت يا عــارق « وكان يستكثر عليه ذلك.

. وبعد انتهاء الدروس وفي طريق العودة رأوا الكلب مُسجّى وقد تناثرت قطرات دم من حنكه الأيسر .فأدركوا بعد تقدمهم في السن أن « العارق» إنما أصدر نبحة الوفاء في ذلك الصباح الحزين ليودعهم.

أنتريتي نبّار

حمادي العقربي ساحر الجيلين

تنبيرة اليوم ساخصصها لحمادي العقربي اسطورة كرة القدم في مدينتي صفاقس وأقرب اللاعبين إلى قلبي وقلب أحباء هذه اللعبة في كافة المدن التونسية. هو أحد صانعي ملحمة الأرجنتين الى جانب طارق ذياب وتميم الحزامي ونجيب غميض وابن القيروان خميس العبيدي وغيرهم من الجيل الذهبي لكرة القدم التونسية.

كان معبود الجماهير في صفاقس جعل من لعبة كرة القدم فنا وسحرا تفرض على المتفرجين أن يحتشدوا كل يوم احد امام شباك تذاكر ملعب الطيب المهيري للفوز بتذكرة الدخول للإستمتاع بفنياته وجمال اهدافه ومراوغاته.

ولد حمادي العقربي يوم 20 مارس من سنة 1951 بأحد الأحياء الشعبية وسط مدينة صفاقس ومارس كرة القدم ب»بورة العلوش» القريبة من ملعب الطيب المهيري، في سنة 1963 اكتشفه ممرن النادي الصفاقسي اليوغسلافي "ميلان كريستيك"وحين تمت دعوته للالتحاق بصنف الأداني قال عنه "كريستيك" "هذا الفتى مبدع وفنان ولا يحتاج لمن يعلمه فنون الكرة وشخصيا ليس لديّ ما أضيفه له"..

.اعتزل اللعب رسميا يوم 20 ماي 1989 وعمره 38 سنة بعد مسيرة إمتدت على 26 سنة من العطاء فوق المستطيل الأخضر .تعرض إلى إصابة حادة في بداية مسيرته الكروية سنة 1967 على مستوى العمود الفقري وخضع للعلاج سنة كاملة أجبرته على الانقطاع عن الدراسة وكادت تضع حدا لنشاطه الرياضي إضافة إلى إصابة على مستوى الكاحل وهي من الأسباب التي كانت وراء تجنب العقربي التمارين المرهقة والاندفاع البدني وميله للتعويل على الفنيات العالية. شارك العقربي في أول مباراة مع أكابر النادي الصفاقسي يوم 5 أفريل 1970 وهو اللاعب الوحيد الذي كانت تنطلق سيارة بلدية صفاقس بمكبرات الصوت قبل مباراة النادي الصفاقسي لتعلن للجمهور عن عودته للتشكيلة الأساسية.

هو أحد أفضل اللاعبين في تاريخ النادي الصفاقسي والمنتخب التونسي. فاز مع النادي الصفاقسي بالبطولة التونسية أعوام 1978 و1981 و1983. يلقب بساحر الجيلين ومعشوق الجماهير لعروضه الفرجوية التي يقدمها داخل المستطيل الأخضر، صاحب أسرع هدف في تاريخ كرة القدم التونسية معروف في تونس ومحبوب من الجميع خاض مع المنتخب الوطني التونسي مباريات باقية في ذاكرة القاصي والداني في تونس رفقة نجوم 78 في الأرجنتين وهو الذي اسقط هنري كاسبرجاك ارضا بلمسته الفنية ومداعبته الإبداعية للكرة.

كان محل إعجاب المثقفين والسياسيين أيضا واطرف ما قيل فيه جاء على لسان القيادية في الجبهة الشعبية منيرة يعقوب في تدوينة لها على الفايسبوك على أثر وفاته بعنوان «حمادي العقربي كما كنت أراه» جاء فيها:»ما عنديش ياسر مع الكورة،بالمفهوم المتعارف،لكن نتفرج بطريقتي:مثلا نتفرج على الانقليز لجمال الملاعب والطلاين لجمال الملاعبية وأخرين لمواقفهم المشرفة في بعض القضايا إلخ... بالنسبة لحمادي العقربي،ماعندي بيه حتى علاقة مباشرة،لكن ومن قبل،كل وين نشوفو،تشدني تعبيرة قسمات وجهه:قسمات تذكرني بوجوه برشة من أبناء قريتي (شنني ڨابس)أسمر،شعر أسود وبسمة مرسومة لافتة...لكن الحاجة الأخرى الثابتة هي مسحة حزن ما في عينيه...نحسو مهموم بحاجة،يخمم في حاجات ربما ما زال ما حققهاش.تعبيرة الوجه هذي هي الي خلاتني،منذ بدايات نقل ماتشوات الكورة في التلفزة،نتبع في طريقة لعبه وزدت تأكدت أنو يلعب بمفهوم آخر:لعب بروح الأطفال،لعب بلا حسابات تبدأ وتوفى عند التمركية والربح...يلعب باش يستمتع ويمتع أصحابه والي يتفرجو فيه...ذكرني في لعب الأطفال في الواحة:يتسلقوا النخل ويهبطوا يضحكوا،مش بالضرورة هبطوا معاهم عراجين بلح...يعوموا في السواقي(أودية صغيرة تشق الواحات وبين البيوت)ويتسابقوا وساعات الي يجي الأول ما يشدش الإهتمام كيف الي عمل أحسن غطسة في الماء وعدى ڨنطرة وإلا زوز وهو غاطس...

حمادي العقربي كيف برشة من أطفال القرى ما بدلوش الإحتراف وما دفعتوش النجومية للتخلي على روح الطفل الساكنة فيه،ما دخلش (على حد علمي) سوق المعلقين المشاهير في بلاتوات التلافز تحت تيكة اللاعب الدولي السابق!

حمادي العقربي لعب وعاش ورحل وهو محافظ على معنى»الرياضة»:لعب ومتعة على ميدان الكورة،في حومة وإلا في ستاد.وكيف البدن ما عادش متبع،بعد على الأضواء وإكتفى بميدانه الدائم:قلوب الناس.»

عرفته شخصيا لما كنت اتردد على مقهى «كلود ألان» بصفاقس وكان العقربي ورفيق دربه المرحوم محمد علي عقيد من الحرفاء الدائمين لهذا المقهى.

«مقهى «كلود ألان « بقلب مدينة صفاقس احدى المقاهي المشهورة خلال أواسط القرن الماضي ...هذه المقهى ومحيطها كانت ملاذا للشباب خلال السبعينات وعرفت بموقعها كنقطة تجمّع لأغلب أحبّاء النادي الصفاقسي حيث يتجمّع حولها أنصار الفريق قبيل المباريات وبعدها للحديث والنقاش والتعبير عن الفرحة أو الخيبة بعد المباراة ...

كان طيبا وتلقائيا ويتحدث معنا في شتى المواضيع وخاصة في السياسة وكانت له مواقف قريبة جدا من مواقف اليسار وخاصة في مسألة الديمقراطية...

افكاره تلك عبر عنها في لقاء له على إحدى القنوات التلفزية حيث قال:»التّونسي الّي نعرفو مقبل على الحياة... الّي يصلّي يصلّي..والّي يحب حاجة أخرى يعملها...توّة التونسي يسافر باش يحارب ويقتل ويتقّتل...تونسي يذبح تونسي آخر هذا الّي ما نفهموش»...وقال زادة:» المرأة شفناها في تونس هي الكل...والفتاة الّي طلعت في كليّة الآداب ورجّعت العلم التونسي هاكي هي المرا التونسيّة» ..

وفي حديثه تأسف العقربي على الحالة التي وصلت اليه الثّقافة في صفاقس حيث قال:» ما ثمّاش مسرح..دور السّينما كلّها أغلقت» واضاف:» انا ما نعملش السّياسة وما عندي حتّى علاقة بالنّداء كلّ ما في الأمر سي العايدي زارني لأنّي مريض ودعاني للعشاء الّي كان على إثر اجتماع...حشمت وقبلت لكن تمّ إستعمالها وإستغلالها سياسيّا... أنا نؤمن ان تونس ما تتغيّر كان بالشعب متاعها»...

وعرف حمادي العقربي أيضا بمواقفه الانسانية وبوفائه لرفاقه في النادي الصفاقسي وأذكر انه ذات مرة حل ضيفا في إحدى حصص برنامج « سهرية على الفضائيّة« للمرحوم نجيب الخطّاب، صحبة الفنّان قاسم كافي ابن الرالوي (سكك الحديد الصفاقسي)،

وخلال مسابقات البرنامج فاز العقربي بـ : « عمرتين « أهدى إحداهما مباشرة على الهواء للمرحوم عم لزهر المكني (لاعب سابق بالنادي الصفاقسي وأصبح مدلك الفريق) اعترافا منه بما قدّمه للفريق واللاّعبين قائلا : «نهديها لعم لزهر الّي تعب معانا لسنوات...»

رحم الله حمادي العقربي ساحر الجيلين ومعشوق الجماهير.

طرائف الزعيم (ج 378)

هل مارس بورقيبة فعلا فن التمثيل!؟

هذا التساؤل طرحه واجاب عنه الاستاذ عادل كعنيش في تدوينة نشرها مؤخرا على حائطه الفايسبوكي ويقول فيها :» هل مارس بورقيبة فعلا فن التمثيل كما صرح به عندما قابل ديغول فى رامبوى فى فيفرى 1961 وقد اجابه دى غول انذاك (فعلا فقد حافظت على نزعتك كممثل)

اطلعت على كتاب السيد فاخر الرويسي حول مشاهير المطربين التونسيين اليهود وتذكرت حادثة كان بورقيبة تحدث عنها فى خطبه حول الحركة الوطنية سنة1973 فقد افاد بورقيبة انه قام سنة1922 وبتشجيع من شقيقه محمود الذى كان مولعا بالمسرح وتولى ترجمة مسرحية لوكراس بورجيا Lucrèce Borgia التى الفها الاديب الفرنسي فيكتور هيقو سنة1832 دور Gennaro مع حبيبة مسيكة

بما ان المسرحية تضم مشهدا تقوم خلاله Lucrèce الذى ادته حبيبة مسيكة بتقبيل Gennaro الذى كان ممددا على اريكة فقال بورقيبة انه طلب من حبيبة مسيكة ان تكون قبلتها حقيقية لانه كان معجبا بها وهو ما قبلته عن طواعية

ماهى هذه المسرحية ولماذا وقع تمثيلها؟

المسرحية تعتبر راءعة من روائع فيكتور هيقو وتاتى بعد البؤساء واحدب الكنسية وتتحدث عن واقعة تاريخية حصلت فى عائلة بورجيا من اصل اسبانى عاشت فى ميلانو وقد انجبت ابنا يدعى رودريغو الذى اصبح لاحقا البابا الكسندر السادس فقد ارتقى لعرش البابوية فى سنة1480 وقد انجب البابا ابنة على غاية من الجمال سميت لوكراس من علاقة غير شرعية وهذه البنت كانت مثالا للانحراف وقد تزوجت ثلاث مرات ولم تنجب ابناء ويبدو انها تبنت طفلا سمى Gennaro والذى تعلقت به لذلك فان القبلة التى تحدث عنها بورقيبة هى خليط بين عاطفة الامومة المزيفة ووجدان العاشقة الولهانة التى ارادها بورقيبة مزاحا ان تكون قبلة حقيقية

المسرحية هى خليط بين النقد والسخرية من الممارسات التى تحصل فى الكنيسة باسم الدين والمؤامرات التى تسجل فى عالم السياسة حيث تكون الغاية تبرر الوسيلة وهى الفلسفة الماكيافالية التى ستتبلور بعد فترة بورجيا مع ماكيافال فى كتاب الامير.

فنّ وفنّانون

التونسية يسرا الجديدي تنجح في مسلسل «العتاولة»

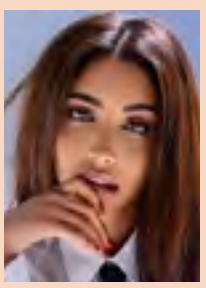

بعد النجاحات التي حققتها في مسلسل الأجهر» الذي عرض في رمضان الفارط 2023، وشاركت فيه البطولة إلى جانب ممثلة تونسية أخرى سبقتها إلى عالم النجومية في مصر ألا وهي درة زروق، تشارك يسرى الجديدي في رمضان 2024 في مسلسل «العتاولة» الذي يعرض على شاشة MBC مصر ومنصة شاهد.

تدور أحداث المسلسل في مدينة الإسكندرية، ويجسد النجم أحمد السقا شخصية نصار يعيش صعودًا وهبوطاً في حياته، لكنه يحاول أن يحافظ على الإيجابية في كافة الظروف وفي جميع تعاملاته، في وقت تدفعه ظروف الحياة إلى السلبية، ثم تحدث متغيرات في حياته.

التونسية سميرة مقرون بطلة مسلسل إماراتي

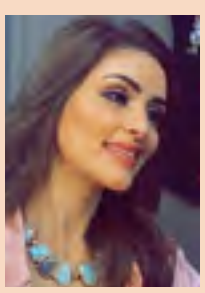

نشرت الممثلة التونسية سميرة مقرون، بعض الصور من كواليس المسلسل الإماراتي «دنون» الذي يتم بثّه خلال شهر رمضان.

وظهرت سميرة مقرون في الصور وهي ترتدي العباية الخليجية رفقة الممثلة الكويتية عبير الجسمي والإماراتية أشجان.

وسميرة مقرون هي ممثلة تونسية، تحصلت على الأستاذية في اللغة الإنجليزية، وعملت مضيفة طيران بالمنستير ولكنها اختارت دخول عالم التمثيل، فكانت مشاركتها الأولى من خلال دور «سيرين» في مسلسل مكتوب للمخرج سامي الفهري ومن ثم بدأت في تحقيق الانتشار العربي سريعا من خلال مشاركتها مؤخرا في المسلسل العربي ذاكرة الجسد عن الرواية العربية الشهيرة التي حملت نفس العنوان للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي.